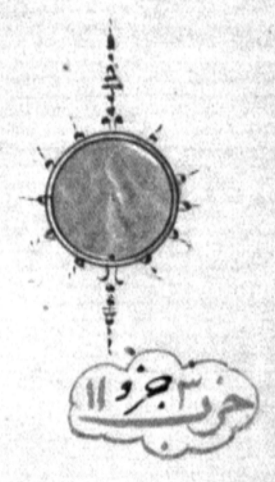
ويقال انه خطاب لقريش قد جاءتكم موعظة من ربكم يعني القرآن والموعظة بيان ما يجب ان يحذر عنه ويرغب فيه وقيل هي ما يدعو الى الصلاح
ويزجر عن الفساد وشفاء لما في الصدور والشفاء معنى كالدواء لازالة الداء وداء الجهل اضر من داء البدن وعلاجه اعسر واطباؤه اقل
والشفاء منه اجل والصدر موضع القلب وهو اجل موضع في البدن لشرف القلب وهدى اي ودلالة تؤدي الى معرفة الحق ورحمة للمؤمنين
اي ونعمة لمن تمسك وعمل بما فيه وخص المؤمنين بالذكر وان كان القرآن عظة ورحمة لجميع الخلق لانهم الذين انتفعوا به وصف الله
سبحانه القرآن في هذه الآية باربع صفات بالموعظة والشفا لما في الصدور وبالهدى والرحمة قل بفضل الله وبرحمته معناه قل يا محمد بفضل
الله وبنعمته فانه لا يجوز اطلاق الفاضل على الله فوضع الفضل في موضع الافضال كما وضع النبات في قوله والله انبتكم من الارض نباتا
في موضع الانبات وقيل ان اضافة الفضل الى الله بمعنى الملك كما يضاف العبد اليه بمعنى انه مالك له فبذلك فليفرحوا قال الزجاج قوله
بذلك بدل من قوله بفضل الله وبرحمته وهو يدل على انه يعني به القرآن اي فبذلك فليفرح الناس لانه خير لكم يا اصحاب محمد مما يجمعه
هؤلاء الكفار من الاموال ومعنى الآية قل لهؤلاء الفرحين بالدنيا المعتدين بها الجامعين لها اذا فرحتم بشيء فافرحوا بفضل الله عليكم و
رحمته لكم بانزال هذا القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وآله اليكم فانكم تحصلون بهما نعيما دائما مقيما هو خير من هذه الدنيا وقيل فضل الله هو القرآن
ورحمته هو الاسلام عن ابي سعيد الخدري والحسن وروي انس عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من هداه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم
شكى الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه الى يوم القيمة ثم تلى قل بفضل الله وبرحمته فضل الله الاسلام ورحمته القرآن عن قتادة ومجاهد
وغيرهما وقال ابو جعفر عم فضل الله رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمته علي بن ابي طالب عم ورواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
قوله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن
الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وما تكون في شأن
وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض
ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ثلث ايات القراءة قرا الكسائي وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة بكسر الزاء هنا وفي سبا وهي
قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب وقرا الباقون بضم الزاء وقرا حمزة ويعقوب وخلف وسهل ولا اصغر ولا اكبر بالرفع والباقون بفتحها
الحجة يعزب ويعزب لغتان صحيحتان ومن فتح الراء من اصغر واكبر فانما فتح لانه غير منصرف وانما منع الصرف لان افعل اذا اتصل
به من كان صفة واذا كان صفة لم ينصرف في النكرة ومن رفع حمله على موضع الجار والمجرور الذي هو من مثقال ذرة فانه في موضع رفع
كما كان في قوله كفى بالله ويجوز رفعه من جهة اخرى على الابتداء ويكون الخبر قوله الا في كتاب مبين اللغة الشان اسم يقع على الامر
والحال تقول ما شانك وما حالك وما بالك والافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه ماخوذ من فيض الاناء اذا انصب
من جوانبه ومنه قوله افضتم من عرفات اي تفرقتم كتفرق الماء الذي ينصب من الاناء والعزوب الذهاب عن المعلوم وضده حضور
المعنى للنفس وتعزب اذا تفرد عن اهله الاعراب ما في قوله ما انزل الله في موضع نصب بانزل ويكون بمعنى اي في الاستفهام ويحتمل
ان يكون ما بمعنى الذي فيكون نصبا برايتم المعنى ثم امر نبيه صلى الله عليه وآله ان يخاطب كفار مكة فقال قل يا محمد لهم ارايتم ما
انزل الله لكم من رزق وجعله حلالا فجعلتم منه حلالا وحراما اي جعلتم بعضه حلالا وبعضه حراما يعني ما حرموا من السائبة والبحيرة
والوصيلة ونحو هذا مما حرموا من زروعهم وانما قال انزل لان ارزاق العباد من المطر الذي نزله الله قل يا محمد لهم الله اذن لكم ام على الله
تفترون معناه انه لم ياذن لكم في شيء من ذلك بل انتم تكذبون في ذلك على الله سبحانه وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة
معناه اي شيء يظنون الذين يكذبون على الله انه يصيبهم يوم القيمة على افترائهم على الله اي لا ينبغي ان يظنوا ان يصيبهم على ذلك
الا العذاب الشديد والعقاب الاليم ان الله لذو فضل على الناس بما فعل بهم من ضروب الانعام ولكن اكثرهم لا يشكرون نعمه
ويجحدونها وهذا الكلام خرج مخرج التقريع على افتراء الكذب وان كان في صورة الاستفهام وتقديره ايديهم افتراءهم الكذب
المحرام شر وقيل ان معنى قوله لذو فضل على الناس انه لم يضيق عليهم بالتحريم كما ادعيتم ذلك عليه وقيل معناه انه لذو فضل على
خلقه بترك معاجلة من افترى عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا وامهاله اياهم الى يوم القيمة ثم بين سبحانه ان امهاله اياهم ليس بجهل

حالهم

حالهم فقال وما تكون فى شان اى ما تكون انت يا محمد فى حال من الاحوال و فى امر من امور الدين من تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة
وغير ذلك وما تتلوا منه من قران اى وما تقرا من الله من قران وقيل على الكناية من القرآن والقران يقع على القليل والكثير منه وقيل ان
الهاء تعود الى الشان اى وما تتلوا من الشان من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اى ولا تعمل انت وامتك من عمل الا كنا عالمين به
شاهدين عليكم به اذ تفيضون فيه اى تدخلون فيه وتخوضون فيه وما يعزب عن ربك اى وما يبعد وما يغيب عن علم ربك ورؤيته
وقدرته من مثقال ذرة اى وزن نملة صغيرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك اى من وزن نملة ولا اكبر الا فى كتاب مبين اى فى
كتاب بينه الله فيه قبل ان خلقه وهو فى اللوح المحفوظ وقيل اراد به كتاب الحفظة الذي تكتبه الملائكة السفرة وحفظوه قال الصدع
كان رسول النبي صلى الله عليه وآله اذا قرا هذه الآية بكى بكاء شديدا النظم قيل فى اتصال الاية الاولى بما قبلها انها اتصلت بقوله قل من
يرزقكم من السماء والارض فاذا اقروا انه الرازق قيل لهم اجعلتم ما رزقكم بعضه حلالا وبعضه حراما عن ابى مسلم وقيل لما وصف القرآن
بانه هدى ورحمة وامرهم بالتمسك بما فيه عقبه بذكر مخالفتهم لما جاء فى القران وتحريمهم ما احل الله قوله تعالى الا ان اولياء الله لا
خوف عليهم ولا هم يحزنون • الذين آمنوا وكانوا يتقون • لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك
هو الفوز العظيم • ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم • اربع آيات اللغة الخوف والفزع
والجزع نظائر وهو انزعاج القلب لما يتوقع من المكروه والامن ضده والحزن غلظ الهم ماخوذ من الحزن وهى الارض الغليظة والسرور
ضده والبشرى الخبر بما يظهر من سروره فى بشرة الوجه والبشارة مثلها والعزة شدة الغلبة من عزه يعزه اذا غلبه ومنه قولهم اذا عز
اخوك فهن يعنى اذا غلبك ولم تقاومه فلن له وعز الشئ يعز بفتح العين اذا اشتد ويعز بكسرها اذا صار عزيزا لا يوجد وكانه اشتد
وجوده الاعراب الذين امنوا يحتمل موضعه ثلثة اوجه من الاعراب النصب على انه صفة اولياء الله والثانى الرفع على المدح والثالث
الرفع على الابتداء وخبره لهم البشرى فان جعلت الذين امنوا صفة لم تقف على يحزنون بل تقف على يتقون وان جعلته مبتدا وقفت
على يحزنون دون يتقون لان لهم البشرى خبر عنهم والبشرى يرتفع بالظرف على الاقوال الثلثة ولا يحزنك قولهم ان العزة لله كسرت
انه للاستيناف بالتذكير لما ينفى الحزن ولا يجوز ان يكون كسرت لانها وقعت بعد القول لانه يصير حكاية عنهم لان النبى صلى الله عليه وآله
يحزن لذلك وهذا كفر ويجوز فتحها على تقدير اللام كانه قال ولا يحزنك قولهم لان العزة لله جميعا وقد غلط القتيبى فى هذا فزعم ان
فتحها يكون كفرا وليس الامر كما ظنه فانها اذا كانت معمولة القول لم يجز واذا تعلقت بغير القول جاز سوا فتحت او كسرت ومثل الفتح قول
ذى الرمة فما هجرتك النفس يا مى انها قلتك ولكن قل منها نصيبها ولكنهم يا املح الناس اولعوا يقولوا اذا ما جئت هذا حبيبها وقال القتيبى
عند ذكر هذه المسئلة اذا قلت هذا قاتل اخى بالتنوين دل على انه لم يقتل واذا قلت هذا قاتل اخى بحذف التنوين دل على انه قتل هذا
غلط باجماع من النحويين لان التنوين قد يحذف وانت تريد الحال والاستقبال قال الله تعالى هديا بالغ الكعبة يريد بالغا الكعبة
وكل نفس ذائقة الموت اى ستذوق المعنى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم يوم القيمة من العقاب ولا هم يحزنون اى لا يغتمون
واختلف فى اولياء الله فقيل هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من سيما الخير والاخبات عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم المتحابون
فى الله ذكر ذلك فى خبر مرفوع وقيل هم الذين امنوا وكانوا يتقون قد بينهم فى الآية التى بعدها عن ابن زيد وقيل هم الذين ادوا فرائض
الله واخذوا بسنن رسول الله وتورعوا عن محارم الله وزهدوا فى عاجل هذه الدنيا ورغبوا عند الله واكتسبوا الطيب من رزق الله
لمعايشهم لا يريدون به التفاخر والتكاثر ثم انفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبه فاولئك الذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا
ويثابون على ما قدموا منه لاخرتهم وهو المروي عن على بن الحسين عم وقيل هم الذين توالت افعالهم على موافقة الحق الذين امنوا اى
صدقوا بالله واعترفوا بوحدانيته وكانوا يتقون مع ذلك معاصيه لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة فيه اقوال احدها ان البشرى
فى الحيوة الدنيا هى ما بشرهم الله تعالى به فى القران على الاعمال الصالحة ونظيره قوله وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم
وقوله يبشرهم ربهم برحمة منه الاية عن الزجاج والفراء وثانيها ان البشارة فى الحيوة الدنيا بشارة الملائكة للمؤمنين عند موتهم بان
لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة عن قتادة والزهرى والضحاك والجبائى وثالثها انها فى الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه

او ترى له وفى الآخرة بالجنة وهى ما يبشرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفى القيمة الى ان يدخلوا الجنة يبشرونهم بها حالا بعد
حال وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وروى ذلك فى حديث مرفوع عن النبى صلى الله عليه وآله وروى عقبة بن خالد عن ابي عبد الله
عليه السلم انه قال يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيمة الا هذا الدين الذي انتم عليه وما بين احدكم وبين ان يرى ما تقر به عينه
الا ان يبلغ نفسه الى هذه واومى بيده الى الوريد الخبر بطوله ثم قال ان هذا فى كتاب الله وقرا الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى
فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة الآية وقيل ان المؤمن يفتح له باب من الجنة فى قبره فيشاهد ما اعد له فى الجنة قبل دخولها لا تبديل لكلمات الله
اى لا خلف لما وعد الله تعالى به من الثواب ولا خلاف فى قوله بوضع كلمة اخرى مكانها بدلا منها انها حق والحق لا خلف فيه بوجه ذلك
هو الفوز العظيم اى ذلك الذي سبق ذكره من البشارة فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة هى النجاة العظيمة التى يصغر فى جنبها كل شئ ولا
يحزنك قولهم ظاهره النهى والمراد به التسلية للنبى صلى الله عليه وآله عن اقوالهم المؤذية وهى مثل قولهم لا اراينك ههنا فمن كان
ههنا راتيه وكذلك المراد بالاية لا تعبأ بازائهم فمن عبابه اذاه ان العزة لله جميعا فيمنعهم منك بعزته ويدفع اذاهم عنك وقيل
معناه لا يحزنك قولهم انك ساحر او مجنون سينصرك الله ويسدخلهم وينتقم منهم لك فانه عزيز قادر عليه هو السميع العليم يسمع
اقوالهم ويعلم ضمايرهم فيجازيهم عليها ويدفع عنك شرهم ويرد كيدهم وضرهم وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما تقدم
ذكر المؤمن والكافر بين عقيبه ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقيل لما ذكر انه يحصى اعمال خلقه بشر من تولاه وذكر ما
اعد لهم ووجه اتصال قوله ولا يحزنك قولهم بما تقدم انه يتصل بقوله وان كذبوك فلا يحزنك قولهم وقل لى عملى ولكم عملكم وقيل
انه يتصل بما قبله فكانه قال اذا كنت من اولياء الله ومن اهل البشارة فلا ينبغى ان تحزن لطعن من يطعن عليك ووجه اتصال قوله
هو السميع العليم بما قبله انه يسمع قولهم ويجازيهم فلا يحزنك قولهم قوله تعالى ألا إنّ لله من في السموات ومن في الارض وما
يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون * هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون اللغة الفرق بين الجعل والفعل ان جعل الشئ قد يكون باحداث غيره كجعل الطين خزفا ولا يكون فعله
الا باحداثه والفرق بين الجعل والتغيير ان تغيير الشئ لا يكون الا بتصييره على خلاف ما كان كجعل الانسان نفسه ساكنا على استدامة
الحال وانما قال والنهار مبصرا وانما يبصر فيه تشبيها ومجازا او استعارة فى صفة الشئ بسببه على وجه المبالغة كما يقال سر كاتم وليل نائم
ومثله قول جرير لقد لمتنا يا ام غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنائم وقال روبة قد نام ليلى وتجلى همى المعنى لما سلى الله سبحانه
نبيه صلى الله عليه وآله بقوله فلا يحزنك قولهم فانهم لا يفوتونني بين بعد ذلك ما يدل على صحته فقال الا ان لله من فى السموات ومن
فى الارض يعنى العقلاء واذا كان له ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم وانما خص العقلاء تفخيما وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء يحتمل ما ههنا وجهين احدهما ان يكون بمعنى اى فكانه قال واى شئ يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء تقبيحا لفعلهم و
الآخر ان تكون نافية اى وما يتبعون شركاء فى الحقيقة ويحتمل وجها ثالثا وهو ان يكون المعنى الذى ويكون منصوبا بالعطف على
من ويكون التقدير والذى يتبع الاصنام الذين يدعونهم من دون الله شركاء فحذف العايد من الصلة وشركاء حال من ذلك
المحذوف وان جعلت ما نفيا فقوله شركاء ينتصب بيدعون والعايد الى الذين الواو فى يدعون ويكون قوله ان يتبعون تكريرا لطول
الكلام ويقف على هذا القول على قوله ومن فى الارض وفى ذلك القول على قوله شركاء ان يتبعون الا الظن اى ليس يتبعون فى اتخاذهم
مع الله شركاء الا الظن لتقليدهم اسلافهم فى ذلك او لشبهة دخلت عليهم بانهم يتقربون بذلك الى الله تعالى وان هم الا
يخرصون اى ليسوا الا كاذبين بهذا الاعتقاد وقوله هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه معناه ان الذى يملك من فى السموات
ومن فى الارض هو الذى خلق الليل لسكونكم ولان يزول التعب والكلال عنكم بالسكون فيه والنهار مبصرا تبصرون فيه وتهتدون
به فى حوائجكم بالابصار ان فى ذلك لآيات اى حججا ودلالات على توحيد الله سبحانه من حيث لا يقدر على ذلك غيره لقوم يسمعون
سماع تدبر وتفهم قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الارض ان عندكم من سلطان
بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون * قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم



حزب ٣ جزو ١١

عشر ع ١٢

ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ثلث آيات الاعراب متاع خبر مبتداء محذوف وتقديره ذلك وهو متاع وقوله لا يفلحون وقف تام ويجوز ان يكون متاع مبتداء محذوف الخبر وتقديره لهم متاع المعنى ثم حكى الله سبحانه عن صنف من الكفار انهم اضافوا اليه اتخاذ الولد وهم طايفتان احديهما كفار قريش والعرب قالوا الملائكة بنات الله والاخرى النصارى الذين قالوا المسيح بن الله فقال سبحانه قالوا اتخذ الله ولدا وانما قال قالوا وان لم يكن سبق ذكرهم لانهم كانوا بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وكان يعرفهم ويصح الكناية عن المعلوم كما يصح عن المذكور سبحانه اى تنزيها له عما قالوا هو الغني عن اتخاذ الولد ثم بين سبحانه الوجه فقال له ما في السموات وما في الارض معناه اذا كان له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا وخلقا فهو غني عن اتخاذ الولد لان الانسان انما يتخذ الولد ليتقوى به من ضعف او ليستغني به من فقر والله سبحانه منزه عن ذلك واذا استحال حقيقة اتخاذ الولد عليه سبحانه استحال عليه اتخاذ الولد على طريق التبني ان عندكم من سلطان بهذا اى ما عندكم من حجة وبرهان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون هذا توبيخ من الله سبحانه لهم على قولهم ذلك ثم بين سبحانه الوعيد لهم على ذلك فقال قل يا محمد ان الذين يفترون على الله الكذب اى يكذبون على الله باتخاذ الولد وغير ذلك لا يفلحون اى لا يفوزون بشيء من الثواب واصل الافتراء من القطع من فري الاديم اى قطعته فمعناه يقطعون الكذب الذي يكذبون به على الله تعالى وقوله متاع في الدنيا معناه لهم متاع في الدنيا يتمتعون بها اياما قلايل ثم تنقضي وقوله ثم الينا مرجعهم ثم الى حكمنا مصيرهم ثم نذيقهم العذاب الشديد وهو عذاب النار بما كانوا يكفرون اى بكفرهم قوله تعالى واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون • فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين • فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين •

ثلث آيات القراءة قرأ يعقوب وحده وشركاؤكم بالرفع وهو قراءة الحسن وابن ابي اسحق وابي عبد الرحمن السلمي وعيسى الثقفي وقرأ الباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة الاعرج وعاصم الجحدري والزهري فاجمعوا امركم مفتوحة الميم موصولة الهمزة من جمع الحجة من قرأ فاجمعوا امركم وشركاؤكم رفعه على العطف على الضمير من غير تأكيد من اجل طول الكلام بقوله امركم واذا جاز في قوله سبحانه ما اشركنا ولا آباؤنا ان يكتفى من طول الكلام بلا وان كانت بعد حرف العطف كان الاكتفاء من التوكيد بما هو اطول من لا وهو ايضا قبل الواو وكما ان التوكيد لو ظهر لكان قبلها احرى فلو قال قايل قم وزيد كان اقبح من ان يقول قمت وزيد وذلك لان المعطوف عليه في قم وزيد ضمير مستكن لا لفظ له فهو اضعف من ضمير المخاطب او المتكلم في قمت وقمت لان له لفظا وهو التاء وقمت وزيد اضعف من قمنا وزيد لان نا من قمنا اتم لفظا من التاء في قمت واما شركاءكم بالنصب فقد قيل انه منصوب على اضمار فعل كانه قال وادعوا شركاءكم قالوا وكذا هو في مصحف ابي وقيل تقديره فاجمعوا امركم واجمعوا شركاءكم لان اجمعوا يدل عليه وذهب المحققون الى انه مفعول معه وتقديره مع شركائكم كما انشد سيبويه وكونوا انتم وبني ابيكم مكان الكليتين من الطحال ويقال اجمعت الامر واجمعت على الامر اى عزمت عليه قال مورج اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه قال ابو الهيثم اجمع امره اذا جعله جميعا بعد ما كان متفرقا قال هل اغدون يوما وامري مجمعا اللغة الغم ضيق الامر الذي يوجب الحزن والغمة والكربة والضغطة والشدة نظاير ونقيضه الفرجة وقيل غمه معطي بعطيه خبره ماخوذ من غم الهلال اذا حال دونه ما يغطيه المعنى ثم امر الله سبحانه نبيه ان يقرأ عليهم اخبار نوح ع فقال واتل عليهم نبأ نوح اى خبره اذ قال لقومه الذين بعث اليهم يا قوم ان كان كبر عليكم اي شق وعظم عليكم مقامي اي اقامتي بين اظهركم وتذكيري اي وعظي وتنبيهي اياكم بآيات الله اى بحججه وبيناته على صحة التوحيد والعدل وبطلان ما يدينون به وفي الكلام حذف هو قوله وعزمتم على قتلي وطردي من بين اظهركم فعلى الله توكلت جعله جواب الشرط مع انه متوكل عليه في جميع احواله ليبين لهم انه متوكل في هذا التفصيل لما في امداد مهم ذلك من زجرهم عنه لان الله تعالى يكفيه امرهم • ومعناه فالى الله فوضت امري وبه وثقت ان يكفيني امركم فاجمعوا امركم وشركاءكم معناه فاعزموا على امركم مع شركائكم واتفقوا

على امر واحد من قبل طردى ولا تضطربوا فيه فتختلف احوالكم فيما تلقوننى به وهذا تهديد فى صورة الامر وقيل معناه اعزموا على
امركم وادعوا شركاءكم فبين ع انه لا يرتدع عن دعائهم مستعينا بالله عليهم واثقا بانه سبحانه يعصمه منهم وقيل اراد بالشركاء
الاوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله وقيل اراد من شاركهم فى دينهم ثم لا يكن امركم عليكم غمة اى حزنا بان تترددوا فيه وقيل
معناه ليكن امركم ظاهرا مكشوفا ولا يكون مغطى مبهما مستورا من غمت الشيء اذا سترته قيل معناه ولا تاتوه من غيران تنشاوروا
ومن غيران يجتمع رايكم عليه لان من حاول امرا من غيران يعلم كيف ينال ذلك كان امره غمة عليه ثم اقضوا الى ولا تنظرون اى امضوا
الى ما تقتلونى ان وجدتم اليه سبيلا ولا تؤخرونى ولا تمهلونى ولا تمهلونى عن ابن عباس وقيل معنى اقضوا افعلوا ما تريدون و
ادخل الى لانه بمعنى اخرجوا من جميع ما قبلكم كما يقال اخرجت اليكم من العهدة وقيل معناه توجهوا الى وروى عن بعضهم انه قراء
ثم افضوا الى اى اسرعوا الى من الفضاء لانه اذا صار الى الفضاء تمكن من الاسراع وهذا كان من معجزات نوح ع لانه كان وحيدا مع
نفر يسير وقد اخبرانهم لا يقدرون على قتله وعلى ان ينزلوا به سوء لان الله تعالى ناصره وحافظه عنهم فان توليتم اى ذهبتم عن الحق
واتباعه ولم تقبلوه ولم تنظروا فيه فما سالتكم عليه من اجر اى لا اطلب منكم على ما اوردته اليكم من الله فيثقل ذلك عليكم وقيل معناه
ان اعرضتم عن قبول قولى لم يضرنى لانى لم اطمع فى مالكم فيفوتنى ذلك بتوليكم عنى وانما يعود الضرر عليكم ان اجرى الا على الله فى القيام
باداء الرسالة وامرت ان اكون من المسلمين اى امرنى الله بان اكون من المستسلمين لامر الله بطاعته تعالى ثقة بانها خير ما يكسبه
العباد فكذبوه يعنى انهم كذبوا نوحا اى نسبوه الى الكذب فيما يذكره من انه نبى الله وان الله بعثه اليهم ليدعوهم الى طاعته فنجيناه
ومن معه فى الفلك اى فى السفينة وجعلناهم خلائف اى جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفا لمن هلك بالغرق وقيل انهم كانوا
ثمانين نفسا وقال البلخى يجوز ان يكون جعلناهم رؤساء فى الارض واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اى اهلكنا باقى اهل الارض اجمع
لتكذيبهم لنوح ع فانظر ايها السامع كيف كان عاقبة المنذرين اى المخوفين بالله وبعذابه اى كيف اهلكهم الله

قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على
قلوب المعتدين * ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما
مجرمين * فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين * قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون
قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين * خمس آيات القراءة

روى حماد ويحيى عن ابى بكر وزيد عن يعقوب ويكون لكما الكبرياء بالياء والباقون بالتاء الحجة الوجه فى الياء ان تانيث الكبرياء
غير حقيقى وقد فصل ايضا بينه وبين الفعل ومن قرا بالتاء فلان لفظه لفظ التانيث اللغة الاجرام اكتساب السيئة واصله
القطع واللفت الصرف عن الامر يقال لفته يلفته لفتا وامراة لفوت ذات زوج ولها ولد من غيره لانها تلفت الى ولدها عنه
المعنى ثم بين سبحانه قصة من بعثه بعد نوح ع فقال ثم بعثنا من بعده اى من بعد نوح واهلاك قومه رسلا يريد ابرهيم
وهودا وصالحا ولوطا وشعيبا الى قومهم الذين كانوا فيهم بعد ان تناسلوا وكثروا فجاؤهم بالبينات اى فاتوهم بالبراهين والمعجزات
الدالة على صدقهم الشاهدة بنبوتهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل اى لم يكونوا ليصدقوا يعنى اولئك الاقوام الذين بعث
اليهم الرسل بما كذبت به اوائلهم الذين هم قوم نوح اى كانوا امثالهم فى الكفر والعتو وقيل معناه لم يكن منهم من يؤمن من بعد هذه
الايات بما كذبوا به من قبلها بل كانت الحالتان سواء عندهم قبل البينات وبعدها عن ابى مسلم والبلخى كذلك نطبع على قلوب المعتدين
اى نجعل على قلوب الظالمين لنفوسهم الذين تعدوا حدود الله سمة وعلامة على كفرهم يلزمهم الذم بها وتعرفهم بها الملائكة كما فعلنا
ذلك بقلوب هؤلاء الكفار وقد مر معانى الطبع والختم فيما تقدم ثم بعثنا من بعدهم اى من بعد الرسل او من بعد الامم موسى
وهرون عليهما السلم نبيين مرسلين الى فرعون وملائه اى رؤساء قومه باياتنا اى بادلتنا ومعجزاتنا فاستكبروا عن الانقياد لها
والايمان بها وكانوا قوما مجرمين عاصين لربهم مستحقين للعقاب الدائم فلما جاءهم اى جاء قوم فرعون الحق من عندنا يعنى ما اتى به
موسى من المعجزات والبراهين قالوا ان هذا لسحر مبين اى ظاهر قال موسى لهم اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا اى اتقولون للمعجزات

سحر والسحر باطل والمعجز حق وهما متضادان ولا يفلح الساحرون اى لا يظفرون بحجة ولا ياتون على ما يدعون ببينه وانما هو تمويه
على الضعفه قالوا يعني قال فرعون وقومه لموسى اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا اى لتصرفنا عن ذلك وتكون لكما الكبرياء
اي الملك عن مجاهد وقيل العظمة والسلطان والاصل ان الكبرياء استحقاق صفة الكبرياء على المراتب فى الارض اى فى ارض مصر
وقيل انه اسم الجنس والمراد به الانكار وان كان اللفظ لفظ الاستفهام تعلقوا بالشبهة فى انهم على راى اباءهم وان من دعاهم
الى خلافه فظاهر امره انه يريد التامر عليهم وما نحن لكما بمؤمنين اى بمصدقين فيما تدعيانه من النبوة قوله تعالى وقال فرعون
ائتوني بكل ساحر عليم * فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون * فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله
سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين * ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون * اربع آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم بكل سحار بالتشديد
والباقون ساحر على وزن فاعل وقرا ابو جعفر وابو عمرو السحر بقطع الالف ومدها على الاستفهام والباقون السحر موصولة على الخبر
الحجة قد بينا الوجه فى سحار وساحر فى سورة الاعراف واما قوله السحر فان ما فى قوله ما جئتم به فى موضع رفع بالابتداء وجئتم
فى موضع رفع بانه خبر المبتداء والكلام استفهام والسحر بدل من ما المبتداء ولزم ان يلحق السحر الاستفهام ليساوى المبدل منه فى انه
استفهام الا ترى انه ليس فى قولك السحر استفهام وعلى هذا قالوا كم مالك اعشرون ام ثلثون فجعلت العشرون والثلثون بدلا من كم
والحقت ام لانك فى قولك كم درهما مالك مدع ان له مالا كما انك فى قولك اعشرون ام ثلثون مدع انه احد الشيئين ولا يلزم ان يضمر
للسحر خبرا على هذا لانك اذا ابدلت من المبتداء صار فى موضعه فصار ما كان خبرا لما ابدلت منه فى موضع خبر البدل ومن قرا
ما جئتم به السحر كان ما فى قوله موصولا وجئتم به الصلة والهاء المجرورة عايدة الى الموصول وخبر المبتداء الذي هو الموصول
السحر ومما يقوى هذا الوجه ما زعموا انه فى حرف عبد الله ما جئتم به سحر فعلى هذا يكون تقديره الذي جئتم به السحر على الوجه
الاول ويجوز ان يكون ما استفهاما فتقديره اى شيء جئتم به السحر واما وجه الاستفهام مع علم موسى ع انه سحر فانه مثل قوله ءانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فى انه للتقريع المعنى وقال فرعون حكى الله سبحانه عن فرعون انه حين اعجزه
المعجزات التى ظهرت لموسى ع ولم يكن له فى دفعها حيله قال لقومه ائتوني بكل ساحر عليم بالسحر بليغ فى علمه وانما طلب فرعون
كل ساحر ليتعاونوا على دفع ما اتى به موسى ع حتى لا يفوته شيء من السحر يتاخر بعضهم وانما فعل ذلك لجهله بان ما اتى به موسى ع
من عند الله ليس بسحر وبعد ذلك علم انه ليس بسحر فعاند كما قال سبحانه لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر وقيل انه علم انه ليس بسحر ولكنه ظن ان السحر يقارنه لشبهته فلما جاء السحرة الذين طلبهم فرعون وامر باحضارهم وموسى
حاضر قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون وفى الكلام حذف يدل عليه الظاهر تقديره فلما اتوه بالسحرة وبالحبال والعصى قال
لهم موسى القوا اي اطرحوا ما جئتم به وقيل معناه افعلوا ما انتم فاعلون وهذا ليس بامر بالسحر ولكنه قال ذلك على وجه التحدي
والالزام اى من كان عنده ما يقاوم المعجزات فليلقه وقيل انه امر على الحقيقه بالالقاء ليظهر بطلانه وانما لم يقتصر على قوله القوا
لانه اراد القوا جميع ما انتم ملقون فى المستانف فلو اقتصر على القوا ما ورد هذا المعنى والالقاء اخراج الشيء عن اليد الى جهة
الارض ويشبه بذلك قولهم القى عليه مسئلة والقى عليه رداء فلما القوا اى فلما القت السحرة سحرهم قال موسى ع ما جئتم به
من الحبال والعصى السحر ادخل عليه الالف واللام للعهد لانهم لما قالوا لما اتى به موسى ع انه سحر قال لهم انما جئتم به هو السحر عن الفراء
ان الله سيبطله اى سيبطل هذا السحر الذي تعملتموه ان الله لا يصلح عمل المفسدين معناه ان الله لا يهيئ عمل من قصد افساد
الدين ولا يمضيه ويبطله حتى يظهر الحق من الباطل والمحق من المبطل ويحق الله الحق اى يظهر الله الحق ويحققه ويثبته وينصر
اهله بكلماته قيل فيه اقوال احدها ان معناه بوعده موسى ع وكان وعده النصر والخير عن الحسن وثانيها ان معناه بكلامه
الذي يبين به معانى الايات التى اتاها نبيه صلى الله عليه وآله عن الجبائى وثالثها بما سبق من حكمه فى اللوح المحفوظ بان ذلك
يكون ولو كره المجرمون ظهور الحق وابطال الباطل وفى هذه الاية دلالة على انه تعالى ينصر المحقين كلهم فى حقهم بذلك على
وجهين احدهما بالحجة فهذه النصرة مستمرة على كل حال والثانى بالغلبة والقهر وهذا يختلف بحسب المصلحة لان المصلحة

قد تكون بالتخلية تارة وبالحيلولة اخرى قوله تعالى فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ
وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ * وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ
فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * اربع آيات اللغة
الذرية الجماعة من نسل القبيله وقد تقدم القول فى اصلها ووزنها والفتنة اصلها البلية وهى معاملة تظهر الامور الباطنه يقال
فتنت الذهب اذا احرقته بالنار ليظهر الخلاص وقوله يوم هم على النار يفتنون اى يحرقون لما فيه من اظهار حالهم فى الضلال وقوله
والفتنة اشد من القتل معناه التعذيب للرد عن الدين لما فيه من اظهار النصرة اشد الاعراب يا قوم حذفت منه ياء الاضافة اجتزاء
بالكسرة منها وهو فى النداء احسن من اثباتها لقوة النداء على التغير والفاء فى قوله فقالوا فاء العطف جواب الامر كما يقول قال السايل
كذا فقال المجيب كذا وانما جازت الفاء فى الجواب ولم يجز الواو لان الفاء ترتب من غير مهلة فهى موافقة لمعنى جواب الثانى بالاول
وليس كذلك الواو المعنى ثم بين سبحانه من آمن من قوم موسى ع فقال فما آمن لموسى اى لم يصدق موسى فيما ادعى من النبوة مع ما
اظهر من المعجزات الظاهرة الا ذرية من قومه اى اولاد من قوم فرعون وقيل انه اراد من قوم موسى ع وهم بنوا اسرائيل الذين كانوا
بمصر واختلف من قال بالاول فقيل انهم قوم كانت امهاتهم من بنى اسرائيل واباءهم من القبط فاتبعوا امهاتهم واخوالهم عن
ابن عباس وقيل انهم ناس يسير من قوم فرعون منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وجاريته وامرأته هى ماشطة امرأة فرعون عن
ابن عباس وقيل انهم بعض اولاد القبط لم يصحب اباؤهم موسى واختلف من قال بالثانى فقيل هم جماعة من بنى اسرائيل اخذهم فرعون
لتعلم السحر وجعلهم من اصحابه فاسلموا بموسى عن الجبائى وقيل اراد بنى اسرائيل وكانوا ستماية الف وكان يعقوب دخل مصر فيهم وهم
اثنين وسبعين انسانا فتوالدوا حتى بلغوا ستماية الف وانما سماهم ذرية على وجه التصغير لضعفهم عن ابن عباس فى رواية اخرى
وقال مجاهد اراد بهم اولاد الذين ارسل اليهم موسى ع من بنى اسرائيل لطول الزمان هلك الاباء وبقى الابناء على خوف من فرعون يعنى
امنوا وهم خايفون من معرة فرعون وملائهم اى من اشرافهم ورؤسائهم قال الزجاج وانما جاز ان يقال وملائهم لان فرعون ذو
اصحاب ياتمرون له وقيل ان الضمير فى ملائهم راجع الى الذرية لان اباءهم كانوا من القبط فكانوا يخافون قومهم من القبط ان يردوهم
عن دينهم ويعذبوهم ان يفتنهم اى يصرفهم عن الدين يعنى ان يمتحنهم بمحنة لا يمكنهم الصبر عليها فينصرفون عن الدين وكانوا جنود
فرعون يعذبون بنى اسرائيل فكان خوفهم منه ومنهم وان فرعون لعال فى الارض اى مستكبر باغ فى ارض مصر ونواحيها وانه
لمن المسرفين اى المجاوزين الحد فى العصيان لانه ادعى الربوبية واسرف فى القتل والظلم والاسراف التجاوز عن الحد فى كل شئ وقال
موسى لقومه الذين آمنوا به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله كما تظهرون فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين اى فاسندوا اموركم الى الله ان كنتم
مسلمين على الحقيقة وانما اعاد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم امنتم بالله لتبيين المعنى باجتماع الصفتين التصديق والانقياد
اى ان كنتم آمنتم بالله فاستسلموا اليه وفايدة الاية بيان وجوب التوكل على الله عند نزول الشدة والتسليم لامره ثقة بحسن تدبيره و
انقطاعا اليه فقالوا على الله توكلنا اخبر سبحانه عن حسن طاعتهم له وانهم قالوا اسندنا امورنا الى الله واثقين به ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين اى لا تمكن الظالمين من ظلمنا بما يحملنا على اظهار الانصراف عن ديننا عن مجاهد وقيل معناه ربنا لا تظهر علينا
فرعون وقومه فيفتتن بنا الكفار ويقولوا لو كانوا على الحق لما ظهرنا عليهم عن الحسن وابى مجلد وروى زرارة ومحمد بن مسلم عن ابى جعفر
وابى عبد الله عليهما السلم ان معناه لا تسلطهم علينا فيفتنهم بنا ونجنا اى وخلصنا برحمتك من القوم الكافرين اى من قوم فرعون
واستعبادهم اباءنا واخذهم جماعتنا بالاعمال الشاقه والمهن الخسيسه قوله تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا
بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * ثلث آيات القراءة
قرا ابن عامر ولا تتبعان خفيفة النون والباقون بالتشديد الحجة من قرا بالنون الشديدة وكسرها لوقوعها بعد الف التثنية

نصف الحزب

فاشبهت نون الاثنين فی رجلان ولم یعتد بالنون الساکنه قبلها لسکونها وخفتها فصارت المکسورة کانها ولیت الالف ومن قرا
بالتخفیف فانه یمکن ان یکون خفف الثقیلة للتضعیف کما خففوا رب وان ونحوهما الا انه حذف الاولی من المثلین کما ابدلوا الاولی
من المثلین فی نحو قراط ودینار ولزم ذلک فی هذا الموضع لان لحذف لو لحق الثانیة للزم التقاء التقاء الساکنین والتقاء الساکنین علی هذا
الحد غیر ماخوذ به عند العامة وان شئت کان علی لفظ الخبر والمعنی الامر کقوله یتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا تضار والدة بولدها ای
لا ینبغی ذلک وان جعلته حالا من استقیما والتقدیر استقیما غیر متبعین ویدل علی ذلک قول الشاعر فلا اسقی ولا یسقی شربی ویرویه
اذا اوردت بابلی وکقول الفرزدق بایدی رجال لم یسلوا سیوفهم ولم یکثر القتلی بهم حین سلت اللغة تبوا ای اتخذ یقال
تبوأ لنفسه بیتا ای اتخذه وابوأت له بیتا ای اتخذته ویقال ان تبوا وبوا بمعنی ای اتخذ بیتا مثل بدل وتبدل وخلص وتخلص
قال ابو علی تبوا فعل یتعدی الی مفعولین واللام فی لقومکما آی الطمس محو الاثر یقال طمست عینه اطمسها طمسا وطموسا وطمست
الریح اثار الدیار والطمس تغیر الی الدثور والدروس قال کعب بن زهیر من کل نضاحة الذفری اذا عرفت عرضتها طامس الاعلام مجهول
الاعراب مصر غیر منصرف لانه مؤنث معرفة ولو صرفت لخفتها کما تصرف هند لکان جائزا وترک الصرف اقیس وقوله بیوتا مفعول به لیس
لظرف مکان لاختصاصه والبیوت هنا کالغرف فی قوله لنبوئنهم من الجنة غرفا فلا یؤمنوا یحتمل وجهین من الاعراب النصب والجزم
واما النصب ففیه وجهان احدهما ان یکون علی جواب صیغة الامر بالفاء والاخران یکون عطفا علی لیضلوا ای لیضلوا فلا یؤمنوا وهذا
قول المبرد وعلی هذا فیکون قوله ربنا اطمس علی اموالهم واشدد علی قلوبهم اعتراضا واما الجزم فیکون علی وجه الدعاء علیهم وتقدیره
فلا امنوا ومثله قول الاعشی فلا ینبسط من بین عینیک ما انزوی ولا تلقنی الا وانفک راغم المعنی واوحینا الی موسی واخیه ای امرناهما ان
تبوا لقومکما بمصر بیوتا ای اتخذا لمن آمن بکما بمصر یعنی البلدة المعروفة بیوتا یسکنونها ویأوون الیها واجعلوا بیوتکم قبلة اختلف فی
تاویل ذلک فقیل لما دخل موسی ع مصر بعد ما اهلک الله فرعون امروا باتخاذ المساجد یذکروا فیها اسم الله تعالی وان یجعلوا
مساجدهم نحو القبلة ای الکعبة عن الحسن ونظیره فی بیوت اذن الله ان ترفع وقیل ان فرعون امر بتخریب مساجد بنی اسرائیل
ومنعهم من الصلوة فامروا ان یتخذوا مساجد فی بیوتهم یصلون فیها خوفا من فرعون وذلک قوله واجعلوا بیوتکم قبلة ای صلوا فی
بیوتکم لتأمنوا من الخوف عن ابن عباس ومجاهد والسدی وغیرهم وقیل معناه اجعلوا بیوتکم یقابل بعضها بعضا عن سعید بن جبیر
واقیموا الصلوة ای ادیموها وواظبوا علی فعلها وبشر المؤمنین بالجنة وما وعدالله لهم من الثواب وانواع النعم والخطاب لموسی ع عن ابی
مسلم وقیل الخطاب لمحمد ص وقال موسی ربنا انک اتیت فرعون وملأه ای اعطیت فرعون وقومه زینة یتزینون بها من الحلی والثیاب
وقیل الزینة الجمال وصحة البدن وطول القامة وحسن الصورة واموالا یتعظمون بها فی الحیوة الدنیا وانما اعطاهم الله تعالی ذلک
الانعام علیهم مع تعریضه من وجوه الفساد ربنا لیضلوا عن سبیلک اللام لام العاقبة وعاقبة امرهم ان یضلوا عن سبیلک ولا یجوز
ان یکون لام العاقبة لانا قد علمنا بالادلة الواضحة ان الله لا یبعث الرسول لیامر الخلق بالضلال ولا یرید ایضا منهم الاضلال وکذلک لا یؤتیهم
المال لیضلوا وقیل معناه لئلا یضلوا عن سبیلک فحذفت لا کقوله شهدنا ان یقولوا یوم القیمة ای لئلا یقولوا وحذف ذلک لدلالة العقل
علیه وقیل انه لام الدعاء والمعنی ابتلهم علی البقاء علی ماهم علیه من الضلال وانما قال ذلک لعلمه بانهم لا یؤمنون من طریق الوحی وفایدته
اظهار التبری منهم کما یلعن ابلیس ویدل علیه انه اعاد قوله ربنا اطمس علی اموالهم فدل ذلک علی انه اراد به الدعاء علیهم والمراد بالطمس علی الاموال
تغییرها عن جهتها الی جهة لا ینتفع بها قال مجاهد وقتادة وعامة اهل التفسیر صارت جمیع اموالهم حجارة حتی السکر والفانید واشدد
علی قلوبهم معناه ثبتهم علی المقام ببلدهم بعد اهلاک اموالهم فیکون ذلک اشد علیهم وقیل معناه امتهم بعد سلب اموالهم واهلکهم وقیل
انه عبارة عن الخذلان والطبع فلا یؤمنوا حتی یروا العذاب الالیم قد ذکرنا وجوهه وقیل معناه انهم لا یؤمنون ایمان الجاء حتی یروا
العذاب وهم مع ذلک لا یؤمنون ایمان اختیار اصلا ثم اخبر سبحانه انه اجاب لهم الدعوة فقال قال ای قال الله لموسی وهرون قد اجیبت
دعوتکما انما قال دعوتکما والداعی کان موسی ع لانه کان یدعو وکان هرون یؤمن علی دعائه فسماهما داعیین عن عکرمة والربیع وابی العالیة
واکثر المفسرین وکان معنی التامین اللهم استجب هذا الدعاء فاستقیما ای اثبتا علی ما امرتما من دعاء الناس الی الایمان بالله تعالی

کالتی فی قوله ردف لکم ویقوی ذلک قوله واذ بوأنا
لابرهیم مکان البیت فدخلت اللام علی غیر المطاوع
کما دخل علی المطاوع فی قوله ان تبوا لقومکما ح

والانذار والوعظ قال ابن جريج مكث فرعون بعد هذا الدعاء اربعين سنة وروى ذلك عن ابي عبد الله ع ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون نهاهما سبحانه عن ان يتبعا طريقة من لا يؤمن بالله ولا يعرفه ولا يعرف انبياءه عليهم السلم قوله تعالى وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ
الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً
وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ۞ ثلث آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم امنت انه بكسر الالف والباقون بالفتح
وروى عن ابي جعفر ونافع الان بالقاء حركة الهمزة على اللام وحذف الهمزة وقرا ننجيك خفيفة قتيبة ويعقوب وسهل والباقون
ننجيك بالتشديد وفي الشواذ قراءة ابي بن كعب ومحمد بن السميفع ننحيك بالحاء الحجة قال ابو علي من قرا آمنت انه بالفتح فلان هذا
الفعل يصل بحرف الجر في نحو يؤمنون بالغيب فلما حذف الحرف وصل الفعل الى ان فصار في موضع نصب او جر على الخلاف في ذلك
ومن قال آمنت انه بالكسر حمله على المفعول المضمر كانه امنت فقلت انه واضمار القول في هذا النحو كثير قال علي بن عيسى من كسر انه
جعله بدلا من امنت ومن فتح جعله مفعول امنت واما الآن فان لام المعرفة اذا دخلت على كلمة اولها همزة فخففت الهمزة كان في تخفيفها
وجهان احدهما ان تلقى حركتها على اللام وتقر همزة الوصل فيقال الحمر وقد حكى ذلك سيبويه وحكى الحسن ان ناسا يقولون لحمر فيحذفون
الهمزة التي للوصل قال وقد كنت تخفى حب سمراء خفية فبح لان منها بالذي انت بايح فاسكن الحاء لما كانت اللام متحركة ولو لم
يعتد بالحركة كما لا يعتد بها في الوجه الاول تحرك الحاء بالكسر كما تحرك في بح فاليوم ننجيك ونجيك في معنى واحد اي نلقيك
على نجوة من الارض قال اوس بن حجر فمن بنجوته كمن بعقوته والمستكن كمن يمشي بقرواح والقرواح حيث لا ماء ولا شجر ومن قرا
ننحيك بالحاء فانه تفعلك من الناحية اي نجعلك في ناحية ومنه نحيت الشيء فتنحى اي باعدته فتباعد فصار في ناحية قال
الحطيئة تنحى فاجلس مني بعيدا اراح الله منك العالمينا اللغة المجاوزة الخروج عن الحد من احدى الجهات الاربع لا تباع طلب
اللحاق بالاول اتبعه اتباعا وتبعه وحكى ابو عبيدة عن الكسائي انه قال اذا اريد انه اتبعهم خيرا او شرا قال بقطع الهمزة فاذا اريد
به انه اقتدى بهم واتبع اثرهم قالوا بتشديد التاء ووصل الهمزة والبغي طلب الاستعلاء بغير حق والعدو والعدوان الظلم
والنجوة الارض لا يعلوها السيل واصلها من الارتفاع الاعراب بغيا وعدوا مفعول له وقيل انهما مصدران في موضع الحال
اي حال البغي والعدوان الان فصل بين الزمان الماضي والمستقبل مع انه اشارة الى الحاضر ولهذا بني كما بني ذا وعرف الان بالالف
واللام وامنت تتضمن حروف التعريف لان ما مضى بمنزلة المضمر في المعنى في انه ليس له صورة والحاضر في معنى المصرح في صحة
الصورة والعامل في قوله الان محذوف وتقديره الان آمنت المعنى ثم بين سبحانه مآل امر فرعون وقومه فقال وجاوزنا ببني
اسرائيل البحر اي عبرنا بهم البحر حتى جاوزوه سالمين بان يبسنا لهم البحر وفرقنا الماء اثني عشر فرقا فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا
وعدوا اي ليبغوا عليهم ويظلموهم وذلك ان الله سبحانه لما اجاب دعاء موسى ع امره باخراج بني اسرائيل من مصر ليلا فخرج وتبعهم
فرعون وجنوده مشرقين حتى انتهوا البحر وامر الله موسى فضرب البحر بعصاه فانفرق اثني عشر فرقا فصار لكل سبط طريق يابس
وارتفع الماء بين كل طريق كالجبل وصار الماء شبه الخروق فجعل بعضهم ينظر الى بعض فلما وصل فرعون بجنوده الى البحر ورأوا البحر
بتلك الهيئة هابوا دخول البحر وكان فرعون على حصان ادهم فجاء جبرائيل ع على فرس وديق فخاض البحر وميكائيل يسوقهم
فلما شم ادهم فرعون ريح فرس جبرائيل انسل خلفه في الماء واقتحمت الخيول خلفه فلما دخل اخرهم البحر وهم اولهم ان يخرج انطبق
الماء عليهم حتى اذا ادركه الغرق اي وصل اليه الغرق وايقن بالهلاك قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وانا من
المسلمين وكان ذلك ايمان الجاء لا يستحق به الثواب فلم ينفعه ايمانه الان وقد عصيت قبل فيه اضمار اي قيل له الآن امنت
حين لا ينفع الايمان ولا يقبل لانه حال الالجاء وقد عصيت بترك الايمان فهلا آمنت قبل ذلك وكنت من المفسدين في الارض بقتل
المؤمنين وادعاء الالهية وانواع الكفر واختلف في قايل هذا القول فقيل قاله جبرئيل ع وقيل ذلك كلام الله تعالى قاله على وجه الاهانة
والتوبيخ وكان ذلك معجزة لموسى ع وروى علي بن ابرهيم بن هاشم باسناده عن الصادق ع قال ما اتى جبرئيل ع رسول الله صلى الله عليه وآله

الا كئيبا حزينا ولم يزل كذلك منذ اهلك الله فرعون فلما امر الله سبحانه بنزول هذه الآية نزل وهو ضاحك مستبشر فقال له حبيبي
ما ابتسمت الا وتبينت الحزن بين عينيك حتى الساعة قال نعم يا محمد لما غرق الله فرعون قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا
اسرائيل فاخذت حماة فوضعتها في فيه ثم قلت له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم خشيت ان تلحقه الرحمة من عند الله
ويعذبني على ما فعلت فلما كان الآن وامرني الله ان اؤدي اليك ما قلته انا لفرعون امنت وعلمت ان ذلك كان رضاء الله تعالى فاليوم
ننجيك ببدنك واختلف في معناه فقال اكثر المفسرين معناه لما غرق الله فرعون وقومه انكر بعض بني اسرائيل غرق فرعون وقالوا
هو اعظم شانا ان يغرق فاخرجه الله حتى يرونه فذلك قوله فاليوم ننجيك اى نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع
ببدنك اى بجسدك من غير روح وذلك انه طفا عريانا وقيل معناه نخلصك من البحر وانت ميت والبدن الدرع قال ابن عباس
كانت عليه درع من ذهب يعرف بها فالمعنى نرفعك فوق الماء بدرعك المشهورة ليعرفوك بها لتكون لمن خلفك آية اى لتكون
نكالا لمن خلفك فلا يقولوا مثل مقالتك وقيل انه كان يدعى انه رب فبين الله امره وانه عبد وفيه من الآية انه غرق مع القوم
واخرج هو من بينهم وذلك آية عن الزجاج وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون يعني كثيرا من الناس عن التفكر في دلالتنا والتدبر
لحججنا وبيناتنا غافلون اى ذاهبون قوله تعالى ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا
حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ٭ آية الاعراب المبوأ يجوز ان يكون مصدرا
ويجوز ان يكون المفعول الثاني من بوأت على هذا محذوفا كما حذف من قوله وبوأكم في الارض ويجوز ان ينتصب المبوأ نصب المفعول
على الاتساع وان كان مصدرا فقد اجاز ذلك سيبويه في قوله فاما الضرب فانت ضارب المعنى ثم بين سبحانه حال بني اسرائيل بعد
اهلاك فرعون فقال ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق اخبر سبحانه عن نعمه عليهم بعد ان انجاهم واهلك عدوهم يقول مكناهم مكانا
محمودا وهو بيت المقدس والشام وانما قال مبوأ صدق لان فضل ذلك المنزل على غيره من المنازل كفضل الصدق على الكذب وقيل معناه انزلناهم
في موضع خصب وامن يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة وقال الحسن يريد به ارض مصر وذلك ان موسى عم عبر ببني اسرائيل البحر
ثانيا ورجع الى مصر وتبوأ مساكن آل فرعون وقال الضحاك هو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات اى من الاشياء اللذيذة
وهذا يدل على سعة ارزاق بني اسرائيل فما اختلفوا حتى جاءهم العلم معناه فما اختلفوا في تصديق محمد صلى الله عليه وآله يعني اليهود
وكانوا مقرين به قبل مبعثه حتى جاءهم العلم وهو القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله عن ابن عباس وقال الفراء العلم محمد صم
لانه كان معلوما عندهم بنعته فلما جاءهم اختلفوا في تصديقه فكفر به اكثرهم وقيل ان معناه فما اختلف بنوا اسرائيل الا من بعد
ما جاءهم العلم بالحق على يد موسى وهرون فانهم كانوا مطبقين على الكفر قبل مجيء موسى عم فلما جاءهم آمن بعضهم وثبت على الكفر بعضا
فصاروا مختلفين ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون هذا اخبار منه تعالى بانه هو الذي يتولى الحكم بينهم يوم
القيمة في الامور التي يختلفون فيها لان مع البقاء للتكليف لا يرتفع الخلاف قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل
الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ٭ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون
من الخاسرين ٭ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم ٭ ثلث آيات القراءة
قد تقدم اختلاف القراء في كلمة وكلمات والوجه في ذلك اللغة الامتراء طلب الشك مع ظهور الدليل وهو من مري الضرع وهي
مسحه ليدر فلا معنى لمسحه بعد دروره بالحلب الاعراب النون في قوله لا تكونن للتاكيد وهي تدخل في غير الواجب لانك لا تقول
انت تكونن ودخلت في القسم على هذا الوجه لانه طلب بالقسم التصديق وانما بني الفعل مع نون التاكيد لانها ركبت مع الفعل
لا على تقدير كلمتين كل واحدة مركبة مع الاخرى مع ان الاولى ساكنة واقتضت حركة بناء لالتقاء الساكنين ولو جاءتهم كل آية قال
الاخفش انث كل لانها مضافة الى مؤنث ولفظ كل للمؤنث والمذكر سواء والرؤية في الآية رؤية العين لانها تعدت الى مفعول واحد
والعذاب وان كان لما يحصل لا يصح ان يرى فانه يرى اسبابه فهو بمنزلة ما يرى المعنى ثم بين سبحانه صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله
فقال فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك اختلف المفسرون في معناه على اقوال اولها قال

الزجاج ان هذه الاية كثر سوال الناس عنها وخوضهم فيها وفى السورة مايدل على بيانها قال الله يخاطب النبى صلى الله عليه وآله وذلك
الخطاب شامل للخلق والمعنى فان كنتم فى شك فاسئلوا والدليل عليه قوله فى اخر السورة يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا اعبد
الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم فاعلم الله سبحانه ان نبيه ع ليس فى شك ومثل هذا قوله يا ايها النبى اذا
طلقتم النساء فقال طلقتم والخطاب ليس للنبى صلى الله عليه وآله وحده وهذا مذهب الحسن وابن عباس واكثر اهل التاويل وروي
عن الحسن وقتادة وسعيد بن جبير انهم قالوا ان النبى صم لم يشك ولم يسئل وهو المروى عن ابى عبد الله ع وثانيها ان الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وآله وان لم يشك وعلم سبحانه انه غير شاك ولكن الكلام خرج مخرج التقرير والافهام كما يقول القايل لعبده ان كنت
عبدى فاطعنى ولابيه ان كنت والدى فتعطف على ولولده ان كنت ولدى فبرنى يريد بذلك المبالغة وربما خرجوا فى المبالغة الى ما
يستحيل كقولهم بكت السماء لموت فلان اى لو كان يبكى سماء على ميت لبكت عليه وكذلك ههنا يكون المعنى لو كنت ممن يشك
فشككت فسئل الذين يقرؤن من قبلك عن الفراء وغيره وثالثها ان المعنى فان كنت ايها المخاطب وايها السامع فى شك مما انزلنا
اليك على لسان نبينا محمد ص فيكون الخطاب لغيره ورابعها ما ذكره الزجاج انه يجوز ان يكون ان فى معنى ما فيكون المعنى ما كنت
فى شك مما انزلنا اليك على لسان فسئل الذين يقرؤن الكتاب اى لسنا نريد بامرك ان تسئل لانك شاك ولكن لتزداد ايمانا كما
قال ابرهيم حين قال له اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى فالزيادة فى التعريف ليست مما يبطل صحة العقيدة وانما امر سبحانه بسؤال
اهل الكتاب مع جحد اكثرهم لنبوته ترفيه قولان احدهما انه امر بان يسال مؤمنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وتميم
الداري واشباههم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والآخر ان المراد سلهم عن صفة النبى المبشر به فى كتبهم ثم انظر فيما وافق تلك
الصفة وهذا القول اقوى لان هذه السورة مكية وابن سلام وغيره انما اسلموا بالمدينة وقال الزهري ان هذه الآية نزلت فى السماء
فان صح ذلك فقد كفى المونة رواه اصحابنا ايضا عن ابى عبد الله ع وقيل ايضا ان المراد بالشك الضيق والشدة بما يعاينه من تعنتهم
واذاهم اى ان ضقت ذرعا بما تلقى من اذى قومك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذى قومهم واصبر
كذلك لقد جاءك الحق من ربك يعنى بالحق القرآن والاسلام فلا تكونن من الممترين اى الشاكين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله
فلا يصدق بها فتكون من الخاسرين فانك ان فعلت ذلك كنت من الخاسرين ولم يقل من الكافرين لان الانسان قد علم شدة تحسره
وتاسفه على خسران ماله فكيف اذا خسر دينه ونفسه ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون معناه ان الذين اخبر الله عنهم
بغير شرط انهم لا يؤمنون فنفى الايمان عنهم ولم ينف عنهم القدرة عليه فان نفى الفعل لا يكون نفيا للقدرة عليه كما ان الله سبحانه
نفى عن نفسه مغفرة المشركين ولم يكن ذلك نفيا للقدرة على مغفرتهم وقيل معناه ان الذين وجب عليهم سخط ربك عن قتادة
وقيل معناه وجب عليهم وعيد ربك ولو جاءتهم كل آية اى كل معجزة ودلالة مما يقترحونها حتى يروا العذاب الاليم الموجع فيصيروا ملجئين
الى الايمان وفى هذا اعلام بانه هؤلاء الكفار لا لطف لهم فى المعلوم يؤمنون عنده ايمان اختيار قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت
فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي فى الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين ● آية الاعراب
لولا بمعنى هلا وهى تستعمل على وجهين احدهما التحضيض والاخر التانيب كقولك فى التحضيض هلا تاتى زيدا لحاجتك وفى التانيب
هلا امتنعت من الفساد الذي دعيت اليه قال الشاعر تعدون عقر النيب افضل مجدكم بنى ضوطرى لولا الكمي المقنعا اى هلا
تعدون الكمى كانت قرية كان هذه التامة لا تحتاج الى خبر وامنت فنفعها ايمانها صفة لقرية فان الجملة تقوم مقام الصفة للنكرة
الا قوم يونس استثناء متصل واقع على المعنى لا على ظاهر اللفظ فكانه قال هلا آمن اهل قرية والجميع مشركون فى هذا العتاب وقوم
يونس مستثنى من الجميع ومثل هذا الاستثناء فى قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم الا قوم يونس قيل ان معناه هلا كان
اهل قرية امنوا فى وقت ينفعهم ايمانهم اولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم وقال الزجاج الا قوم يونس
استثناء منقطع وتقديره لكن قوم يونس لما امنوا ومثله قول النابغة وقفت فيها اصيلالا اسائلها اعيت جوابا وما بالربع
من احد الا اوارى لاما ما ابينها والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد وحكى الفراء فى البيت الا اوارى ما ابينها وقال جمع الشاعر بين ثلثة

احرف فی النفی لا وان وما وقرا بعضهم یونس ویوسف بکسر النون والسین اراد ان یجعل الاسمین عربیین مشتقین من آسف وآنس
وهو شاذ المعنى لما ذکر سبحانه ان ایمان فرعون لم یقبل عند معاینة العقاب وصل ذلک بذکر ایمان قوم یونس قبل نزول العذاب فقال
فلولا کانت قریة آمنت فنفعها ایمانها الا قوم یونس قیل ان معناه فهلا کان اهل قریة آمنوا فی وقت ینفعهم ایمانهم اعلم الله سبحانه
ان الایمان لا ینفع عند وقوع العذاب ولا عند حضور الموت الذی لا یشک فیه لکن قوم یونس لما آمنوا کشفنا عنهم العذاب عن الزجاج
قال وقوم یونس لم یقع بهم العذاب وانما رأوا الآیة التی تدل علی العذاب فمثلهم مثل العلیل الذی یتوب فی مرضه وهو یرجو العافیة
ویخاف الموت وقیل معناه لم یکن فیما خلا ان یؤمن اهل قریة باجمعهم حتی لا یشذ منهم احد الا قوم یونس فهلا کانت القری کلهم
هکذا عن الجبائی وقیل معناه فما کانت قریة آمنت فنفعها ایمانها ای یدل لم یکن هذا معروفا بانه من الامم من کفرت ثم آمنت عند نزول
العذاب وکشف عنهم ای لم افعل هذا بامة قط الا قوم یونس لما آمنوا عند نزول العذاب بهم کشفت عنهم العذاب بعد ما تدلی
علیهم وهو قوله کشفنا عنهم عذاب الخزی فی الحیوة الدنیا عن قتادة وابن عباس فی روایة عطاء وقیل انه اراد بقوله فلولا کانت قریة
آمنت قوم ثمود فانه جاءهم العذاب یوما فیوما کما جاء قوم یونس الا ان قوم یونس استدرکوا ذلک بالتوبة واولئک لم یستدرکوا
فوصف اهل القریة بانهم سوی قوم یونس لنعرفهم به بعض التعریف اذ کان اخبر فیهم علی سبیل الاخبار من النکرة عن الجبائی
وهذا الذی ذکره انما کان یصح لو کان الا قوم یونس مرفوعا فکان یکون صفة لقریة او بدلا منه علی معنی هلا کان قوم قریة آمنوا
الا قوم یونس ولم یقرأ احد من القراء بالرفع ومتعناهم الی حین القصة وکان من قصة یونس ع علی ما ذکره سعید بن جبیر و
السدی ووهب وغیرهم ان قوم یونس کانوا بنینوی من ارض الموصل وکان یدعوهم الی الاسلام فابوا فاخبرهم ان العذاب
مصبحهم الی ثلاث ان لم یتوبوا فقالوا انا لم نجرب علیه کذبا فانظروا فان بات فیکم اللیلة فلیس بشیء وان لم یبت فاعلموا ان العذاب مصبحکم
فلما کان فی جوف اللیل خرج یونس ع من بین اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب قال وهب اغامت السماء غیما اسود هائلا
یدخن دخانا شدیدا وهبط حتی غشی مدینتهم واسودت سطوحهم قال ابن عباس کان العذاب فوق رؤسهم قدر ثلثی میل فلما رأوا
ذلک ایقنوا بالهلاک فطلبوا یونس بینهم فلم یجدوه فخرجوا الی الصعید بانفسهم ونسائهم وصبیانهم ودوابهم ولبسوا المسوح
واظهروا الایمان والتوبة واخلصوا النیة وفرقوا بین کل والدة وولدها من الناس والانعام فحن بعضهم الی بعض وعلت اصواتها
واختلطت اصواتها باصواتهم وامتزجت الاصوات بعضها ببعض وتضرعوا الی الله عز وجل وقالوا آمنا بما جاء به یونس فرحمهم
ربهم واستجاب دعائهم وکشف عنهم العذاب بعد ما اظلهم قال ابن مسعود وبلغ من توبة اهل نینوی ان ترادوا المظالم
بینهم حتی ان الرجل منهم لیأتی الحجر وقد وضع علیه اساس بنائه فیقلعه ویرده وروی عن ابی جعیله انه قال لما غشی قوم یونس
العذاب مشوا الی شیخ من بقیة علمائهم فقالوا لقد نزل بنا العذاب فما تری قال قولوا یا حی حین لا حی ویا حی یحیی الموتی ویا حی
لا اله الا انت فقالوا فکشف عنهم العذاب وروی علی بن ابرهیم بن هاشم عن ابیه عن ابن ابی عمیر عن جمیل قال قال ابو عبد الله علیه السلم
کان فیهم رجل اسمه ملیخا عابدا وآخر اسمه روبیل عالم فکان العابد یشیر علی یونس بالدعاء علیهم وکان العالم ینهاه ویقول له
لا تدع علیهم فان الله یستجیب لک ولا یحب هلاک عباده فقبل یونس قول العابد فدعا علیهم فاوحی الله الیه انه یاتیهم العذاب
فی شهر کذا ویوم کذا فلما قرب الوقت خرج من بینهم مع العابد وبقی العالم فیهم فلما کان الیوم الذی نزل بهم العذاب قال العالم
افزعوا الی الله فلعله یرحمکم ویرد العذاب عنکم واخرجوا الی المفازة وفرقوا بین النساء والاولاد وبین سایر الحیوان واولادهم
ثم ابکوا وادعوا ففعلوا فرفع عنهم العذاب وکان قد نزل وقرب منهم ومر یونس علی وجهه مغاضبا کما حکی الله سبحانه عنه حتی انتهی
الی ساحل البحر فاذا سفینة قد شحنت وارادوا ان یدفعوها فسألهم یونس ان یحملوه فلما توسط البحر بعث الله حوتا عظیما فحبس
علیهم السفینة فساهموا فوقع سهم یونس فاخرجوه والقوه فی البحر فالتقمه الحوت ومر به فی الماء وقیل ان الملاحین قالوا نقترع فمن
اصابته القرعة القیناه فی الماء فان هیهنا عبدا عاصیا آبقا فوقعت القرعة سبع مرات علی یونس فقام وقال انا العبد الآبق والقی
نفسه فی الماء فالتقمه الحوت فاوحی الله تعالی الی ذلک الحوت لا تؤذی شعرة منه فانی جعلت بطنک سجنه ولم اجعله طعاما لک فلبث

في بطنه ثلثه ايام وقيل سبعة ايام وقيل اربعين وقد سال بعض اليهود امير المومنين ع عن سجن طاف اقطار الارض بصاحبه فقال
له يا يهودي هو الحوت الذي حبس يونس في بطنه فدخل في بحر قلزم ثم خرج الى بحر مصر ثم سار منها الى بحر طبرستان ثم خرج في الدجلة
قال عبد الله بن مسعود ابتلع الحوت حوت آخر فاهوى به الى قرار الارض وكان في بطنه اربعين ليلة فنادى في الظلمات ان
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجاب الله له فامر الحوت فنبذه على الساحل وهو كالفرخ المتمعط فانبت الله عليه
شجرة من يقطين فجعل يستظل تحتها ووكل الله به وعلا يشرب من لبنها فيبست الشجرة فبكى عليها فاوحى الله اليه تبكي على شجرة نبتت
ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان اهلكهم فخرج يونس واذا هو بغلام يرعى فقال من اين انت فقال من قوم يونس قال
اذا رجعت اليهم فاخبرهم انك لقيت يونس فاخبرهم الغلام ورد الله عليه بدنه ورجع الى قومه الذين آمنوا به وقيل انه عليه السلم
ارسل الى قوم غير الاولين قوله تعالى وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ آيتان القراءة
قرا نجعل بالنون حماد ويحيى عن ابي بكر والباقون بالياء الحجة من قرا بالنون فانه ابتداء بالاخبار عن الله تعالى ومن قرا بالياء فلانه
تقدم ذكر الله تعالى فكنى عنه اللغة المشية والارادة والايثار والاختيار نظاير وانما يختلف عليها الاسم بحسب مواقعها على ما بين
في موضعه قال علي بن عيسى النفس خاصة الشيء التي لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء ونفسه وذاته واحد الا انه قد يوكد بالنفس
ولا يوكد بالذات والنفس ماخوذة من النفاسه الاعراب كلهم تاكيد لمن وجميعا نصب على الحال المعنى لما تقدم ان ايمان الملجاء
غير نافع بين سبحانه ان ذلك لو كان ينفع لاكره اهل الارض عليه فقال ولو شاء ربك يا محمد لآمن من في الارض اي لامن اهل الارض
كلهم جميعا ومعناه الاخبار عن قدرة الله تعالى فانه يقدر على ان يكره الخلق على الايمان كما قال بعد ذلك افانت تكره الناس حتى
يكونوا مؤمنين ومعناه انه لا ينبغي ان تريد اكراههم على الايمان مع انك لا تقدر عليه لان الله تعالى يقدر عليه ولا يريده لانه ينافي
التكليف واراد بذلك تسلية النبي صلى الله عليه وآله وتخفيف ما يلحقه من التحسر والحرص على ايمانهم وفي هذه الآية دلالة على بطلان
قول المجبرة انه تعالى لم يزل كان شائيا وانه لا يوصف بالقدرة على ان يشاء لانه تعالى اخبر انه لو شاء لقدر لكنه لم يشاء فلذلك لم
يوجد ولو كانت مشيته ازلية لم يصح تعليقها بالشرط فصح ان مشيته فعليه الا ترى انه لا يصح ان يقال لو علم سبحانه ولو قدر كما صح
ان يقال لو شاء ولو اراد وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله معناه انه لا يمكن احد ان يومن الا باطلاق الله تعالى في الايمان
وتمكنه منه ودعايه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك وقيل ان اذنه ههنا امره كما قال يا ايها الناس قد جاءكم الرسول
بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم عن الحسن والجبائي وحقيقة الاذن والاطلاق في الفعل بالامر وقد يكون الاذن بالاطلاق في الفعل
برفع التبعه وقيل ان اذنه ههنا علمه اي لا تؤمن نفس الا يعلم الله قولهم واذنت لكذا اذا سمعته وعلمته واذنته فيكون خبرا عن
علمه سبحانه بجميع الكائنات ويجوز ان يكون بمعنى اعلام الله المكلفين بفضل الايمان وما يدعوهم الى فعله ويبعثهم على فعله ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون معناه يجعل العذاب على الذين لا يتفكرون حتى يعقلوا فكانهم لا عقول لهم عن قتادة وابن زيد
وقيل معناه يجعل الكفر عليهم اي يحكم عليهم بالكفر ويذمهم عليه عن الحسن وقيل الرجس الغضب والسخط عن ابن عباس وقال الكسائي
الرجس النتن والرجس والرجز واحد قال ابو علي فكان الرجس على ضربين احدهما ان يكون في معنى العذاب والآخر ان يكون بمعنى
القذر والنجس اي يحكم بانهم رجس كما قال انما المشركون نجس قوله تعالى قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي
الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ❊ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ
مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ❊ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ❊ ثلث ايات القراءة قرا الكسائي برواية نصر ويعقوب
برواية روح ثم ننجي رسلنا خفيفه والباقون ننجي بالتشديد ايضا وقرا الكسائي وحفص عن عاصم ويعقوب وسهل ننجي المؤمنين خفيفه
والباقون ننجي بالتشديد الحجة حجة من قال ننجي قوله فانجاه الله من النار وحجة من قال ننجي قوله ونجينا الذين آمنوا وكلاهما حسن
قال الشاعر ونجى ابن هند سابح ذو غلالة احس هزيم والرماح دواني اللغة النظر طلب الشيء من جهة التفكر كما يطلب ادراكه

والنذر جمع نذير وهو صاحب النذارة والانتظار هو الثبات لتوقع ما يكون من الحال يقول انتظرني حتى الحقك ولو قلت توقعني
لم يكن فيه دلالة على الثبات والمثل في الجنس ما سد احدهما مسد الآخر فيما يرجع الى ذاته والمثل في غير الجنس ما كان على معنى يقرب من غيره كقربه من
جنسه كتشبيه اعمال الكفار بالسراب والنجاة ماخوذ من النجوة وهي الارتفاع عن الهلاك وكذلك السلامة ماخوذة من اعطاء الشيء
من غير نقيصة اسلمته اليه اذا اعطيته سالما من غير آفة الاعراب على وجه التشبيه في كذلك ان نجاة من بقي من المؤمنين كنجاة من مضى فان حق
على الله واجب لهم ويحتمل ان يكون العامل في كذلك ننجي الاول وتقديره ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك الانجاء ويحتمل ان يكون العامل فيه
ننجي الثاني وحقا نصب على المصدر اي يحق حقا وقيل انه نصب على الحال وان كان لفظه لفظ المصدر عن ابي مسلم قال جامع العلوم
النحوي الضرير يجوز ان ينصب حقا بدلا من كذلك او وصفا ولا يجوز ان ينصب كذلك وحقا جميعا بقوله ننجي رسلنا لان الفعل
الواحد لا يعمل في مصدرين ولا في حالين ولا استثنائين ولا في مفعول معهما وقد بين ذلك في موضعه فان جعلت كذلك من
صلة ننجي جعلت حقا من صلة قوله ننجي المؤمنين حقا كان الوقف على ذلك المعنى ثم بين سبحانه ما يزيد في تنبيه القوم وارشادهم
فقال قل يا محمد لمن يسالك الايات انظروا ماذا في السموات والارض من العبر والدلائل من اختلاف الليل والنهار ومجاري النجوم
والافلاك وما خلق من الجبال والبحار وانبت من الاشجار والاثمار واخرج من انواع الحيوانات فانما النظر في افرادها وجملتها يدعوا
الى الايمان والى معرفة الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون معناه ولا تغني
هذه الدلالات والبراهين الواضحة مع كثرتها وظهورها والرسل المخوفة عن قوم لا ينظرون في الادلة تفكرا وتدبرا ولا يريدون الايمان
وقيل ما يغني معناه اي شيء يغني عنهم من اجتلاب نفع او دفع ضرر اذا لم يستدلوا بها فيكون ما للاستفهام وكان الحسن اذا قرا هذه
الآية هتف بها وقال وما تغني الحجج عن قوم لا يقبلونها وقال ابو عبد الله عليه السلم لما اسري برسول الله ص اتاه جبرئيل ع بالبراق
فركبها واتى بيت المقدس فلقي من الانبياء من لقي ثم رجع فاصبح يحدث اصحابه اني اتيت بيت المقدس ولقيت اخواني من الانبياء فقالوا
يا رسول الله وكيف اتيت بيت المقدس الليلة قال جاءني جبرئيل ع بالبراق فركبتها وآية ذلك اني مررت بعير لابي سفيان على ماء لبني
فلان وقد اضلوا جملا لهم احمر وهم في طلبه فقال القوم بعضهم لبعض انما جاءه راكب سريع ولكنكم قد اتيتم الشام وعرفتموها فاسالوه
عن اسواقها وابوابها وتجارها فسالوه عن ذلك وكان ع اذا سئل عن الشيء لا يعرفه شق ذلك عليه حتى يرى ذلك في وجهه قال فبينا
هو كذلك اذ اتاه جبرائيل ع فقال يا رسول الله هذه الشام قد رفعت لك فالتفت رسول الله ص فاذا هو بالشام فقالوا له اين بيت
فلان ومكان كذا فاجابهم في كل ما سالوه عنه فلم يؤمن منهم الا قليل وهو قوله تعالى وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون ثم قال
ابو عبد الله فنعوذ بالله ان لا نؤمن بالله آمنا بالله ورسوله فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم معناه فهل ينتظر هؤلاء
الذين امروا بالايمان فلم يؤمنوا وبالنظر في الادلة فلم ينظروا الا العذاب والهلاك في مثل الايام التي هلك من قبلهم من الكفار
فيها قال قتادة اراد به وقايع الله في عاد وثمود وقوم نوح وعبر عن الهلاك بالايام كما يقال ايام فلان يراد به ايام دولته وايام محنته واللفظ
لفظ الاستفهام والمراد به النفي وتقديره ليس ينتظرون الا ذاك قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين اي قل يا محمد لهم فانتظروا ما وعد الله
من العذاب فاني منتظر معكم من جميع المنتظرين لما وعد الله به ثم ننجي رسلنا والذين امنوا من بينهم ونخلصهم من العذاب وقت نزوله
وقيل من شرور اعدائهم ومكرهم كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين قال الحسن معناه كما انا اذا اهلكنا هؤلاء المشركين نجيناك يا محمد والذين
امنوا بك فقيل معناه وكذلك حقا علينا اي واجبا علينا من طريق الحكمة ننجي المؤمنين من عذاب الآخرة كما نجيهم من عذاب الدنيا وقال
ابو عبد الله ع لاصحابه ما يمنعكم على ان تشهدوا على من مات منكم على هذا الامر انه من اهل الجنة ان الله يقول كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين

قوله تعالى قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ
لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ اربع آيات اللغة

الشك وقوف في المعنى ونقيضه كمن يشك في كون زيد فانه لا يكون لاحدى الصفتين عنده مزية على الاخرى فيقف وهو
معنى غير الاعتقاد وعند ابي علي الجبائي وابي هاشم ثم رجع عنه ابو هاشم قال ليس بمعنى وهو اختيار القاضي والتوفي قبض الشيء
على التمام والاقامة نصب الشيء ونقيضه الاضجاع واقام بالمكان استمر فيه كاستمرار القيام في جهة الانتصاب والمماسة
والمجامعة نظاير وضدها المباينة والكشف رفع الساتر المانع من الادراك فكان الضر هٰهنا ساتر يمنع من ادراك الانسان
الاعراب ان كنتم في شك شرط وجوابه في قوله لا اعبد وانما صح ذلك لان معناه ان كنتم في شك فلا تطمعوا في تشكيكي حتى
اعبد غير الله كعبادتكم المعنى ثم امر سبحانه نبيه ع بالبراءة من كل معبود سواه فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار يا ايها الناس ان
كنتم في شك من ديني احق هو ام لا فلا اعبد الذين يعبدون من دون الله لشككم في ديني ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم
اي يقدر على اماتتكم وهذا يتضمن تهديدا لهم لان وفاة المشركين ميعاد عذابهم ومتى قيل كيف قال ان كنتم في شك من ديني
مع اعتقادهم بطلان دينه فجوابه من وجوه احدها ان يكون التقدير من كان شاكا في امري فهذا حكمه والثاني انهم في حكم الشاك
للاضطراب الذي يجدونه في انفسهم عند ورود الايات والثالث ان فيهم من كان شاكا فغلب ذكرهم وامرت ان اكون
من المؤمنين اي وامرني ربي ان اكون من المصدقين بالتوحيد واخلاص العبادة له وان اقم وجهك هذا عطف على ما قبله
فكانه قال وقيل لي اقم وجهك للدين اي استقم في الدين باقبالك على امرت به من القيام باعباء النبوة وتحمل امر الشريعة
بوجهك وقيل معناه اقم وجهك في الصلوة بالتوجه نحو الكعبة حنيفا اي مستقيما في الدين ولا تكونن من المشركين هذا نهي
عن الاشراك مع الله سبحانه غيره في العبادة ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ان اطعته ولا يضرك ان عصيته وتركته اي
لا تدعه الها كما يدعوا المشركون الاوثان الهة وانما قال ما لا ينفعك ولا يضرك مع انه لو نفع وضر لم تحسن ايضا عبادته لامرين
احدهما ان معناه ما لا ينفعك نفع الاله ولا يضرك ضره والثاني انه اذا كان عبادة غير الله ممن يضر وينفع قبيحة فعبادة من لا يضر
ولا ينفع اقبح فان فعلت فانك اذا من الظالمين معناه فان خالفت ما امرت به من ترك عبادة غير الله كنت ظالما لنفسك
بادخالك الضرر الذي هو العقاب عليها وهذا الخطاب وان كان متوجها الى النبي صلى الله عليه وآله في الظاهر فالمراد به امته
وان يمسسك الله بضر معناه وان احل الله بك ضرا من بلاء او شدة او مرض فلا كاشف له الا هو اي لا يقدر احد على كشفه
غيره كانه سبحانه لما بين ان غيره لا يضر ولا ينفع عقبه ببيان كونه قادرا على النفع والضر وان يردك بخير من صحة جسم ونعمة
وخصب ونحوها فلا راد لفضله اي لا يقدر على منعه احد وتقديره وان يردك خيرا ويجوز فيه التقديم والتاخير يقال
فلان يريدك بالخير يصيب به اي بالخير من يشاء من عباده فيعطيه على ما تقتضيه الحكمة ويعلمه من المصلحة وهو الغفور
لذنوب عباده الرحيم بهم قوله تعالى قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ
وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝ آيتان المعنى
ثم ختم سبحانه السورة بالموعظة الحسنة تسلية لنبيه صلى الله عليه وآله والوعد للمومنين والوعيد للكافرين فقال عز اسمه
قل يا محمد مخاطبا للمكلفين يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن ودين الاسلام والادلة الدالة على صحته وقيل يريد
بالحق النبي صم ومعجزاته الظاهرة فمن اهتدى بان نظر فيه وعرفه حقا وصوابا فانما يهتدي لنفسه ومعناه فان منافع ذلك
من الثواب وغيره تعود عليه دون غيره ومن ضل عنه وعدل عن تامله والاستدلال به فانما يضل عليها اي على نفسه لانه يجني
عليها وما انا عليكم بوكيل اي ما انا بحفيظ لكم عن الهلاك اذا لم تنظروا انتم لانفسكم ولم تعملوا بما يخلصها كما يحفظ الوكيل مال غيره
والمعنى انه ليس علي الا البلاغ ولا يلزمني ان احملكم مهتدين وانا انجيكم من النار كما يجب من وكل على متاع ان يحفظه من الضرر
واتبع ما يوحى اليك واصبر على اذى الكافرين بسببهم حتى يحكم الله بينك وبينهم باظهار دينه واعلاء امره وهو خير الحاكمين
لانه لا يحكم الا بالعدل والصواب سورة هود هي مكية كلها في قول الاكثر وقال قتادة الا اية وهي قوله واقم الصلوة
طرفي النهار فانها نزلت بالمدينة عدد آيها هي مائة وثلث وعشرون آية كوفي وآيتان شامي والمدني الاول وآية في الباقين اختلافها

سبع ايات برئ مما تشركون كوفي في قوم لوط غير البصري من سجيل مكي شامي والمدني الاخير كنتم مؤمنين حجازي منقوص وانا عاملون
عراقي شامي والمدني الاول مختلفين عراقي شامي فضلها ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قراها اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء وروى
الثعلبي باسناده عن ابي اسحق عن ابي جحيفة قال قيل يا رسول الله قد اسرع اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها وفي رواية اخرى
عن انس ومالك عن ابي بكر قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون
وهل اتيك حديث الغاشية وروى العياشي عن الحسن بن علي الوشا عن ابن سنان عن ابي جعفر ع قال من قرا سورة هود في كل
جمعة بعثه الله يوم القيمة في زمرة النبيين وحوسب حسابا يسيرا ولم يعرف له خطيئة عملها يوم القيمة تفسيرها لما ختم الله سبحانه
سورة يونس بذكر القرآن في قوله واتبع ما يوحى اليك افتتح هذه السورة ببيان ذلك الوحي قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير * الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير * وان استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير *
الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير * اربع ايات اللغة الاحكام منع الفعل من الفساد والحكمة المعرفة بما يتبع
الفعل من الفساد والنقص وبما يميز القبيح من الحسن والفاسد من الصحيح والحكيم في صفات الله سبحانه يحتمل وجهين احدهما ان
يكون بمعنى محكم فهو فعيل بمعنى مفعل اي محكم افعاله فيكون على هذا من صفات فعله فلا يوصف به فيما لم يزل والثاني ان يكون بمعنى
عليم فيكون من صفات ذاته فيوصف بانه حكيم لم يزل الاعراب قال الزجاج كتاب مرفوع باضمار هذا كتاب وقال بعضهم كتاب خبر
الر وهذا غلط لان كتاب احكمت اياته ليس هو الر وحدها وان لا تعبدوا في موضع نصب تقديره فصلت اياته لان لا تعبدوا
او بان لا تعبدوا ويحتمل ان يكون على تقدير امركم بان لا تعبدوا فلما حذف الفاء وصل الفعل فنصبه وان استغفروا معطوف
عليه ومعنى الا في قوله الا الله ايجاب للمذكور بعدها ما نفي عن كل ما سواه من العباد وهي التي تفرغ عامل الاعراب لما بعدها يمتعكم
جزم جواب لقوله وان استغفروا ربكم وان تولوا يريد تتولوا فحذف احد التائين تخفيفا وابن كثير يدغم التاء الاولى في الثانية
فتشدد المعنى قد بينا تفسير الر والاقاويل فيها في اول البقرة فلا معنى لاعادته كتاب يعني القرآن اي هو كتاب احكمت اياته
ثم فصلت ذكر فيه وجوه احدها ان معناه احكمت فلم ينسخ منها شيء كما نسخت الكتب والشرايع ثم فصلت ببيان الحلال والحرام
وساير الاحكام عن ابن عباس وثانيها ان معناه احكمت اياته بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد والثواب والعقاب عن الحسن
وابي العالية وثالثها احكمت اياته جملة ثم فرقت بعد الانزال آية بعد اية ليكون المكلف امكن من النظر والتدبير عن مجاهد
رابعها احكمت في نظمها بان جعل على ابلغ وجوه الفصاحة ثم صار معجزا ثم فصلت بالشرع والبيان المفروض فكانه قيل
محكم النظم مفصل الايات عن ابي مسلم وخامسها اتقنت اياته فليس فيها خلل ولا باطل لان الفعل المحكم ما قد اتقنه فاعله حتى
لا يكون فيه خلل ثم فصلت بان جعلت متتابعة بعضها على اثر بعض من لدن حكيم اي هذا الكتاب اتاكم من عند حكيم في افعاله
وتدابيره خبير اي عليم باحوال خلقه ومصالحهم وفي هذه الآية دلالة على ان كلام الله سبحانه محدث لانه وصفه بانه احكمت
اياته ثم فصلت والاحكام من صفات الافعال وكذلك التفصيل ثم قال من لدن حكيم وهذه الاضافة لا تصح الا في المحدث
لان القديم يستحيل ان يكون صادرا من غيره وقوله ان لا تعبدوا الا الله معناه انزل هذا الكتاب ليامركم ان لا تعبدوا الا الله
ولكي لا تعبدوا الا الله كما يقال كتبت اليك ان لا تخرج من النار وان لا تخرج بالنصب والجزم انني لكم منه نذير وبشير هذا
اخبار من النبي صلى الله عليه وآله انه مخوف من مخالفة الله وعصيانه باليم العقاب ومبشر على طاعة الله بجزيل الثواب وان استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه معناه اطلبوا المغفرة واجعلوها غرضكم ثم توصلوا اليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا ربكم من ذنوبكم ثم توبوا اليه
في المستانف متى وقعت منكم المعصية عن الجبائي وقيل ان ثم هاهنا بمعنى الواو عن الفراء وهذا لان الاستغفار والتوبة واحد
فتكون التوبة توكيدا للاستغفار يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى يعني انكم متى استغفرتموه وتبتم اليه يمتعكم في الدنيا بالنعم السابغة في الحفظ

والدعة والامن والسعة الى الوقت الذي قدر لكم اجل الموت فيه وقال الزجاج يريد يبقيكم ولا يستاصلكم بالعذاب كما استاصل
اهل القرى الذين كفروا ويؤت كل ذي فضل فضله قيل ان الفضل بمعنى التفضيل والافضال اي ويعط كل ذي افضال على غيره
بمال وكلام او عمل بيده او رجل جزاء افضاله فيكون الهاء في فضله عايدا الى ذي فضل وقيل ان معناه يعط كل ذي عمل صالح فضله
اي ثوابه على قدر عمله فان من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة وعلى هذا فالاولى ان يكون الهاء في فضله عايدا
الى اسم الله تعالى وان تولوا اي اعرضوا عما امر به وقيل معناه وان تتولوا انتم اي تعرضوا فحذف احدى التائين ولذلك شدده
ابن كثير في رواية البزي عنه فاني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم كبير اي كبير شانه وهو يوم القيمة وهذا الخوف ليس في معنى الشك
بل هو في معنى اليقين اي فقل لهم يا محمد اني اعلم ان لكم عذابا عظيما وانما وصف اليوم بالكبير لعظم ما فيه من الاهوال الى الله مرجعكم
اي جميعا اي في ذلك اليوم الحكم الله مصيركم لان حكم غيره يزول فيه وقيل معناه اليه مصيركم بان يبعثكم للجزاء وهو على كل شيء
قدير يقدر على الاعادة والبعث والجزاء فاحذروا مخالفته قوله تعالى الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون
ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور آية القراءة روي عن ابن عباس بخلاف ومجاهد و
يحيى بن يعمر وعن علي بن الحسين وابي جعفر محمد بن علي وزيد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلم يثنوني صدورهم على يفعوعل وعن ابن
عباس ايضا يثنون وعن مجاهد يثنئن وروي ذلك ايضا عن عروة الاعشى الحجة اما يثنوني على وزن يفعوعل فهو من امثلة
المبالغة تقول اعشب البلد فاذا كثر ذلك قيل اعشوشب وكذلك احلولى واخشوشن واما يثنون ويثنئن فقد
قال ابن جني انهما من لفظ الثن وهو ما هش وضعف من الكلاء انشد ابو زيد يكفي اللقوح اكلة من ثن ويثنئن بالهمزة واصله
يثنان فحركت الالف لسكونها وسكون النون الاولى فانقلبت همزة واما يثنون فاصله يثنونن فلزم الادغام لتكرير العين
اذا كان غير ملحق فاسكنت النون الاولى ونقلت كسرتها الى الواو وادغمت النون في النون فصارت يثنون اللغة اصل
الثني العطف تقول ثنيته عن كذا اي عطفته ومنه الاثنان لعطف احدهما على الاخر في المعنى ومنه الثناء لعطف المناقب في
المدح ومنه الاستثناء لانه عطف عليه بالاخراج منه والاستخفاء طلب خفاء الشيء يقال استخفى وتخفى بمعنى وكذلك
استغشى وتغشى قال الخنساء ارعى النجوم وما كلفت رعيتها وتارة اتغشى فضل اطماري الاعراب الا معناه التنبيه ولاحظ
لها في الاعراب وما بعدها مبتداء النزول قيل نزلت في الاخنس بن شريق وكان حلو الكلام يلقى رسول الله صلى الله عليه وآله
بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره عن ابن عباس وروى العياشي باسناده عن ابي جعفر ع قال اخبرني جابر بن عبد الله ان
المشركين كانوا اذا مروا برسول الله صلى الله عليه وآله طاطا احدهم راسه وظهره هكذا وغطى راسه بثوبه حتى لا يراه رسول الله
صلى الله عليه وآله فانزل الله هذه الآية المعنى لما تقدم ذكر القرآن بين سبحانه نفاقهم عند سماعه فقال الا انهم يعني الكفار
والمنافقين يثنون صدورهم اي يطوونها على ما هم عليه من الكفر عن الحسن وقيل معناه يخفون صدورهم لكي لا يسمعوا كتاب
الله سبحانه وذكره عن قتادة وقيل يثنونها على عداوة النبي ص عن الفراء والزجاج وقيل انهم كانوا يعملون مجلسا على معاداة النبي
ص والسعي في امره بالفساد وانضم بعضهم الى بعض وثنى بعضهم صدره الى صدر بعضهم يتناجون ليستخفوا منه اي ليخفوا ذلك
من الله تعالى على القول الاخير فانهم كانوا قد بلغ من شدة جهلهم بالله ان ظنوا انهم اذا ثنوا صدورهم على سبيل الاخفاء لم
يعرف الله اسرارهم وعلى القول الاخير معناه ليسروا ذلك عن النبي ص الا حين يستغشون ثيابهم معناه انهم كانوا يتغطون
بثيابهم ثم يتفاوضون فيما كانوا يدبرونه على النبي صلى الله عليه وآله وعلى المؤمنين ويكتمونه عن الناس فبين الله سبحانه انه يعلم
ما يسرون وما يعلنون ومنه ما يتغطون بثيابهم ويجعلونها غشاء فوقهم لا بمعنى انه يتجدد له العلم في حال استغشائهم بالثوب
بل هو عالم بذلك في الازل انه عليم بذات الصدور يريد بها بما في النفوس عن ابن عباس وتحقيقه بما في القلوب من المضمرات
وقيل انه كنى باستغشاء ثيابهم عن الليل لانهم يتغطون بظلمته كما يتغطون بثيابهم قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء



ليبلو

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ
إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ثلث آيات اللغة

الدابة الحي من شأنه ان يدب وقد صار في العرف مختصا بنوع من الحيوان وقد ورد القرآن بها على الاصل في قوله وما من دابة والله
خلق كل دابة الاعراب اللام في قوله لئن لام القسم ولا يجوز ان يكون لام الابتداء لانها دخلت على ان التي للجزاء ولام الابتداء انما هي
للاسم وما ضارع الاسم في بابه ان جواب الجزاء استغنى عنه بجواب القسم لانه اذا صار في صدر الكلام غلب عليه كما انه اذا تأخر الغي
توسط الغي ويوم يأتيهم نصب على الظرف من مصروف اى ليس يصرف العذاب عنهم يوم يأتيهم المعنى وما من دابة في الارض
اي ليس من دابة تدب على وجه الارض فيدخل فيه جميع ما خلقه الله تعالى على وجه الارض من الجن والانس والطير والانعام
والوحوش والهوام الا على الله رزقها الا والله سبحانه يتكفل برزقها يوصله اليه على ما تقتضيه المصلحة وتوجبه الحكمة ويعلم
مستقرها ومستودعها اى يعلم موضع قرارها والموضع الذي يودعها فيه وهو اصلاب الاباء وارحام الامهات عن مجاهد و
قيل مستقرها حيث تأوى اليه من الارض ومستودعها حيث تموت وتبعث منه عن ابن عباس والربيع وقيل مستقرها يستقر
عليه عملها ومستودعها ما تصير اليه كل في كتاب مبين هذا اخبار منه سبحانه ان جميع ذلك مكتوب في كتاب ظاهر وهو اللوح
المحفوظ وانما اثبت سبحانه ذلك مع انه عالم لذاته لا يعزب عن علمه شئ من مخلوقاته لما فيه من اللطف للملائكة او لمن يخبر
بذلك وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام هذا اخبار منه سبحانه عن نفسه بانه انشاهما في هذا المقدار من الزمان
مع قدرته على ان يخلقهما في مقدار لمح البصر والوجه في ذلك انه سبحانه اراد ان يبين بذلك ان الامور جارية في التدبير
على منهاج الحكمة ومنشأة على ترتيب لما في ذلك من المصلحة والمراد بقوله ستة ايام ما مقداره مقدار ستة ايام لانه لم يكن
هناك ايام بعد فان اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها وكان عرشه على الماء في هذا دلالة على ان العرش والماء كانا
موجودين قبل خلق السموات والارض وكان الماء قائما بقدرة الله تعالى على غير موضع قرار بل كان الله يمسكه بكمال قدرته
وفي ذلك اعظم الاعتبار لاهل الافكار وقيل ان المراد بقوله عرشه بناءه يدل عليه قوله ومما يعرشون اى يبنون فالمعنى وكان
بناؤه على الماء فان البناء على الماء ابدع واعجب عن ابي مسلم ليبلوكم ايكم احسن عملا معناه انه خلق الخلق ودبر الامور ليظهر
احسان المحسن فانه الغرض في ذلك اي ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لئلا يتوهم انه سبحانه يجازي العباد على حسب ما في
معلومه انه يكون منهم قبل ان يفعلوه وفي قوله احسن عملا دلالة على انه قد يكون فعل حسن احسن من حسن آخر لان صفة
لفظة افعل تقتضي ذلك ولئن قلت يا محمد لهم انكم مبعوثون من بعد الموت للحساب والجزاء ليقولن الذين كفروا ان هذا الا
سحر مبين اى ليس هذا القول الا تمويه ظاهر لا حقيقة له ومن قرأ ساحر فالمراد ليس هذا يعنون النبي صلى الله عليه وآله الا ساحر
قال الجبائي وفي الآية دلالة على انه كان قبل خلق السموات والارض الملائكة لان خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه الا ان
يكون فيه لطف للمكلفين يمكنهم الاستدلال به فلا بد اذا من حي مكلف وقال علي بن عيسى لا يمتنع ان يكون في الاخبار بذلك
مصلحة للمكلفين فلا يجب ما قاله الجبائي وهو الذي اختاره المرتضى قدس الله روحه ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة
معناه ولئن اخرنا عن هؤلاء الكفار عذاب الاستيصال الى اجل مسمى ووقت معلوم والامة الحين كما قال سبحانه وادكر بعد امة
وهو قول ابن عباس ومجاهد وقيل الى امة اى الى جماعة يتعاقبون فيصرون على الكفر ولا يكون فيهم من يؤمن كما فعلنا بقوم
نوح عن علي بن عيسى وقيل معناه الى امة بعد هؤلاء لا نكلفهم فيعصون فتقتضي الحكمة اهلاكهم واقامة القيمة عن الجبائي
وقيل ان الامة المعدودة هم اصحاب المهدي ع في آخر الزمان ثلثمائة وبضعة عشر رجلا كعدة اهل بدر يجتمعون في ساعة
واحدة كما يجتمع قزع الخريف وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله ع ليقولن على وجه الاستهزاء ما يحبسه اى اي شئ يؤخر
هذا العذاب عنا ان كان حقا الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم اى ان هذا العذاب الذي يستبطونه اذا نزل بهم في الوقت
المقدور لا يقدر احد على صرفه عنهم ولا يتمكن من اذهابه عنهم اذا اراد الله ان يأتيهم به وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اى ونزل

بهما الذي كانوا يستهزئون به من نزول العذاب وتحققه النظم وجه اتصال الاية الاولى بما قبلها انه لما قال سبحانه يعلم
ما يسرون وما يعلنون قال عقيبه وكيف يخفى على الله سر هؤلاء وهو يرزقهم واذا اوصل الى كل واحد رزقه ولم ينسه فليعلم انه
سره وهو قوله ويعلم مستقرها ومستودعها يدل على ما ذكرنا ثم زاده بيانا بقوله وهو الذي خلق السموات الاية فان اصل الخالق
التقدير الذي لا يختل بالنقصان والزيادة وذلك لا يتم الا من العالم لذاته قوله تعالى وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا
مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۞ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۞ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۞ ثلث آيات اللغة الذوق تناول الشئ بالفم لادراك
الطعم وسمى الله احلال اللذات بالانسان اذاقة لسرعة زوالها تشبيها بما يذاق ثم يزول كما قيل احلام نوم اوكظل زايل والنزع
قلع الشئ من مكانه واليئوس فعول من يأس واليأس القطع بان الذي يتوقع لا يكون ونقيضه الرجاء والنعماء انعام يظهر اثره
على صاحبه والضراء مضرة يظهر الحال بها لانهما اخرجتا مخرج الاحوال الظاهرة مثل حمراء وعيناء مع ما فيهما من المبالغة والفرح
والسرور من النظاير وهو انفتاح القلب بما يلتذ به وضده الغم والصحيح ان الغم والسرور من جنس الاعتقادات وليس بجنسين
من الاعراض ومن الناس من قال هما جنسان والفخور الذي يكثر فخره وهو التطاول بتعديد المناقب فهي صفة ذم اذا اطلقت
لما فيها من التكبر على من لا يجوز ان يتكبر عليه الاعراب اللام في لئن لتوطية القسم وليست للقسم والتقدير والله لئن اذقنا الانسان
منا رحمة انه ليئوس وانه جواب القسم الذى هيأته اللام الا انه مغن عن جواب الشرط وواقع موقعه ومثله قول الشاعر لئن عاد
لي عبد العزيز بمثله وامكنني منها اذا لا اقيلها اي والله لا اقيلها ولو كانت جواب ان لكان لا اقلها الذين صبروا في موضع نصب
على الاستثناء من الانسان لانه اسم الجنس فهو كقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وقال الزجاج والاخفش انه استثناء
ليس من الاول والمعنى لكن الذين صبروا والاول قول الفراء المعنى ثم بين سبحانه حال الانسان فيما قابل به نعمه من الكفران فقال
ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اى احللنا به نعمه من الصحة والكفاية والسعة من المال والولد وغير ذلك من نعم الدنيا ثم نزعناها
منه اى سلبنا تلك النعمة عنه اذا راينا المصلحة فيه انه ليئوس اى قنوط وهو الذي سنته وعادته اليأس كفور وهو الذي عادته
كفران النعمه ومعنى الاية مصروف الى الكفار الذي هذه صفتهم لجهلهم بالصانع الحكيم الذي لا يعطي ولا يمنع الا لما تقتضيه
الحكمة من وجوه المصالح ولئن اذقناه اى احللنا به واعطيناه نعماء بعد ضراء مسته اي بعد ما اصابته ليقولن عند نزول النعماء به
ذهب السيات عني اي ذهبت الخصال التى تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه عنه وهو ههنا بمعنى الشدائد والالام والامراض
عنى فلا تعود الي ولا يؤدى شكر الله عليها انه لفرح فخور يفرح به ويفخر به على الناس فلا يصبر في المحنة ولا يشكر عند النعمة الا
الذين صبروا ومعناه الا الذين قابلوا الشدة بالصبر والنعمة بالشكر وعملوا الصالحات اى واظبوا على الاعمال الصالحة اولئك
لهم مغفرة واجر كبير قوله تعالى فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ
أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ
مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۞ ثلث ايات اللغة ضايق وضيق بمعنى واحد الا ان ضايق ههنا احسن لوجهين احدهما انه عارض
والاخر انه اشكل بقوله تارك والكنز المال المدفون سمي بذلك لاجتماعه وكل مجتمع من لحم وغيره مكتنز وصار في الشرع اسم ذم
لكل مال لا يخرج منه حق الله تعالى من الزكوة وغيرها وان لم يكن مدفونا والفرى والخلق والاختراق والخلق والخرص والخرف اذا الكذب
والاستجابة في الاية طلب الاجابة بالقصد الى فعلها ويقال استجاب واجاب بمعنى واحد والفرق بين الاجابة والطاعة ان
الطاعة موافقة الارادة الجاذبة الى الفعل برغبة او رهبة والاجابة موافقة الداعي الى الفعل من اجل انه دعا به الاعراب ان يقولوا
في موضع نصب بانه مفعول له وتقديره كراهية ان يقولوا فحذف المضاف وقيل ان يقولوا في موضع جر بدل من الهاء في قوله
ضايق به صدرك ام يقولون افتريه ام هذه منقطعة ليست بالمعادلة وتقديره بل ايقولون افتريه وهو تقرير بصورة استفهام

النزول

النزول روى عن ابن عباس ان رؤساء مكة من قريش اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا يا محمد ان كنت رسولا فحوّل لنا جبال
مكة ذهبا او ائتنا بملائكة يشهدون لك بالنبوة فانزل الله تعالى فلعلك تارك الآية وروى العياشي باسناده عن ابى عبد الله عليه السلم
ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي ع اني سالت ربي ان يواخي بيني وبينك ففعل وسالت ربي ان يجعلك وصيي ففعل
فقال بعض القوم والله لصاع من تمر في شن بالي احب الى مما سال محمد ربه فهلا ساله ملكا يعضده على عدوه او كنزا يستعين به على
فاقته فنزلت الآية المعنى ثم امر سبحانه رسوله بالثبات على الامر وحثه على حجاج القوم بما يقطع العذر فقال فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك اي لعلك تارك بعض القرآن وهو ما فيه سب آلهتهم فلا تبلغهم اياه دفعا لشرهم وخوفا منهم وضائق به
صدرك اي لعلك يضيق صدرك بما يقولون وبما يلحقك من اذاهم وتكذيبهم وقيل باقتراحاتهم ان يقولوا اي كراهة ان يقولوا
او مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز من المال او جاء معه ملك يشهد له وليس قوله فلعلك على وجه الشك بل المراد به النهي عن
ترك اداء الرسالة والحث على ادائها كما يقول احدنا لغيره وقد علم من حاله انه يطيعه ولا يعصيه ويدعوه غيره الى عصيانه لعلك
تترك بعض ما امرتك به لقول فلان وانما يقول ذلك ليؤيس من يدعوه الى ترك امره فمعناه لا تترك بعض ما يوحى اليك ولا يضيق
صدرك بسبب مقالتهم هذه انما انت نذير اي منذر والله على كل شيء وكيل اي حفيظ يجلب النفع اليه ويدفع الضرر عنه ام يقولون
افتراه معناه بل ايقولون اختلق القرآن واخترعه واتى به من عند نفسه وقيل ان ههنا حذفا وتقديره ايكذبونك فيما اتيتهم
به من القرآن ام يقولون افتريه على ربك وحذف لدلالة ما ابقى على ما القى وعلى هذا فيكون ام هذه من المتصلة قل يا محمد لهم
فاتوا انتم بعشر سور مثله مفتريات اي ان كان هذا مفترى على الله كما زعمتم فاتوا انتم بعشر سور مثله في النظم والفصاحة مفتريات
على زعمكم فان القرآن نزل بلغتكم وقد نشأت انا بين اظهركم فان لم يمكنكم ذلك فاعلموا انه من عند الله وهذا صريح في التحدي
وفيه دلالة على جهة اعجاز القرآن وانما هي البلاغة والفصاحة في هذا النظم المخصوص لانه لو كان جهة الاعجاز غير ذلك لما قنع
في المعارضة بالافتراء والاختلاق لان البلاغة ثلث طبقات فاعلى طبقاتها معجز وادناها واوسطها ممكن والتحدي في الآية انما وقع
في الطبقة العليا منها ولو كان وجه الاعجاز الصرفة لكان الركيك من الكلام ابلغ في باب الاعجاز والمثل المذكور في الآية لا يجوز
ان يكون المراد به مثله في الجنس لكونه حكاية فلا يقع التحدي وانما يرجع ذلك الى ما هو متعارف بين العرب في التحدي بعضهم
بعضا كما اشتهر من مناقضات امرئ القيس وعلقمة وعمرو بن كلثوم والحرث بن حلزة والجرير والفرزدق وغيرهم وقوله وادعوا من
استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين معناه ادعوهم ليعينوكم على معارضة القرآن ان كنتم صادقين في قولكم انه افتريه ويريد
بقوله من استطعتم من خالف نبينا ص من جميع الامم وهذا غاية ما يمكن في التحدي والمحاجة وفيه الدلالة الواضحة على اعجاز
القرآن لانه اذا ثبت ان النبي ص تحداهم به واوعدهم بالقتل والاسر بعد ان عاب دينهم وآلهتهم وثبت انهم كانوا احرص الناس
على ابطال امره حتى بذلوا مهجهم واموالهم في ذلك فاذا قيل لهم افتروا انتم مثل هذا القرآن وادحضوا حجته وذلك ايسر واهون
عليكم من كل ما تكلفتموه فعدلوا عن ذلك وصاروا الى الحرب والقتل وتكلف الامور الشاقة فذلك من ادل الدلائل على عجزهم
اذ لو قدروا على معارضته مع سهولة ذلك عليهم لفعلوه لان العاقل لا يعدل عن الامر السهل الى الصعب الشاق مع حصول
الغرض بكل واحد منهما فكيف ولو بلغوا غاية امانيهم في الامر الشاق وهو قتله ع لكان لا يحصل غرضهم من ابطال امره فان الحق قد
يقتل فان قيل لم ذكر التحدي مرة بعشر سور ومرة بسورة ومرة بحديث مثله فالجواب ان التحدي انما يقع بما يظهر فيه الاعجاز من منظوم
الكلام فيجوز ان يتحدى مرة بالاقل ومرة بالاكثر فان لم يستجيبوا لكم قيل انه خطاب للمسلمين والمراد فان لم يجبكم هؤلاء الكفار الى
الايتان بعشر سور مثله معارضة لهذا القرآن فاعلموا ايها المسلمون انما انزل القرآن بعلم الله عن مجاهد واختاره الجبائي وقيل
هو خطاب للكفار وتقديره فان لم يستجب لكم من تدعونهم الى المعاونة ولا تهيأ لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجة وقيل
ان الخطاب للرسول ع اي فان لم يجيبوك وذكره بلفظ الجمع تفخيما والغرض التنبيه على اعجاز القرآن وانه المنزل من عند الله سبحانه
على نبيه وذكر في قوله بعلم الله وجوها احدها ان معناه ان الله عالم به وبانه حق منزل من عنده وثانيها ان معناه يعلم الله مواقع

تاليفه فى علو طبقته وانه لا يقدر احد على معارضته وثالثها انه انزله الله على علم من ترتيبه ونظمه ولا يعلم غيره ذلك وان لا اله الا هو
اى واعلموا ان لا اله الا هو لان هذا المعجز لا يقدر عليه الا الله الواحد الذي لا اله الا هو فهل انتم مسلمون اى هل انتم بعد قيام الحجة عليكم
بما ذكرناه من كلام الله مستسلمون منقادون له معتقدون لتوحيده وهذا استفهام فى معنى الامر مثل قوله فهل انتم مسلمون قوله تعالى
مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ آيتان القراءة روى فى الشواذ قراءة ابي وابن مسعود وباطلا ما كانوا يعملون الحجة الوجه
فيه ان يكون باطلا منصوبا بيعملون وما مزيدة للتوكيد فكانه قال وباطلا كانوا يعملون ومثله قوله اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
اللغة الزينة تحسين الشئ بغيره من لبسه او حليه او هيئة يقال زانه يزينه زينة والتوفية تادية الحق على تمام والبخس نقصان
الحق وكل ظالم باخس لانه يظلم غيره بنقصان حقه وفى المثل تحسبها حمقاء وهى باخس الاعراب قال الفراء كان هنا زايدة وتقديره من
يريد الحيوة الدنيا وقال غيره معناه ان يصح انه كان كقوله سبحانه ان كان قميصه قد من دبر ولا يجوز مثل ذلك فى غير كان لانها ام الافعال
قال ابو على الشرط والجزاء لا يقعان الا فيما يستقبل بحرف الجزاء عمل معنى المضى الى الاستقبال لا محاله ولو جاز وقوع الماضى بعدها
على معناها لما جزمت الا ترى ان لو لم يجزم وان كان فيها معنى الشرط والجزاء لوقوع الماضى بعده على ما به نحو لو جئتني امس لاكرمتك
المعنى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اى زهرتها وحسن نعمتها ولا يريد الآخرة نوف اليهم اعمالهم فيها اى نوفر عليهم جزاء اعمالهم
فى الدنيا تاما وهم فيها لا يبخسون اى لا ينقصون شيئا منه واختلف فيها فقيل ان المراد به المشركون الذين لا يصدقون بالبعث
ويعملون اعمال البر كصلة الرحم واعطاء السايل والكف عن الظلم واعانة المظلوم والاعمال التى يحسنها العقل كبناء القناطر ونحوها
فان الله يعجل لهم جزاء اعمالهم فى الدنيا بتوسع الرزق وصحة البدن والامتاع بما خولهم فيه وصرف المكاره عنهم عن الضحاك
ومنع الله تعالى عنه فى الآخرة من العذاب بقدره فاما ثواب الآخرة فلا حظ لهم فيه وقيل المراد به المنافقون الذين كانوا يغزون
مع النبى صلى الله عليه للغنيمة دون نصرة الدين وثواب الآخرة جازاهم الله تعالى على ذلك بان جعل لهم نصيبا فى الغنيمة عن
الجبائى وقيل ان المراد به اهل الريا فان من عمل عملا من اعمال الخير يريد به الريا لم يكن لعمله ثواب فى الآخرة ومثله قوله تعالى من كان
يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وآله قال بشر امتى بالرياء بالسناء والتمكن فى
الارض فمن منهم عمل عملا للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار ظاهر المراد وحبط ما صنعوا
فيها فلا يستحقون عليه ثوابا لانهم اوقعوه على خلاف الوجه المامور بايقاعه عليه وباطل ما كانوا يعملون اى بطل اعمالهم التى لغير الله نعم
وهذا تحقيق ما ذهب اليه من ان الاحباط عبارة عن ابطال نفس العمل بان يقع على غير الوجه الذي يستحق به الثواب وذكر الحسن فى
تفسيره ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وآله خرج من عند اهله فاذا جارية عليها ثياب وهيئة فجلس عندها فقامت واهوى
بيده الى عارضها فمضت واتبعها ومضى خلفها فلقيه حايط فخمش وجهه فعلم انه اصيب بذنبه فاتى رسول الله ص فذكر له ذلك فقال
له انت رجل عجل الله عقوبة ذنبك فى الدنيا ان الله تعالى اذا اراد بعبد شرا امسك عنه عقوبة ذنبه حتى يوافى يوم القيمة واذا اراد به
خيرا عجل عقوبة ذنبه فى الدنيا النظم وجه اتصال الاية بما قبلها انه سبحانه لما قال فهل انتم مسلمون فكان قائلا يقول اذا اظهرنا
الاسلام اذا اردنا به اسباب المتاع فنبيله هذا قوله تعالى أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ
إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ
اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ۝
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ۝ ست آيات اللغة
البينة الحجة الفاصلة بين الحق والباطل والعرض اظهار الشئ حتى يرى للتوقيف على حاله يقال عرضت الكتاب على فلان وعرضت

الجند

لجند ومعنى العرض على الله انهم يقفون فى المقام الذي يرده العباد للمطالبة بالاعمال فهو كالعرض عليه سبحانه والاشهاد جمع شاهد
كصاحب واصحاب وقيل جمع شهيد كشريف واشراف والعوج العدول عن طريق الثواب يقال فى الدين عوج وفى العود عوج بالفتح فرقا
بين ما يرى وبين ما لا يرى فجعلوا السهل للسهل والصعب للصعب اعنى الفتح والكسر والاعجاز الامتناع عن المراد بما لا يمكن معه ايقاعه
وحقيقة الاستطاعة القوة التى تطاع بها الجارحة للفعل ولذلك لا يقال فى الله تعالى انه مستطيع واصل الجرم القطع ولا جرم تقديره
لا قطع قاطع عن هذا الا انه كثر حتى صار كالمثل وهو من قول الشاعر ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا اي
قطعتهم الغضب قراءته القراءة النصب فى فزارة والمعنى كسبتهم ان يغضبوا وروى غيره برفعها بمعنى ان الفعل لها الاعراب من كان على
بينة من ربه خبره محذوف وتقديره افمن كان على بينة من ربه على الاوصاف التى ذكرتها كمن لا بينة لها ومثله حذف جواب لو
فى قوله واقسم لو شئ اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك موقعا وكتاب موسى عطف على قوله ويتلوه شاهد منه اى وكان يتلوه كتاب
موسى من قبله ونصب اماما ورحمة على الحال لان كتاب موسى معرفة وقوله وهم بالاخرة هم كافرون كرر قوله هم شركاء مرتين كما قال
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون كرر انكم مرتين ووجهه لما طال الكلام كرر مرة اخرى للتوكيد لا جرم قال سيبويه جرم فعل ماض
ولا رد لقولهم كقوله وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار قال لا اى ليس لهم الجنة ثم قال الجرم اى كسبهم قولهم ان
لهم الحسنى ان لهم النار وقيل جرم بمعنى وجب اى وجبت لهم النار المعنى افمن كان على بينة من ربه استفهام يراد به التقرير وتقديره
هل الذي كان على برهانه وحجة من الله والمراد بالبينة هنا القرآن والمعنى بقوله افمن كان على بينة النبي صلى الله عليه وآله وقيل
المعنى به كل محق يدين بحجة وبينة لان من تناول العقلاء وقيل هم المؤمنون من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله ويتلوه شاهد منه اي ويتبعه من
يشهد بصحته منه واختلف فى معناه فقيل الشاهد جبرائيل عليه السلام يتلو القرآن على النبي صلى الله عليه وآله من الله تعالى عن ابن عباس
ومجاهد والزجاج وقيل شاهد من الله تعالى محمد صلى الله عليه وآله وروى ذلك عن الحسين بن علي عليه السلام وابن زيد واختاره الجبائى وقيل شاهد
منه لسانه عليه السلام اي يتلو القرآن بلسانه عن محمد بن على اعنى الحنفية والحسن وقتادة وقيل الشاهد منه على بن ابى طالب عليه السلام يشهد
للنبي صلى الله عليه وآله وهو منه وهو المروي عن ابى جعفر عليه السلام وعلى بن موسى الرضا عليه السلام ورواه الطبري باسناده عن جابر بن عبد الله
عن على عليه السلام وقيل الشاهد ملك يسدده ويحفظه عن مجاهد وقيل بينة من ربه حجة من عقله واضاف البينة اليه تعالى لانه ينصب
الادلة العقلية والشرعية ويتلوه شاهد منه يشهد بصحته وهو القرآن عن ابى مسلم ومن قبله اى ومن قبل القرآن لانه مدلول عليه
فيما تقدم من الكلام وقيل معناه ومن قبل محمد صلى الله عليه وآله كتاب موسى يتلوه ايضا فى التصديق لان النبي صلى الله عليه وآله بشر به موسى عليه السلام
فى التورية اماما يؤتم به فى امور الدين ورحمة اى نعمة من الله تعالى على عباده وقيل معناه ذا رحمة اى سبب الرحمة لمن آمن به اولئك
يؤمنون به معناه اولئك الذين هم على بينة من ربهم يؤمنون به بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وآله تقدير الآية افمن كان على بينة من ربه
وبصيرة كمن ليس على بينة ولا بصيرة الا انه اختصر وقيل تقديره افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد على صفته وتقدمه شاهد
فآمن بهذا كله كمن اراد الحيوة الدنيا وزينتها ولم يؤمن ثم اخبر عنهم فقال اولئك يؤمنون به وقوله ومن يكفر به من الاحزاب
فالنار موعده معناه ومن يكفر بالقرآن او بمحمد صلى الله عليه وآله من مشركى العرب وفرق الكفار كاليهود والنصارى وغيرهم فالنار موعده
ومصيره ومستقره وفى الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله قال لا يسمع بى احد من الامة لا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بى الا كان من اهل النار
فلا تكن فى مرية اى فى شك منه والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد جميع المكلفين وقيل تقديره فلا تك ايها الانسان او ايها
السامع فى مرية من ربك اى من امره وانزاله انه الحق من ربك الهاء راجع الى القرآن وقيل الى محمد صلى الله عليه وآله وقيل معناه ان الخبر الذي
اخبرتك به حق من عند الله تعالى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بصحته وصدقه لجهلهم بالله تعالى وجحدهم نبوة نبيه صلى الله عليه وآله ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم منه الا انه خرج مخرج الاستفهام فيكون ابلغ اولئك يعرضون على ربهم يوم القيمة اي
يوقفون موقفا يراهم الخلايق للمطالبة بما عملوا ويسئلون عن اعمالهم ويجازون عليها ويقول الاشهاد يعنى الملائكة يشهدون على
العباد وهم الحفظة عن مجاهد وقيل هم الانبياء عن الضحاك وقيل هم شهداء كل عصر من الائمة المعصومين هؤلاء الذين كذبوا على ربهم

اي كذبوا على رسل ربهم واضافوا الى الله مالم ينزله الا لعنة الله على الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بادخال الضرر عليها وغيرهم
باحلال الكلام عليهم ولعنة الله ابعاده من رحمته ثم وصف سبحانه الظالمين الذين لعنهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله اى
يغوون الخلق ويصرفونهم عن دين الله وقد يكون ذلك بالقاء الشبه اليهم ويكون ايض بالترغيب والترهيب والاطماع والتهديد
وغير ذلك وانما جاز تمكين الصاد عن سبيل الله من هذا الفساد لانه مكلف للامتناع منه وليس في منعه لطف بان ينصرف
عن الفساد الى الصلاح فهو كشهوة القبيح الذي به يصح التكليف ويبغونها عوجا اى ويطلبون سبيل الله زيغا عن الاستقامة
وعدولا عن الصواب وقيل ان بغيهم العوج هي زيادتهم ونقصانهم في الكتاب لسعن الادلة ولا تستقيم صفة النبي ص كما كان
يفعلها اليهود وقيل هي ايرادهم الشبه وكتمانهم المراد وتحريفهم التاويل وهم بالاخرة اى بالقيمة والبعث والنشور والثواب
والعقاب هم كافرون اي جاحدون غير مقرين اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم
بان عليهم لعنة الله وانهم الذين يصدون عن سبيل الله بانهم لم يكونوا فائتين في الارض هربا منها من الله تعالى اذا اراد
اهلاكهم كما يهرب الهارب من عدو قد جد في طلبه وانما خص الارض بالذكر وان كانوا لا يفوتون الله ولا يخرجون عن قبضته
على كل حال لان معاقل الارض التي يهرب اليها البشر ويعتصمون بها عند المخاوف فكانه سبحانه نفى ان يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه و
مانع من عذابه وماكان لهم من دون الله من اولياء معناه انه ليس لهم من ولي ولا نصير ينصرونهم ويحمونهم من الله سبحانه مما
يريد ايقاعه بهم في الدنيا من المكاره وفي الآخرة من انواع العذاب يضاعف لهم العذاب قيل في معناه وجوه احدها انه لا يقتصر
بهم على عقاب الكفر بل يعاقبون عليه وعلى ساير المعاصي كما قال في موضع آخر زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون و
ثانيها ان معناه انه كلما مضى ضرب من العذاب يعقبه ضرب آخر من العذاب مثله او فوقه كذلك دايما مؤبدا وكل ذلك على
قدر الاستحقاق وثالثها ان يضاعف العذاب على رؤسايهم لكفرهم انفسهم ولدعايهم الاتباع اليه وهو عذاب الضلال وعذاب
الصد عن الدين ماكانوا يستطيعون السمع وماكانوا يبصرون فيه وجوه احدها يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السماع
فلم يستطيعونه وبما كانوا يستطيعون الابصار فلا يبصرون عنادا وذهابا عن الحق فاسقطت الباء من الكلام كما في قول الشاعر
تعالى اللحم للاضياف نيا ونبذله اذا نضج القدور واراد تعالى باللحم عن الفراء والبلخي وهذا وجه رابع في معنى قوله يضاعف لهم العذاب
وثانيها انهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكراهتهم تذكرها وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع وان ابصارهم لم تنفعهم
مع اعراضهم عن تدبر الايات فكانهم لم يبصروها ومما يجري هذا المجرى قول الاعشى ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا
ايها الرجل وقد علمنا ان الاعشى كان يقدر على الوداع وانما نفى الطاقة عن نفسه من حيث الكراهية والاستثقال وثالثها انه انما
عنى بذلك الهتهم واوثانهم وتقدير الكلام اولئك الكفار والهتهم لم يكونوا معجزين في الارض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبرا عن
الالهة ماكانوا يستطيعون السمع وماكانوا يبصرون روى ذلك عن ابن عباس وفيه ادنى بعد ورابعها ان ما هنا ليست للنفي بل
تجري مجرى قولهم لا واصلتك ما لاح نجم والمعنى انهم معذبون ماداموا احياء اولئك الذين خسروا انفسهم من حيث فعلوا ما استحقوا
به العقاب فهلكوا فذلك خسران انفسهم وخسران النفس اعظم الخسران لانه ليس عنها عوض وضل عنهم ماكانوا يفترون مضى بيانه
مرارا لاجرم قال الزجاج لا نفي لما ظنوا انه ينفعهم كان المعنى لا ينفعهم ذلك جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون اى كسب ذلك
الفعل لهم الخسران وقال غيره معناه لابد ولا محالة انهم وقيل معناه حقا ويستعمل في امر يقطع عليه ولا يرتاب فيه اى لا شك ان هؤلاء
الكفار هم اخسر الناس في الآخرة النظم اتصلت الآية الاولى بقوله قل فاتوا بعشر سور مثله والمراد انهم اذا لم ياتوا بذلك فقل
لهم افمن كان على بينة كمن لا يكون له بينة وقيل اتصلت بقوله من كان يريد الحيوة الدنيا اى من كان مجتهدا في الدين كمن كان همه
الحيوة الدنيا وزينتها ووجه اتصال الآية الثانية وهي قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا انه اراد ان يبين حال العاقل والغافل فكانوا
قالوا وما يضرنا ان لا نعرف ذلك فاجيبوا بان من لا يعرف الله لا يامن ان يكذب على الله ومن اظلم ممن كذب على الله
قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ

والم

والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ٤ آيتان اللغة الاخبات الطمانينة واصله الاستواء من الخبت وهى
الارض المستوية الواسعة فكان الاخبات خشوع مستمر على استواء فيه والمثل قول سائر شبه فيه حال الثانى بحال الاول والعمى عبارة
عن فساد آلة الرؤية وليس بمعنى يضاد الابصار وكذلك الصمم عن فساد آلة السمع لان الصحيح ان الادراك ايضا ليس بمعنى المعنى لما تقدم ذكر
الكفار وما اعد الله لهم من العذاب عقبه سبحانه بذكر المؤمنين فقال ان الذين آمنوا اى صدقوا الله ورسوله واعتقدوا وحدانيته
وعملوا الصالحات التى امرهم الله تعالى بها ورغبهم فيها واخبتوا الى ربهم اى انابوا وتضرعوا اليه عن ابن عباس وقيل معناه اخبتوا الى
ربهم فوضع الى موضع اللام كما قال سبحانه اوحى لها بمعنى اوحى اليها وقال ينادى للايمان اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ظاهر
المعنى ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمنين والكافرين فقال مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع اى مثل فريق المؤمنين كالبصير والسميع
ومثل فريق الكافرين كالاعمى والاصم لان المؤمن ينتفع بحواسه لاستعماله اياها فى الدين والكافر لا ينتفع بها فصارت حواسه كالمعدوم
وانما ادخل الواو ليبين ان حال الكافرين كحال الاعمى على حدة وحال من يكون قد جمع بين الصفتين جميعا هل يستويان مثلا اى هل يستوى
حال الاعمى والاصم وحال البصير والسميع عند عاقل فكما لا يستوى هاتان الحالتان عند العقلاء كذلك لا يستوى حال المؤمن والكافر
افلا تذكرون اى افلا تتفكرون فى ذلك فتعلموا صحة ما ذكرناه * قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين * ان لا تعبدوا
الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم * فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين
هم اراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين * قال يا قوم ارأيتم ان كنت على
بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون * اربع آيات

القراءة قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة انى لكم بكسر الهمزة والباقون انى بفتحها وقرأ ابو عمرو ونصير عن الكسائى بادئ الرأى بالهمزة وقرأ
الباقون بادى الراى بالياء غير مهموزة وقرأ اهل الكوفة غير ابى بكر فعميت بضم العين وتشديد الميم والباقون فعميت بفتح العين مخففا
الحجة قال ابو على من فتح انى فانه يحملها على ارسلنا اى ارسلناه بانى لكم نذير مبين فان قيل لو كان محمولا عليه لكان انه لان نوحا اسما
للغيبة قيل هذا لا يمتنع لان الخطاب بعد الغيبة فى نحو هذا سائغ الا ترى قوله وكتبنا له فى الالواح ثم قال فخذها بقوة ومن كسر فالوجه
فيه انه حمله على القول المضمر لانه مما قد اضمر كثيرا فى القرآن قال سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام اى يقولون سلام
قال والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اى قالوا ما نعبدهم فان قلت فهلا رجحت قراءة من قرأ انى على
قراءة من كسر لان قوله الا تعبدوا محمول على الارسال واذا فتحت ان كان اشكل بما بعدها لحملها جميعا على الارسال فيقال لك ان من كسر
قال ويجوز ان يكون قوله انى لكم وما بعده محمولا على الاعتراض بين المحمول وما يتصل به مما بعده كما كان قوله قل ان الهدى هدى الله
اعتراضا بينهما فى قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فكذلك قوله انى لكم نذير مبين لان التقدير ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الا تعبدوا الا الله
واما قوله بادى الراى فقد حكى ابو على عن الجبائى انه قال يقال انت بادى الراى ظاهر الراى يهمز بادى وبادى الراى مهموز فمن لم يهمز اراد انت
فيما بدا من الراى انت ظاهر الراى ومن همزه اراد انت اول الراى ومبتداه وقال ابو على المعنى فيمن قال بادى الراى بلا همز فجعله من هذا
الشئ اذا ظهر ما اتبعك الا الاراذل فيما ظهر لهم من الراى اى لم يتعقبوه بنظر فيه ولا تبين له ومن همز اراد اتبعوك فى اول الامر من غير ان
يتبعوا الراى بفكر وروية فيه وهاتان الكلمتان يتقاربان فى المعنى لان الهمزة فى اللام معناه ابتداء الشئ واوله واللام اذا كانت واوا
كانت المعنى الظهور وابتداء الشئ يكون ظهورا وان كان الظهور قد يكون ابتداء وغير ابتداء فلذلك يستعمل كل واحد مكان الآخر وجاز
فى اسم الفاعل ان يكون ظرفا كما جاز فى فعيل نحو قريب ومليء لان فاعلا وفعيلا يتعاقبان على المعنى نحو عالم وعليم وشاهد وشهيد وحسن
ذلك ايضا اضافته الى الراى وقد اجروا المصدر ايضا فى اضافته اليه قولهم اما جهد رايى فانى منطلق فهذا لا يكون الا ظرفا وفعل اذا
كان مصدرا وفاعل قد يتفقان فى اشياء وقد يجوز فى قول من همز فقال بادى الراى اذا خفف الهمزة ان يقول بادى فتقلب الهمزة ياء
لانكسار ما قبلها فيكون كقولهم مير فى جمع ميرة وذيب فى جمع ذيبة والعامل فى هذا الظرف هو قولك اتبعك والتقدير ما اتبعك فى
اول رايهم او فيما ظهر من رايهم الا اراذلنا فاخر الظرف واوقع بعد الا الظرف ولو كان بدل الظرف غيره لم يجز الا ترى انك لو قلت

ما اعطيت احدا الا زيدا درهما ما وقعت بعد الاسمين لم يجز لان الفعل او معنى الفعل فى الاستثناء يصل الى ما انتصب به بتوسط الحرف ولا
يصل الفعل بتوسط الحرف الى اكثر من مفعول الا ترى انك اذا قلت استوى الماء والخشبة لم يجز ان تتبعه اسما آخر تنصبه فكذلك المستثنى
اذا الحقته الا اذا وقعت بعدها اسماء فرد لم يجز ان تتبعه آخر ولو قلت ما ضرب القوم الا بعضهم بعضا لم يجز وصحتها ما ضرب القوم احدا
الا بعضهم بعضا تبدل الاسمين بعد الا من الاسمين قبلها قال جامع العلوم البصير النحوي ان ابا علي حمل بادي الراي هنا على ان على
ظرف لما قبله ثم رجع عن مثله فى قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب قال والظرف فى الايتين عندنا محمول على الفعل
قبل الا لان الظرف تكفى فيه رائحة الفعل انتهى كلامه واقول ان ما قبله فيه نظر لان ابا علي قال فى تلك الآية لا يعمل ما قبل الاستثناء اذا
كان كلاما تاما فيما بعده وليس ما قبله الا فى هذه الآية كلام تام فان قوله الذين هم اراذلنا فاعل لقوله اتبعك فلذلك فرق بين الموضعين
رجع كلام ابي علي واما تحقيق الهمزة وتخفيفها فى الراى فاهل تحقيق الهمزة يحققونها واهل التخفيف يبدلون بها الالف وكذلك ما
اشبهه من نحو الباس والراس والفاس ومن قرا فعميت بالتخفيف يقوي قوله اجتماعهم على التخفيف فى قوله فعميت عليهم الانباء وهذه مثلها
ويجوز فى قوله فعميت امران احدهما ان يكون عموا هم عنها لان الرحمة لا تعمى وانما يعمى عنها فيكون كقولهم ادخلت القلنسوة فى راسى ونحو
ذلك مما يقلب اذا لم يكن فيه اشكال وفى التنزيل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله قال الشاعر ترى الثور فيها يدخل الظل راسه
وسائره باد الى الشمس اجمع والاخر ان يكون بمعنى خفيت كقول الشاعر ومهمة اطرافه فى مهمة اعمى الهدى بالجاهلين العمه اي اخفى
الهدى لان الهدى ليس بذى جارحة تلحقها هذه الافة ولهذا يقال للسحاب العمى لاخفائه ما يخفيه كما قيل له الغمام ومن هذا قول
الشاعر ولكنني عن علم ما فى غد عمي قال وقولهم اتانا فى حكة عمى اذا اتانا فى الهاجرة وشدة الحر ويحتمل عندنا تاويلين احدهما ان يكون المصدر اضيف
الى العمى كما قالوا ضرب التلف اى الضرب الذي يحدث عنه التلف والآخر ان يكون عمى تصغير اعمى على وجه الترخيم واضيف المصدر
الى المفعول به كقوله من دعاء الخير والتقدير حكة الحر الاعمى والمعنى ان الحر من شدته كانه يعمى من اصابه والمصدر فى الوجهين ظرف
نحو مقدم الحاج وخفوق النجم ومن قرا عميت اعتبر قراءة ابي وكلا لاعمش فعماها عليكم واسناد الفعل الى المفعول به فى عميت قريب من عماها فى المعنى
اللغة الرذل الخسيس الحقير من كل شئ والجمع ارذل ثم يجمع اراذل كقولك كلب واكلب واكالب ويجوز ان يكون جمع الارذل فيكون
مثل اكابر جمع الاكبر والراى الرؤية من قوله يرونهم مثليهم راى العين اى رؤية العين والراى ايضا ما يراه الانسان فى الامر وجمعه اراء الاعراب
الا تعبدوا الا الله يحتمل ان يكون موضع تعبدوا من الاعراب نصبا بان ويحتمل ان يكون جزما بالنهى وقوله عذاب يوم اليم يجوز ان
يكون تقديره يوم اليم عذابه فحذف المضاف الذي هو عذاب واقيم المضاف اليه الذي هو الضمير مقامه فاستكن فى اليم ويجوز ان يكون
وصف اليوم بالالم لان الالم يقع فيه ويجوز فى غير القراءة اليما فيكون صفة العذاب وقوله اتبعك فاعله الذين هم اراذلنا فى موضع
نصب بانه مفعول ثان لنراك وان كان بمعنى نعلمك وفى موضع حال ان كان من رؤية العين وقوله انلزمكموها فيه ثلث ضماير ضمير المتكلم
وضمير المخاطب وضمير الغايب فجاءت على احسن ترتيبه بدى بالمتكلم لانه اخص بالفعل ثم المخاطب ثم الغايب ولو اتى بالمنفصل لجاز
لتباعده من العامل بما فرق بينه وبينه فاشبه ما ضربت الا اياك وما ضربنى الا انت ولحان القراء انلزمكموها بتسكين الميم جعله
بمنزلة عضد وعضد وكبد وكبد ولا يجوز ذلك عند البصريين وانما يجيزون ذلك فى ضرورة الشعر كقول امرء القيس فاليوم اشرب
غير مستحقب اثما من الله ولا واغل وكقول الآخر وناع يخبرنا بمهلك سيد تقطع من وجد عليه الانامل وقول الاخر اذا اعوججن قلت صاحب
قوم بريد يا صاحب قوم المعنى لما تقدم ذكر الوعد والوعيد والترغيب والترهيب عقب سبحانه ذلك بذكر اخبار الانبياء تاكيدا لذلك
وتخويفا للخلق وتسلية للنبي صلى الله عليه وآله وبدا بقصة نوح عليه السلام فقال ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين
قد مر بيانه الا تعبدوا الا الله اى انذركم الا تعبدوا الا الله عن الزجاج يريد لان توحدوا الله وتتركوا عبادة غيره بدأ بالدعاء الى الاخلاص
فى العبادة وقيل انه دعاهم الى التوحيد لانه من اهم الامور اذ لا يصح شئ من العبادات الا بعد التوحيد انى اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم اليم انما قال اخاف عليكم مع ان عذاب الكفار مقطوع عليه لانه لم يعلم ما يؤل اليه عاقبة امرهم من ايمان او كفر وهذا الطف
فى الاستدعاء واغلب الى الاجابة فى الغالب فقال الملأ الذين كفروا من قومه اى قوم نوح لنوح عم ما نراك الا بشرا مثلنا طنا منهم

ان

ان الرسول انما يكون من غير جنس المرسل اليه ولم يعلموا ان البعثة من الجنس قد تكون اصلح ومن الشبهة ابعد وما نريك اتبعك الا
الذين هم اراذلنا اى لم يتبعك الملأ الاشراف والرؤساء منا وانما اتبعك اخساؤنا الذين لا مال لهم ولا جاه بادى الراى اى فى ظاهر الامر
والراى لم يتدبروا ما قلت ولم يتفكروا فيه قال الزجاج معناه اتبعوك فى الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك ومن قرا بالهمزة فالمعنى انهم
اتبعوك ابتداء الراى حين ابتدؤا ينظرون ولو فكروا لم يتبعوك وليس معناه ان فى مبتداء وقوع الرؤية عليهم نعلم انهم اراذلنا او سافلنا
وما نرى لكم علينا من فضل فان الفضل انما يكون فى كثرة المال والمنزلة فى الدنيا والشرف فى النسب وانما قالوا ذلك لانهم جهلوا طريقة
الاستدلال ولو استدلوا بالمعجزات الدالة على نبوته لعلموا انه نبى وان من آمن به مؤمن ومن خالفه كافر ولعرفوا حقيقة الفضل
وهكذا عادة ارباب الدنيا يستحقرون ارباب الدين اذا كانوا فقراء ويسترذلونهم وان كانوا هم الاكرمين الافضلين عند الله سبحانه
بل نظنكم كاذبين هذا تمام الحكاية عن كفار قوم نوح قالوا لنوح ومن آمن به قال نوح لقومه يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى
اى برهان وحجة تشهد بصحة النبوة وهى المعجزة وقال ابن عباس على بينة اى على يقين وبصيرة ومعرفة بربوبيته ربى وعظمته واختلف
فى قول نوح هذا انه جواب عماذا فقيل انه جواب عن قولهم بل نظنكم كاذبين فكانه قال ان تظنونى كاذبا فما تقولون لو كنت على
خلافه وعلى حجة من الله واضحة الا تصدقوننى وقيل بل هو جواب عن قولهم ما نريك الا بشرا مثلنا اى وان كنت بشرا فما تقولون اذا
اتيتكم بحجة دالة على صدقى الا تصدقوننى وفيه بيان ان الرسالة انما تظهر بالمعجز فلا معنى لاعتبار البشرية وقيل هو جواب ما نريك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا فكانه قال انهم اعتصموا بالله وبما آتاهم من البينة والرحمة فنالوا بذلك الرفعة والفضل وانتم متنعمون بالدنيا الفانية
فانتم فى الحقيقة الاراذل لا هم وقيل هو جواب عن قولهم وما نرى لكم علينا من فضل فكانه قال لا تتبعوا المال والجاه فان الواجب اتباع
الحجة والدلالة ويجوز ان يكون جوابا عن جميع ذلك وآتانى رحمة من عنده يدعليهم بهذا جميع ما ادعوه والرحمة والنعمة هنا النبوة اى
واعطانى نبوة من عنده فعميت عليكم اى خفيت عليكم لقلة تدبركم فيها انلزمكموها وانتم لها كارهون اى اتريدون منى ان اكرهكم على
المعرفة والجئكم اليها على كره منكم هذا غير مقدور لى والهاء كناية عن الرحمة فيدخل فيها النبوة والدين وساير النعم وقيل معناه انلزمكم قبولها
فحذف المضاف ويجوز ان يكون الهاء كناية عن البينة ويكون المراد انى على ادل بالبينة وليس على ان اضطركم الى معرفتها قوله تعالى

وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝ وَيَا قَوْمِ
مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ
تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝ ثلث آيات

اللغة الطرد الابعاد على
جهة الهوان وتطارد الاقران حمل بعضهم على بعض الازدراء الاحتقار افتعال من الزراية يقال زريت عليه اذا عبته وازريت به
اذا قصرت به قال الشاعر تراه فازدريه وهو حرف وينفع اهله الرجل القبيح ولم يخشوا نصالة عليهم ويحلب رغوة اللبن الصريح
المعنى ثم انكر نوح ع على قومه استثقالهم للتكليف والعاقل انما يستثقل الامر اذا لزمته مؤنة ثقيلة فقطع ع هذا العذر بقوله ويا قوم
لا اسئلكم عليه اى لا اطلب منكم على دعائكم الى الله اجرا فتمتنعون من اجابتى خوفا من اخذ المال ان اجرى الا على الله اى ما ثوابى
واجرى فى ذلك الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا اى لست اطرد المؤمنين من عندى ولا ابعدهم على وجه الاهانة وقيل انهم
كانوا يسئلونه طردهم ليؤمنوا له انفة من ان يكونوا معهم على سواء عن ابن جريج والزجاج انهم ملاقوا ربهم وهذا يدل على انهم سالوه
طردهم فاعلمهم انه لا يطردهم لانهم ملاقوا ربهم فيجازى من ظلمهم وطردهم بجزائه من العذاب عن الزجاج وقيل معناه انهم ملاقوا ثواب ربهم
فكيف يكونوا الاراذل وكيف يجوز طردهم وهم لا يستحقون ذلك عن الجبائى ولكنى اريكم قوما تجهلون بالحق واهله وقيل تجهلون ان الناس
يتفاضلون بالدين لا بالدنيا وقيل تجهلون فيما تسألون من طرد المؤمنين ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم معناه من يمنعنى من عذاب
الله ان انا طردت المؤمنين فكانوا خصمائى عند الله فى الآخرة افلا تذكرون اى افلا تتفكرون فتعلمون ان الامر على ما قلته وفرق على بن
عيسى بين التفكر والتذكر بان التذكر طلب معنى قد كان حاضرا للنفس والتفكر طلب معرفة الشئ بالقلب وان لم يكن حاضرا
للنفس وليست النصرة المذكورة فى الآية من الشفاعة فى شئ لان النصرة هى المنع على وجه المغالبة والقهر والشفاعة هى المسئلة

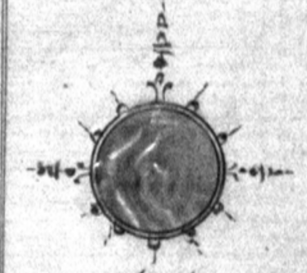
على وجه الخضوع فلا دلالة في الآية على نفي الشفاعة للمذنبين على ما قاله بعضهم ولا اقول لكم عندي خزائن الله هذا تمام الحكاية عما قاله نوح ع
لقومه ومعناه اني لا ارفع نفسي فوق قدرها فادعي ان عندي مقدورات الله تعالى فافعل ما اشاء واعطي من اشاء وامنع من اشاء عن
الجبائي وابي مسلم وقيل خزائن الله مفاتيح الله في الرزق وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم وما نرى لكم علينا من فضل
ولا اعلم الغيب اي ولا ادعي علم الغيب حتى ادلكم على منافعكم ومضاركم وقيل لا اعلم الغيب فاعلم ما تستترون في نفوسكم فيكون جوابا
لقولهم ان هؤلاء الذين اتبعوك اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم اي فعلي قبول ايمانهم الذي ظهر لي ولا يعلم ما يضمرونه الا الله تعالى ولا
اقول اني ملك فاخبركم بخبر السماء من قبل نفسي وانما انا بشر لا اعلم الاشياء من غير تعليم الله تعالى وقيل معناه لا اقول اني روحاني غير مخلوق
من ذكر وانثى بل انا بشر مثلكم خصني الله بالرسالة ولا اقول للذين تزدري اعينكم اي لا اقول لهؤلاء المؤمنين الذين تستقلونهم و
تستخسون بهم وتحتقرهم اعينكم بما ترون عليهم من زي الفقر لن يؤتيهم الله خيرا اي لا يعطيهم الله في المستقبل خيرا على اعمالهم ولا يثيبهم عليها
بل اعطاهم الله كل خير في الدنيا من التوفيق ويعطيهم كل خير في الآخرة من الثواب الله اعلم بما في انفسهم اي بما في قلوبهم من الاخلاص
وغيره اني اذا لمن الظالمين ان طردتهم تكذيبا لظاهر ايمانهم او قلت فيهم غير ما اعلم قوله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت
جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين . قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين . ولا ينفعكم نصحي ان
اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون . ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون اربع آيات

اللغة الجدال والمجادلة المقابلة بما يفتل الخصم عن مذهبه بحجة او شبهة وهو من الجدل شدة الفتل ويقال للصقر اجدل لانه من اشد
الجوارح والجدال والمراء بمعنى غير ان المراء مذموم لانه مخاصمة في الحق بعد ظهوره كمري الضرع بعد دروره وليس كذلك الجدال والفرق
بين الحجاج والجدال ان المطلوب بالحجاج ظهور الحجة والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب والاعجاز هو الفوت بالهرب والفرق
بين افتراء الكذب وقول الكذب ان قول الكذب قد يكون على وجه تقليد الانسان فيه لغيره واما افتراء الكذب فهو افتعال من
قبل نفسه واجرم وجرم بمعنى قال الشاعر طريد عشيرة ورهين جرم بما جرمت يدي وجنى لساني المعنى ثم حكى سبحانه جواب قوم نوح ع
عما قاله لهم فقال قالوا يا نوح قد جادلتنا اي خاصمتنا وحاججتنا فاكثرت جدالنا اي زدت في جدالنا على مقدار الكفاية وفي بعض
الروايات عن ابن عباس فاكثرت جدلنا والمعنى واحد فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في ان الله يعذبنا على الكفر
اي فلسنا نؤمن بك ولا نقبل منك قال اي قال نوح انما يأتيكم به الله ان شاء اي لا يأتي بالعذاب الا الله سبحانه متى شاء لا يقدر عليه
غيره فان شاء عجل وان شاء آخر وما انتم بمعجزين اي لا تفوتونه بالهرب ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم
ذكر في تأويله وجوه احدها ان كان الله يريد ان يخيبكم من رحمته بان يحرمكم ثوابه ويعاقبكم لكفركم به فلا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح
لكم وقد سمى الله سبحانه العقاب غيا بقوله فسوف يلقون غيا ويشهد بصحة ما قلناه قول الشاعر ومن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن
يغو لا يعدم على الغي لائما ولما خيب الله قوم نوح ع من رحمته وثوابه واعلم نوحا ع بذلك في قوله لن يؤمن من قومك الا من قد آمن قال لهم
لا ينفعكم نصحي مع ايثاركم ما يوجب خيبتكم والعذاب الذي جره اليكم قبيح افعالكم واذا اعترض شرط كان الثاني مقدما على الاول في المعنى
وان كان مؤخرا في اللفظ فالتقدير ولا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد ان يغويكم ان اردت ان انصح لكم وثانيها ان كان الله يريد
عقوبة اغوائكم الخلق واضلالكم اياهم اي يريد عقوبتكم على ذلك ومن عادة العرب ان تسمي العقوبة باسم الشيء المعاقب عليه كما في
قوله سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر الله والله يستهزئ بهم وقد مر فيما مضى امثال ذلك وثالثها ان معناه ان كان الله
يريد ان يهلككم لا ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم ان قبلتم قولي وآمنتم لان الله تعالى حكى بانه لا يقبل الايمان عند نزول
العذاب عن الحسن وقد حكي عن العرب انهم قالوا اغويت فلانا بمعنى اهلكته ويقال غوى الفصيل اذا افسد من كثرة شرب اللبن
ورابعها ان قوم نوح ع كانوا يعتقدون ان الله يضل عباده الذين يعبدونه وان ما هم عليه بارادة الله ولولا ذلك لغيره واجبره
على خلافه فقال لهم نوح ع على وجه التعجب من قولهم ان كان القول كما تقولون وهذا هو المحكي عن جعفر بن حرب وانما شرط
النصح بالارادة في قوله ان اردت ان انصح لكم مع وقوع هذا النصح استظهارا في الحجة عليهم لانهم ذهبوا الى انه ليس بنصح فقالوا لو

كان

كان نصحا انفع من لا يقبله ولا يجوز ان يكون المراد بالاغواء فى الاية فعل الكفر والدعاء الى الكفر والحمل عليه على ما يعتقده
المجبرة لقيام الادلة على ان خلق الكفر وارادته من اقبح القبايح كالامر به وكما لم يجز ان يأمر به فكذلك لا يجوز ان يفعله ويريده ولانه
لو جاز منه الاضلال لجاز منه ان يبعث من يدعوا الى الضلال ويظهر المعجزات على يده وفى هذا ما فيه هو ربكم واليه ترجعون
اي هو خالقكم ورازقكم والى حكمه وتدبيره تصيرون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتريه قيل انه يعنى بذلك محمدا صلى الله عليه
وآله والمراد به اي من كفار مكة بما اخبرهم به محمد صم من نبا قوم نوح ع ام يقولون افتريه محمد من تلقاء نفسه قل لهم يا محمد ان
افتريته واختلقته كما تزعمون فعلى اجرامي اي عقوبة جرمي لا تؤاخذون به وانا برئ مما تجرمون اي لا اؤاخذ بجرمكم عن مقاتل وقيل
يعنى به نوحا ع انه يقول على الله الكذب عن ابن عباس النظم ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها على القول الاول انها تتصل
بقوله ام يقولون افتريه قل فاتوا بعشر سور مثله قوله تعالى وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۝ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ
سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝ اربع ايات اللغة الابتياس حزن فى استكانة انشد ابو عبيدة ما يقسم الله
اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال وهو افتعال من البؤس وقد يكون البؤس بمعنى الفقر والصنع تبل الشئ موجودا بعد ان
كان معدوما ومثله الفعل وينفصلان من الحدوث من حيث ان الصنعة يقتضى صانعا والفعل يقتضى فاعلا من حيث اللفظة وليس
كذلك الحدوث لانه يفيد تجدد الوجود لا غير والصناعة الحرفة التى يتكسب بها والفلك السفينة تكون واحدا وجمعا والسخرية اظهار
خلاف الابطال على جهة يفهم منه استضعاف العقل ومنه التسخير والتذليل يكون استضعافا بالفرق والقهر بين السخرية واللعب
ان فى السخرية خديعة واستنقاصا ولا يكون الا للحيوان وقد يكون اللعب لجماد والحلول النزول للمقام وهو من الحل خلاف الارتحال
وحلول العرض وجوده فى الجوهر من غير شغل حيز والمصحح لحلول التحيز الاعراب سوف ينقل الفعل من الحال الى الاستقبال مثل السين
سوا الا ان فيه معنى التسويف وهو تعليق النفس بما يكون من الامور من يأتيه فى من هذه قولان احدهما ان يكون بمعنى اى فكانه قال
اينا يأتيه عذاب يخزيه والاخران يكون بمعنى الذي والمعنى واحد ومن اذا كانت للاستفهام استغنت عن الصلة لان البيان مطلوب
من المسئول دون السائل المعنى واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن اعلم الله سبحانه نوحا لا يؤمن به احد من قومه
فى المستقبل فلا تبتئس اي لا تغتم ولا تحزن بما كانوا يفعلون والعقل لا يدل على ان قوما لا يؤمنون فى المستقبل وانما طريق ذلك السمع
فلما علم ان احدا منهم لا يؤمن فيما بعد ولا من نسلهم دعا عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
الاية ولما اراد سبحانه اهلاكهم امر نبيه باتخاذ السفينة له ولقومه فقال واصنع الفلك اي اصنع السفينة لتركبها انت ومن آمن بك
باعيننا اى بمرئ منا عن ابن عباس والتاويل بحفظنا حفظ الرائى لغيره اذا كان باعين الملائكة الموكلين بك وبحضرتهم وهم ينظرون
باعينهم اليك ولهذا اضاف ذلك الى نفسه اكراما وتعظيما لهم وقوله ووحينا معناه على ما اوحى اليك من صفتها وحالها عن ابى مسلم
وقيل المراد بوحينا اليك ان اصنعها وذلك انه لم يعلم صنعة الفلك فعلمه الله عن ابن عباس اى فانا نوحى اليك بما يحتاج اليه من طوله
وعرضه وهيئته ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مغرقون اى لا تسألنى العفو عن هؤلاء الذين كفروا من قومك ولا تشفع لهم فانهم
مغرقون عن قريب وهذا غاية فى الوعيد كما يقول الملك لوزيره لا تذكر حديث فلان بين يدي وقيل انه عنى بذلك امرأته وابنه وانما
نهاه عن ذلك ليصونه عن سؤال ما لا يجاب اليه وليصرف عنه مأثم الموالاة للطغاة ويصنع الفلك اي وجعل نوح ع يصنع الفلك
كما امره الله تعالى وقيل واخذ نوح ع فى صنعة السفينة بيده فجعل ينحتها ويسويها واعرض عن قومه وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه اي كلما اجتاز به جماعة من اشراف قومه ورؤسائهم وهو يعمل السفينة يهزؤا من فعله وقيل انهم كانوا يقولون له يا نوح
صرت نجارا بعد النبوة على طريق الاستهزاء وقيل انما كانوا يسخرون من عمل السفينة لانه كان يعملها فى البر على صفة من الطول والعرض
ولا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا يتضاحكون ويتعجبون من عمله فكان ع يقول لهم ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون والمراد

ان تستجهلون ما في هذا الفعل فانا نستجهل عند نزول العذاب بكم كما تستجهلون عن الزجاج وقيل معناه فانا نجازيكم على سخريتكم عند
الغرق والهلاك واراد تعذيب الله اياهم فسمي الجزاء باسم المجزي ويحتمل ان يريد فانا نسخر منكم عند الغرق على وجه الشماتة لا على وجه
السفاهة فسوف تعلمون اينا احق بالسخرية وتعلمون عاقبة سخريتكم من ياتيه عذاب يخزيه هذا ابتداء كلام نوح عليه السلم والاظهر
ان يكون متصلا بما قبله اي فسوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يهينه ويفضحه في الدنيا ويكون يخزيه صفة لعذاب ويحل عليه عذاب
مقيم اي وينزل عليه عذاب دايم في الآخرة القصة قال الحسن كان طول السفينة الف ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقال قتادة كان
طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراع وارتفاعها ثلثين ذراعا وبابها في عرضها وقال ابن عباس كانت ثلث طبقات طبقة للناس
وطبقة للانعام والدواب وطبقة للهوام والوحش وجعل اسفلها للوحوش والسباع والهوام واوسطها للدواب والانعام وركب هو
ومن معه في الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وكانت من خشب الساج وروت عايشة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال مكث
نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى حتى اذا كان آخر زمانهم غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب فقطعها
وجعل يعمل السفينة ويمرون ويسالونه فيقول اعمل سفينة فيسخرون منه ويقولون تعمل سفينة على البر فكيف تجري فيقول سوف تعلمون
فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء في السكك خشيت ام صبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء
خرجت به حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله
منهم احدا لرحم ام الصبي وروى علي بن ابراهيم عن ابيه عن صفوان عن ابي بصير عن ابي عبد الله ع قال لما اراد الله هلاك قوم نوح ع عقم
ارحام النساء اربعين سنة فلم يلد لهم مولود ولما فرغ نوح ع من اتخاذ السفينة امره الله تعالى ان ينادي بالسريانية ان يجمع اليه جميع
الحيوان فلم يبق حيوان الا وقد حضر فادخل من كل جنس من اجناس الحيوان زوجين ما خلا الفار والسنور فانهم لما شكوا اليه سرقين
الدواب والقذر دعا بالخنزير فمسح جبينه فعطس فخرج من انفه زوج سنور وكان الذين آمنوا من جميع الدنيا ثمانين رجلا وفي حديث
آخر انهم شكوا اليه العذرة فامر الفيل فعطس فسقط الخنزير وروى الشيخ ابو جعفر في كتاب النبوة باسناده عن حنان بن سدير
عن ابي عبد الله ع قال آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل • وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي
لغفور رحيم • وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين •
قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين •
اربع آيات القراءة قرا حفص عن عاصم من كل زوجين منونا وفي المؤمنين كذلك وقرا الباقون من كل زوجين مضافا وقرا اهل
الكوفة غير ابي بكر مجريها بفتح الميم والباقون مجريها بالضم واتفقوا على ضم الميم في مرسيها الا ما يروى في الشواذ عن ابي محيص انه فتح الميم فيهما
وقرا عاصم يا بني اركب بفتح الياء والباقون بالكسر وروي عن علي بن ابي طالب وابي جعفر محمد بن علي وابي عبد الله جعفر بن محمد وعروة
بن الزبير ونادى نوح ابنه وروي عن عكرمة ابنها وعن السدي ابناه وعن ابن عباس ابنه على الوقف الحجة الوجه في قراءة حفص
ما قاله ابو الحسن ان اثنين زوجان قال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين والمراة زوج الرجل والرجل زوجها قال وقد يقال
للاثنين هما زوج قال لبيد من كل محفوف يظل عصيه زوج عليه كلة وقرامها قال ابو علي من قرا من كل زوجين كان قوله اثنين مفعول
احمل والمعنى احمل من الازواج اذا كانت اثنين زوجين فالزوجان في قوله من كل زوجين يراد بها الشياع وليس يراد بها الناقص عن
الثلثة ومثل ذلك قوله فالك بالذي لا يستطيع من الامور يدان انما يريد انتفاء قوته عنه وكثره ويبين هذا المعنى قول الفرزدق
وكل رفيقي كل رجل وانما تعاطى القنا قوماهما اخوان فريقان اثنان لا يكون رفيقي كل رجل وانما يريد الرفقاء اذا كانوا رفيقين ومن
نون فقال من كل زوجين حذف المضاف اليه من كل ونون فالمعنى من كل شيء ومن كل زوج زوجين اثنين فيكون انتصاب اثنين
على انه صفة الزوجين فان قلت فالزوجين قد فهم انهما اثنان فكيف جاز وصفهما بقوله اثنين فانما جاز ذلك للتاكيد كما
قال لا تتخذوا الهين اثنين وقد جاء في غيرها من الصفات ما مرجعه الى التاكيد كقولهم امس الدابر ونفخة واحدة ونعجة واحدة قال •



فارغتا بسل فلما كثروا شكوا اليه منهم فدعا بالاسد فمسح جبينه فعطس فسقط من انفه زوج م



ومناة

ومناة الثالثة الاخرى قال ابو علي ويجوز في قوله بسم الله مجريها ومرسيها ان يكون حالا من السببين من الضمير الذي في قوله اركبوا
او من الضمير الذي في فيها فان جعلت قوله بسم الله خبر مبتدا مقدما في قول من لم يرفع بالظرف لم يكن قوله بسم الله الا جملة في موضع الحال
من الضمير الذي في فيها ولا يجوز ان يكون من الضمير في قوله اركبوا لانه لا ذكر فيها يرجع الى الضمير الا ترى ان الظرف في قول من رفع بالظرف
قد ارتفع به الظاهر وفي قول من رفع في هذا النحو بالابتداء قد جعل في الظرف ضمير المبتدا فاذا كان كذلك خلت الجملة من ذكر يعود الى
ذي الحال من الحال من ذلك لم يكن الا حالا من الضمير الذي في فيها ويجوز ان يكون بسم الله حالا من الضمير الذي في اركبوا على ان لا يكون
الظرف خبرا عن الاسم الذي هو مجريها ومرسيها ما كان في الوجه الاول ويكون حالا من الضمير على حد قولك خرج بثيابه وركب في سلاحه
والمعنى ركب مستعدا بسلاحه ومتلبسا بثيابه وفي التنزيل وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به فكان المعنى اركبوا متبركين باسم الله
ومتمسكين بذكر اسم الله فيكون في بسم الله ذكر يعود الى المامورين فان قلت فكيف اتصال المصدر الذي هو مجريها بالكلام على هذا
فانه يكون متعلقا بما في بسم الله من معنى الفعل ويجوز ان تعلقه به لانه يكون ظرفا على نحو مقدم الحاج وخفوق النجم كانه متبركين بهذا
الاسم او متمسكين به في وقت الجري والاجراء او الرسو والارساء على حسب الخلاف بين القراء فيه ولا يكون الظرف متعلقا باركبوا
لان المعنى ليس عليه الا ترى ان المعنى لا يراد اركبوا فيها في وقت الجري والثبات انما المعنى اركبوا الآن متبركين باسم الله في الموقعين
الذين لا ينفك الراكبون فيها من الاجراء والارساء ليس يراد اركبوا وقت الجري والرسو فموضع مجريها نصب على هذا الوجه بالظرف وعمل
فيه المعنى وفي الوجه الاول رفع بالابتداء او بالظرف ويدل على انه في الوجه الاول رفع وان كان ذلك الفعل الذي كان يتعلق به
لا يعتبر به الا في قول الشاعر انشده الاصمعي واياي انت وقول الاشعث كانه درعليه ذنب ومجة من ضم ان جرت بهم واجراهم
يتقاربان في المعنى يقال جرى الشيء واجريته به واما قوله يا بني فقد قال ابو علي الكسر في الياء الوجه في يا بني وذلك ان اللام من ابن
ياء او واو حذفت في ابن كما حذفت في اسم واثنين فاذا صغرت لحقت ياء التحقير فلزم ان ترد اللام التي حذفت لانك لو لم تردها
لوجب ان تحرك ياء التحقير بحركات الاعراب وتعاقبها عليها وهي لا تحرك ابدا بحركة الاعراب ولا غيرها الا ترى ان من حذف الهمزة
الساكن ما قبلها في نحو حسب لم يفعل ذلك في الهمزة نحو افياس انما تبدل من الهمزة ياء ويدغم فيها ياء التحقير كما يفعل ذلك مع تاء خطية
ووداو مقروة ونحو ذلك من حروف المد التي لا تحرك فاذا تبينت ان ياء التحقير اجريت هذا المجرى علمت انها لا تحرك كما لا يحرك حرف المد
الذي اجريت ياء التحقير مجراها فلو لم يرد اللام مع ياء التحقير وجعلها محذوفة في التحقير كما حذفتها في التكسير لو حركتها لبطلت
دلالتها على التكسير فلذلك رددت اللام فاذا رددتها واضفت الى نفسك اجتمعت ثلث ياآت الاولى منها هي للتحقير والثانية لام
الفعل والثالثة التي للاضافة تقول هذا بني فاذا ناديته جاز فيها وجهان اثبات الياء وحذفها فمن قال يا عبادي فاثبت فقياس
قوله ان يقول بنيي ومن قال يا عباد قال يا بني فحذف الياء وابقى الكسرة دالة عليها وهذا الوجه هو الجيد عندهم ومن قرا يا بني بالفتح
فالقول فيه انه اراد الاضافة كما ارادها في قوله يا بني اذا كسر الياء التي هي لام الفعل كانه قال يا بنيي باثبات ياء الاضافة ثم ابدل من
الكسرة الفتحة ومن الياء الالف فصار يا بنيا كما قال الشاعر يا بنت عما لا تلومي واهجعي ثم حذف الالف كما كان حذف الياء في يا بني
وقد حذف الياء التي للاضافة اذا ابدلت الالف منها انشد ابو الحسن فلست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لو اني
بلهفا قال ابو عثمان ووضع الالف مكان الياء في الاضافة مطرد ولجاز يا زيدا تقيل اذا اردت الاضافة قال وعلى هذا قراءة
من قرا يا ابة لم تعبد ويا قوم لا اسئلكم وانشد وهل جزع ان قلت وابتاهما ومن قرا ونادى نوح ابنه فانه اراد ابنها كما روى عن
عكرمة والمعنى ابن امراته لانها قد جرى ذكرها في قوله سبحانه واهلك فقد حذف الالف تخفيفا كما قلناه في يا بني بالفتح ويا ابة واما
قراءة السدي ابناه فانه يريد به التثنية وهو على الحكاية اي قال له يا ابناه او وا ابناه واما ابنه بالسكون فعلى ما جاء في نحو قوله
ومطواي مشتاقان له ارقان اللغة الفور الغليان واصله الارتفاع فار القدر يفور فورا وفورانا اذا ارتفع ما فيه بالغليان
ومنه قولهم فعل ذلك من فوره اي قبل ان يسكن والارساء امساك السفينة بما تقف عليه يقال ارساها الله فرست قال عنترة فصبرت
نفسا عند ذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع والموج جمع موجة وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير والعصمة المنع

الاعراب حتى متعلقة بقوله واصنع الفلك باعيننا لا عاصم ركب عاصم مع لا فبنى لانهما بالتركيب صارا كاسم واحد وقيل انه بني لتضمنه معنى من لان هذا جواب هل من عاصم وحق الجواب ان يكون وفق السؤال فكان يجب ان يقول لا من عاصم الا ان من حذفت وتضمن الكلام معناه فبنى الاسم كذلك وهذا وجه حسن واليوم خبر والعامل فيه المحذوف لا قوله عاصم لانه لو عمل فيه عاصم لصار من صلته فكان يجب هو ينه لشبه المضاف كما تقول لا ضاربا زيد فى دارك ولم يقرا احد لا عاصم اليوم وقيل ان خبره قوله من امر الله والتقدير لا عاصم كائن من امر الله فى اليوم واليوم معمول الظرف وان يتقدم عليه كما جاز كل يوم لك ثوب ولا يجوز ان يتعلق اليوم بنفس امر لان امر مصدر فلا يتقدم عليه ما فى صلته ومن رحم فيه ثلثة اقوال احدها ان يكون لكن من رحمة الله معصوم والثانى ان يكون المعنى لا عاصم الا من رحمنا فكانه قال لا عاصم الا الله والثالث ان عاصم ههنا بمعنى معصوم وتقديره لا معصوم من امر الله الا من رحمه الله وقد ياتى فاعل بمعنى مفعول كقوله فى عيشة راضية اى مرضية وماء دافق اى مدفوق قال الحطية دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسى اى المكسو وعلى القول الاخرين يكون الاستثناء متصلا وقال ابن كيسان لما قال لا عاصم كان معناه لا معصوم لان فى نفي العاصم نفي المعصوم ثم قال الا من رحم فاستثناه على المعنى ويكون متصلا المعنى ثم اخبر الله سبحانه على اهلاك قوم نوح فقال حتى اذا جاء امرنا والمعنى فى قولك حاله وحالهم حتى اذا جاء قضاؤنا بنزول العذاب وفار التنور بالماء اى ارتفع الماء بشدة اندفاع وفى التنور اقوال انه تنور الخابزة وانه تنور كان لآدم ع وفار الماء منه علامة لنوح ع اذ نبع الماء من موضع غير معهود خروجه منه عن ابن عباس ومجاهد ثم اختلف فى ذلك فقال قوم ان التنور كان فى دار نوح ع بعين وردة من ارض الشام وقال قوم بل كان فى ناحية الكوفة وهو المروي عن ائمتنا ع وروى المفضل بن عمر عن ابي عبد الله ع فى حديث طويل قال كان التنور فى بيت عجوز مؤمنة فى قبلة ميمنة الكوفة قال قلت كيف كان بدؤ خروج الماء من ذلك التنور قال نعم ان الله احب ان يرى قوم نوح آية ثم ان الله سبحانه ارسل عليهم المطر يفيض فيضا وفاضت العيون كلهم فيضا فغرقهم الله وانجا نوحا ومن معه فى السفينة قلت فكم لبث نوح فى السفينة حتى نضب الماء فخرجوا منها فقال لبث فيها سبعة ايام بلياليها فقلت له ان مسجد الكوفة لقديم فقال نعم وهو مصلى الانبياء ولقد صلى فيه رسول الله ص حين اسري به الى السماء قال له جبرائيل ع يا محمد هذا مسجد ابيك آدم ومصلى الانبياء فانزل فصلى فيه فنزل فصلى فيه ثم ان جبرائيل ع عرج به الى السماء وفى رواية اخرى ان السفينة استقلت بما فيها فجرت على ظهر الماء مائة وخمسين يوما بلياليها وروى ابو عبيدة الحذاء عن ابي جعفر ع قال مسجد كوفان روضة من رياض الجنة الصلوة فيه بسبعين صلوة صلى فيه الف نبي وسبعون نبيا وفيه فار التنور وجرت السفينة وهو سرة بابل ومجمع الانبياء عليهم السلم وثانيها ان التنور وجه الارض عن ابن عباس وعكرمة والزهري واختاره الزجاج ويؤيده قوله وفجرنا الارض عيونا وثالثها ان معنى قوله وفار التنور طلع الفجر وظهرت امارات دخول النهار وتقضى الليل من قولهم نور الصبح تنويرا روي ذلك عن علي ع ورابعها ان التنور اعلى الارض واشرفها والمعنى نبع الماء من الامكنة المرتفعة بالتنانير لعلوها وخامسها ان فار التنور اشتد غضب الله عليهم ووقعت نقمته بهم كما تقول العرب حمي الوطيس اذا اشتدت الحرب وفار قدر القوم اذا اشتدت حربهم قال الشاعر تفور علينا قدرهم فنديمها ونفثؤها عنا اذا حميها غلا يريد بالقدر الحرب ونديمها نسكنها وهذا ابعد الاقوال من الاثر وحمل الكلام على الحقيقة التى تشهد بها الرواية اولى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين اى قلنا لنوح لما فار التنور احمل فى السفينة من كل جنس من الحيوان زوجين اى ذكرا وانثى وقد ذكرنا المعنى فى حجة القرائة واهلك اى واحمل اهلك وولدك الا من سبق عليه القول اى من سبق الوعد باهلاكه والاخبار بانه لا يؤمن وهى امراته الخائنة واسمها واعلة وابنها كنعان ومن آمن اى واحمل فيها من آمن بك من غير اهلك ثم اخبر سبحانه فقال وما آمن معه الا قليل اى الا نفر قليل وهم ثمانون انسانا فى قول الاكثرين وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرأة وبنوه الثلثة ونساؤهم فهم ثمانية وسبعون نفسا وحمل معه جسد آدم ع عن مقاتل وقيل عشرة انفس عن الاعمش وكان فيهم بنوه الثلثة سام وحام ويافث وكنائن له فالعرب والروم واصناف العجم ولد سام والسودان من الحبش والزنج وغيرهم ولد حام والترك والصين والصقالبة ويأجوج ومأجوج ولد يافث وقال اركبوا فيها اى قال نوح عم لمن آمن معه اركبوا فى السفينة وفى الكلام حذف تقديره فلما فار التنور وعرف نوح ع على ما دله الله عليه من هلاك

الكفار

الكفار وقال لاهله وقومه اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها اي متبركين بسم الله او قايلين بسم الله وقت اجرايها ووقت ارسايها
او اثباتها وحبسها وقيل معناه بسم الله اجراؤها وارساؤها وقد ذكرنا تفسيره في الحجة قال الضحاك كانوا اذا ارادوا ان تجري السفينة
قالوا بسم الله مجراها فجرت واذا ارادوا ان تقف السفينة قالوا بسم الله مرسيها فوقفت ان ربي لغفور رحيم هذا حكاية عما قاله نوح ع
لقومه ووجه اتصاله بما قبله انه لما ذكر النجاة بالركوب في السفينة ذكرت النعمة بالمغفرة والرحمة ليجتلبا بالطاعة كما اجتلبت النجاة
بركوب السفينة وهي تجري بهم في موج كالجبال معناه ان السفينة كانت تجري بنوح ومن معه على الماء في امواج كالجبال في عظمها و
ارتفاعها ودل بتشبيهها بالجبال على ان ذلك لم يكن موجا واحدا بل كان كثيرا وروى عن الحسن ان الماء ارتفع فوق كل شيء وفوق كل جبل
ثلثين ذراعا وقال غيره خمس عشرة ذراعا وقيل ان سفينة نوح ع سارت لعشر مضين من رجب فسارت ستة اشهر حتى طافت الارض
كلها لا تستقر في موضع حتى اتت الحرم فطافت في موضع الكعبة اسبوعا وكان الله سبحانه رفع البيت الى السماء ثم سارت بهم حتى انتهت
الى الجودي وهو جبل بارض الموصل فاستقرت عليه اليوم العاشر من المحرم وروى اصحابنا عن ابي عبد الله ع ان نوحا ع ركب السفينة
اول يوم من رجب فصام وامر من معه ان يصوموا ذلك اليوم وقال من صام ذلك اليوم تباعدت عنه النار مسيرة سنة ونادى نوح ابنه
كنعان وقيل اسمه يام وكان في معزل اي في قطعة من الارض غير القطعة التي كان نوح فيها حين ناداه وقيل معناه وكان في ناحية من
دين ابيه اي قد اعتزل دينه وكان نوح ع يظن انه مسلم فلذلك دعاه وقيل كان في معزل من السفينة يا بني اركب معنا ولا تكن مع
الكافرين دعا ابنه الى ان يركب معه في السفينة ليسلم من الغرق قال الحسن كان ينافق اباه فلذلك دعاه وقال ابو مسلم دعاه بشرط
الايمان ومعناه يا بني من امن بالله ثم اركب معناه ولا تكن على دين الكافرين وعلى القول الاول يكون معناه ولا تتخلف مع الكافرين
فتغرق معهم فاجابه ابنه قال ساوي الى جبل اي سارجع الى ماوي من جبل يعصمني من الماء اي يمنعني من افات الماء قال نوح عليه
لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم اي لا مانع ولا دافع اليوم من عذاب الله الا من رحمه الله بايمانه فامن بالله يرحمك الله وحال
بينهما الموج فكان اي صار من المغرقين قوله تعالى وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ
بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ آية اللغة البلع اجراء الشيء في الحلق الى الجوف والاقلاع اذهاب الشيء من اهله حتى لا يرى له
اثر يقال اقلعت السماء اذا اذهب مطرها حتى لا يبقى شيء واقلع عن الامر اذا تركه راسا المعنى ثم بين سبحانه الحال بعد انتهاء الطوفان
فقال وقيل يا ارض ابلعي ماءك اي قال الله سبحانه للارض انشفي ماءك الذي نبعت به العيون واشربي ماءك حتى لا يبقى على وجهك
شيء منه وهذا اخبار عن اذهاب الماء عن وجه الارض باقل مدة مجرى مجرى ان قيل لها ابلعي فبلعت ويا سماء اقلعي اي وقال
للسماء يا سماء امسكي عن المطر وهذا اخبار عن امتناع السحاب وانقطاع المطر في اسرع زمان فكانه قال لها اقلعي فاقلعت وغيض
الماء اي ذهب به عن وجه الارض الى باطنه والمعنى ونشفت الارض ماءها ويقال ان الارض ابتلعت جميع ماءها وماء السماء
لقوله وغيض الماء ويقال انها لم تبتلع ماء السماء لقوله ماءك وان ماء السماء صار بحارا وانهارا وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلم
وقضي الامر وقع اهلاك الكفار على التمام وفرغ من الامر وقيل وقضي الامر بنجاة نوح ومن معه واستوت على الجودي اي
استقرت السفينة على الجبل المعروف قال الزجاج وهو بناحية آمد وقال غيره بقرب جزيرة الموصل قال زيد بن عمرو بن نفيل
سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبلنا سبح الجودي والجمد وقال ابو مسلم الجودي اسم لكل جبل وارض صلبة وفي كتاب النبوة مسندا
الى ابي بصير عن ابي الحسن موسى بن جعفر ع قال كان نوح ع لبث في السفينة ما شاء الله وكانت مأمورة فخلى سبيلها فاوحى
الله الى الجبال اني واضع سفينة نوح ع عند ذلك يا ماريا اتقن وهو بالعربية يا رب اتقن وفي رواية اخرى يا رهمان اتقن
وتاويله يا رب احسن وقيل ارست السفينة على الجودي شهرا وقيل بعدا للقوم الظالمين اي قال الله تعالى ذلك معناه
ابعد الله الظالمين من رحمته لا يرادهم انفسهم مورد الهلاك وانما انتصب المصدر وفيه معنى الدعاء ويجوز ان يكون هذا
من قول الملائكة او من قول نوح ع والمومنين وفي هذه الآية من بدايع الفصاحة وعجايب البلاغة ما لا يقاربه كلام البشر
ولا يدانيه منها انه خرج مخرج الامر وان كانت الارض والسماء من الجماد ليكون ادل على اقتداره ومنها حسن تقابل المعنى

وايتلاف الالفاظ ومنها حسن البيان فى تصوير الحال ومنها الايجاز من غير اخلال وغير ذلك مما يعلمه من تدبره وله معرفة بكلام العرب

ومعادلاتهم ويروى ان كفار قريش ارادوا ان يتعاطوا معارضة القرآن فعكفوا على لباب البر ولحوم الضان وسلاف الخمر اربعين يوما

لتصفوا اذهانهم فلما اخذوا فيما ارادوا وسمعوا هذه الاية فقال بعضهم لبعض هذا كلام لا يشبهه شئ من الكلام ولا يشبه كلام

المخلوقين وتركوا ما اخذوا فيه وافترقوا قوله تعالى وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ

الْحَاكِمِينَ ۝ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ قَالَ

رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ۝ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا

وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ

تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۝ خمس آيات القراءة قرأ الكسائى ويعقوب وسهل انه

عمل غير صالح على الفعل ونصب غيره والباقون عمل اسم مرفوع منون غير بالرفع وقرأ ابن كثير فلا تسألن مشددة النون مفتوحة وقرأ

ابو عمرو ويعقوب وسهل فلا تسألنى خفيفة النون مثبتة الياء وقرأ اهل الكوفة خفيفة النون بغير ياء وقرأ اهل المدينة غير قالون

فلا تسألنى مشددة النون مثبتة الياء وقرأ ابن عامر وقالون مشددة النون مكسورة بغير ياء [illegible] قال ابو [illegible] عمل

منون فالمراد سؤالك ما ليس لك به علم غير صالح ويحتمل ان يكون الضمير فى قوله انه لما دل عليه قوله اركب معنا [illegible] الكافرين

فيكون تقديره ان كونك مع الكافرين وانحيازك اليهم وتركك الركوب معنا والدخول فى جملتنا عمل غير صالح ويجوز ان يكون الضمير

لابن نوح ويكون القراءتان متفقتين فى المعنى وان اختلفتا فى اللفظ ومن ضعف هذه القراءة بان العرب لا تقول هو يعمل غير حسن

حتى يقولوا عملا غير حسن فالقول فيه انهم يقيمون الصفة مقام الموصوف عند ظهور المعنى فيقول القايل قد فعلت صوابا وقلت

حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت قولا حسنا قال عمر بن ابى ربيعة ايها القايل غير الصواب اخر النصح واقلل عتابك وقال ايضا

وكم من قتيل ما يباء به دم ومن غلق رهن اذا لفه منا ومن مالى عينيه من شئ غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى اراد كم من انسان قتيل

ونظايره كثيرة ومن قرأ فلا تسألن بفتح اللام ولم يكسر النون عدى السؤال الى مفعول واحد فى اللفظ والمعنى على التعدى الى مفعول

ثان ومن كسر النون ههنا فانه يدل على تعديته السؤال الى مفعولين احدهما اسم المتكلم والاخر الاسم الموصول وحذفت النون

المتصلة بياء المتكلم لاجتماع النونات كما حذف النون من قولهم انى كذلك وكما حذفت من قوله يسوء الفاليات اذا فلينى واما اثبات

الياء فى الوصل فهو الاصل وحذفها اخف والكسرة تدل عليها وقوله ما ليس لك به علم يحتمل قوله به فى الآية وجهين احدهما ان يكون

كقوله كان جزائى بالعصا ان اجلدا اذا قدمت بالعصا وكانوا فيه من الزاهدين وانى لكما لمن الناصحين وانا على ذلكم من الشاهدين

وزعم ابو الحسن ان ذلك انما يجوز فى حروف الجر والتقدير فيه تعليق بمضمر يفسره هذا الذي ظهر بعده وان كان لا يجوز تسلطه

ومثل ذلك قوله يوم يرون الملئكة لا بشرى يومئذ ولا يجوز لما بعد هذه ان تتسلط على يوم يرون وكذلك انى لكما لمن الناصحين

يتعلق بما يدل عليه قوله علم الظ وان لم يجز ان يعمل فيه والوجه الآخر ان يكون متعلقا بالمستقر وهو العامل فيه كتعلق الظرف

بالمعانى كما تقول ليس لك فيه رضا فيكون به فى الآية بمنزلة فيه والعلم يراد به العلم المتيقن الذي يعلم به على ظاهره كالذى فى

قوله فان علمتموهن مؤمنات ونحوه ما يعلمه الحاكم بشهادة الشاهدين واقرار المقر بما يدعى ونحو ذلك مما يعلم به العلم الظاهر الذي

يسع الحاكم الحكم بالشئ معه الاعراب تلك مبتداء ومن انباء الغيب الخبر ونوحيها اليك خبر ثان وان شئت كان فى موضع الحال

اى تلك كاينة من انباء الغيب موحاة اليك وان شئت كان تلك مبتداء ونوحيها الخبر والجار من صلة نوحيها اى تلك نوحيها

اليك من انباء الغيب ولا يجوز ان يكون من زيادة على تقدير تلك انباء الغيب لانها لا تزاد فى الواجب ويجوز على قول الاخفش

المعنى ثم حكى سبحانه تمام قصة نوح ع فقال ونادى نوح ربه نداء تعظيم ودعاء فقال رب ان ابنى من اهلى وان وعدك

الحق لا خلف فيه ان كان ممن وعدتنى بنجاته وانت احكم الحاكمين فى قولك وفعلك قال الله سبحانه يا نوح انه ليس من اهلك وقد

قيل فى معناه اقوال احدها انه كان ابنه لصلبه والمعنى انه ليس من اهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك لان الله سبحانه

خمس

٤٢

قد استثنى من اهله الذين وعده ان ينجيهم من اراد اهلاكهم بالغرق فقال الا من سبق عليه القول عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك
وعكرمة واختاره الجبائي وثانيها ان المراد بقوله ليس من اهلك انه ليس على دينك فكان كفره اخرجه عن ان يكون له احكام اهله عن
جماعة من المفسرين وهذا كما قال النبي ص سلمان منا اهل البيت وانما اراد على ديننا وروى علي بن مهزيار عن الحسن بن علي الوشاء عن
الرضا ع قال قال ابو عبد الله ع ان الله تعالى قال لنوح ع انه ليس من اهلك لانه كان مخالفا له وجعل من اتبعه من اهله ويؤيد هذا
التاويل ان الله سبحانه قال على طريق التعليل انه عمل غير صالح فبين انه انما خرج عن احكام اهله لكفره وسوء عمله وروى عن عكرمة انه
قال كان ابنه ولكنه كان مخالفا له في العمل والنية فمن ثم قيل انه ليس من اهلك وثالثها انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه
فقال ع انه ابني على ظاهر الامر فاعلمه الله تعالى ان الامر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امراته عن الحسن ومجاهد وهو وجه
بعيد حيث ان فيه منافاة القرآن لانه تعالى قال ونادى نوح ابنه ولان الانبياء يجب ان ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعير وتشين
وقد نزه الله انبياءه عما دون ذلك توقيرا لهم وتعظيما عما ينفر من القبول منهم ويعني عن ابن عباس انه قال ما زنت امراة نبي قط
وكانت الخيانة من امراة نوح انها كانت تنسبه الى الجنون والخيانة من امراة لوط انها كانت تدل على اضيافه ورابعها انه كان ابن
امراته وكان ربيبه ويعضده قراءة من قرا ابنه بفتح الهاء او ابنها والمعتمد والمعول عليه في تاويل الآية القولان الاولان انه عمل
غير صالح قد ذكرنا الوجه في القراءتين واختار المرتضى قدس الله روحه في تاويله ان ابنك ذو عمل غير صالح وصاحب عمل غير
صالح واستشهد بذلك على قول الخنسا ما ام سقب على بو تطيف به قد ساعدتها على الحنان اظآر ترتع اذا رتعت حتى اذا ادكرت
فانما هي اقبال وادبار اراد فانما هي ذات اقبال وادبار قال ومن قال ان المعنى ان سؤالك اياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح
فان من يمنع من ان يقع من الانبياء شيء من القبائح يدفع ذلك فاذا قيل له فلم قال فلا تسألن ما ليس لك به علم وان لم يقع
منه كما نهى الله سبحانه عن الشرك في قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وان لم يجز وقوع ذلك منه ولما سال نوح ع نجاة ابنه بشرط
المصلحة لا على سبيل القطع فلما بين له تعالى ان المصلحة في غير نجاته لم يكن ذلك خارجا عما تضمنه السؤال وقوله اني اعظك
اي احذرك والوعظ الدعاء للحسن والزجر عن القبيح على وجه الترغيب والترهيب ان تكون من الجاهلين معناه لا تكن منهم
قال الجبائي يعني اعظك لئلا تكون من الجاهلين ولا شك ان وعظه سبحانه يصرف عن الجهل وينزه عن القبيح قال نوح ع
عند ذلك رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم اي اعتصم بك من ان اسالك ما اعلم انه صواب وانك تفعله ومعنى
العياذ بالله الاعتصام به طلبا للنجاة ومعناه ههنا الخضوع والتذلل لله سبحانه ليوفقه ولا يكله الى نفسه وانما حذف
يا من قوله رب واثبته في قوله يا نوح لان ذلك نداء تعظيم وهذا نداء تنبيه فوجب ان ياتي بحرف التنبيه والا تغفر لي وترحمني
اكن من الخاسرين انما قال ذلك على سبيل التخشع والاستكانة لله تعالى وان لم يسبق منه ذنب ثم حكى الله سبحانه ما امر به نوحا
حين استقرت السفينة على الجبل بعد خراب الدنيا بالطوفان فقال قيل يا نوح اهبط اي انزل من الجبل او من السفينة بسلام منا
اي بسلامة منا ونجاة وقيل بتحية وتسليم منا عليك وبركات عليك اي ونعم دائمة وخيرات نامية ثابتة حالا بعد حال وعلى امم
ممن معك يعني الامم الذين كانوا معه في السفينة من المؤمنين والامة الجماعة الكثيرة المتفقة على ملة واحدة وقيل معناه وعلى امم
من ذرية من معك وقيل يعني بالامم ساير الحيوان الذين كانوا معه لان الله تعالى جعل فيها البركة وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب
اليم معناه انه يكون من نسلهم امم سنمتعهم في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون فنهلكهم ثم يمسهم بعد ذلك الهلاك عذاب مؤلم
وانما ارتفع امم لانه استانف الاخبار عنهم وروى عن الحسن انه قال هلك المتمتعون في الدنيا لان الجهل يغلب عليهم والغفلة
فلا يتفكرون الا في الدنيا وعمارتها وملاذها ثم اشار سبحانه الى ما تقدم ذكره من اخبار نوح وقومه فقال تلك اي تلك الانباء
من انباء الغيب اي من اخبار ما غاب عنك معرفته ولو قال ذلك كان جائزا لان المصادر قد يكنى عنها بالتذكير كما يكنى بالتانيث
يقولون قدم فلان ففرحت بها اي بقدمته وفرحت به اي بقدومه نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي
ان هذه الاخبار التي اخبرناكها لم تكن تعلمها انت ولا قومك من العرب يعرفونها من قبل ايحائنا اليك لانهم لم يكونوا اهل كتاب

وسير وقيل من قبل هذا القران وبيان القصص فيه فاصبر اى فاصبر على القيام بامر الله وعلى اذى قومك يا محمد كما صبر نوح على
اذى قومه وهذا هو احد الوجوه التى لاجلها كرر الله تعالى قصص الانبياء ليصبر النبي صلعم على ما كان يقاسيه من امور الكفار الجهال
حالا بعد حال ان العاقبة للمتقين اى ان العاقبة المحمودة وخاتمة الخير والنصرة للمتقين كما كانت لنوح عليه السلم قوله تعالى

والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجري الا على
الذي فطرني افلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا
مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض
الهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم
ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا
ان ربي على كل شيء حفيظ ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ
وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم
القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود احدى عشرة آية اللغة الفطر الشق عن امر الله كما ينفطر الورق عن
الثمر ومنه فطر الله الخلق لانه بمنزلة ما شق عنه فظهر المدرار الدار الكثير المتتابع على قدر الحاجة اليه دون الزائد المفيد المضر ومفعال
للمبالغة كقولهم معطار ومقدام واعتراك من قولهم عراه يعروه اذا اصابه قال الشاعر من القوم يعروه اجتراء ومأثم والفرق بين الانظار
والتاخير ان الانظار امهال لينظر صاحبه فى امره والتاخير خلاف التقديم والناصية قصاص الشعر واصله الاتصال من قولهم مفازة
تناصي مفازة اذا كانت الاخرة متصلة بالاولى قال فى تناصيها بلاد فى بلاد وقال ابو النجم ان يمس راسي اشمط العناصي كانما فرقه تناصي
اي يجاذب لتتصل به فى مرة العنيد العاتى الطاغى عند يعند عنودا اذا تجبر وعند عن الامر اذا حاد عنه فهو عاند وعنود الاعراب
اخاهم نصب بتقدير ارسلنا كانه قال ارسلنا الى عاد اخاهم وهودا عطف بيان وعاد مصروف لان المراد به الحي وقد يقصد به القبيلة
فلا تصرف قال لو شهد عاد فى زمان عاد لابتزها مبارك الجلاد وغيره من ضم الراء ضم الصفة على الموضع ومن جره حمله على اللفظ قوله ان
نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال صاحب كتاب الكشف لجامع النحوى ان حرف نفي لحقت فنفت جميع القول الا قولا واحدا هو
قولهم اعتراك بعض الهتنا بسوء فالتقدير ما نقول قولا الا هذه المقالة والفعل يدل على المصدر وعلى هذا الظرف وعلى الحال فيجوز ان يكون
الفعل ثم يستثنى من مدلوله ما دل عليه من المصادر والظروف والاحوال فنقول اعتراك مستثنى من المصدر الذي دل عليه نقول
كقوله نعم فما نحن بميتين وما جاء من ذلك فى الظرف الا موتتنا الاولى نصب موتتنا على الاستثناء لانه مستثنى من ضروب الموت
الذي دل عليه قوله بميتين ومما جاء من ذلك فى الظرف قوله ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار فساعة استثناء مما دل
عليه يلبثوا من الاوقات ومما جاء من ذلك فى الحال قوله ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله التقدير ضربت عليهم الذلة فى جميع
الاحوال اينما ثقفوا الا متمسكين بحبل من الله اي بعهد من الله انتهى كلامه وقوله فان تولوا تقديره فان تتولوا فحذف احدى
التائين لدلالة الكلام عليه وقوله بعدا لعاد منصوب على المصدر اي ابعدهم الله بعدا فوقع بعدا موقع ابعاد كما وقع نباتا موقع انبات
فى قوله والله انبتكم من الارض نباتا المعنى ثم عطف سبحانه قصة هود على قصة نوح فقال والى عاد اخاهم هودا اراد اخاهم فى النسب
دون الدين قال يا قوم اعبدوا الله وحده واطيعوه دون الاصنام ما لكم من اله غيره دخول من تفيد التعميم نفى ان يكون لهم معبود يستحق
العبادة غير الله عز اسمه ان انتم الا مفترون اى ما انتم الا كاذبون فى قولكم ان الاصنام الهة يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا اي لست اطلب
منكم على دعائي لكم الى عبادة الله جزاء ان اجري الا على الذي فطرني اي ليس جزائي الا على الله الذي خلقني افلا تعقلون عني ما اقول لكم فتعلمون
ان الامر على ما اقوله ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد بينا وجه تقديم الاستغفار على التوبة فى اول هذه السورة يرسل السماء
عليكم مدرارا اي يرسل المطر عليكم متتابعا متواترا دارا وقيل انهم كانوا قد اجدبوا فوعدهم هود انهم ان تابوا اخصبت بلادهم و
امرعت وهادهم واثمرت اشجارهم وزكت ثمارهم وينزل الغيث الذي يعيشون به وهذا مثل قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه

من حيث لا يحتسب ويزدكم قوة الى قوتكم فسرت القوة ههنا بالمال والولد والشدة وكل ذلك مما يتقوى به الانسان قال علي بن عيسى يزيد
عزا الى عزكم بكثرة عددكم واموالكم وقيل قوة في ايمانكم الى قوة في ابدانكم ولا تتولوا عما ادعوكم اليه مجرمين اي مشركين كافرين قالوا يا هود
ما جئتنا ببينة اي بحجة ومعجزة تبين صدقك وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك اي لسنا بتاركين عبادة الاصنام لاجل قولك وقيل
ان عن ان جعلت مكان البدل فمعناه بقولك وما نحن لك بمؤمنين اى مصدقين وانما حملهم على دفع البينة مع ظهورها اشياء منها
تقليد الاباء والرؤساء ومنها ايهامهم لمن جاء بها ومنها انه دخلت عليهم الشبهة في صحتها ومنها اعتقادهم لاصول فاسدة دعتهم الى جحدها
وانما حملهم على عبادة الاوثان اشياء منها اعتقادهم ان عبادتها تقربهم الى الله زلفى ومنها ان الشيطان ربما القى اليهم ان عبادتها
لحظهم في الدنيا ومنها انهم ربما اعتقدوا مذهب المشبهة فاتخذوا الاوثان على صورة عندهم فعبدوها ان نقول الا اعتراك بعض
الهتنا هذا تمام الحكاية عن قوم هود جوابا لهود والمعنى لسنا نقول فيك الا انه اصابك بعض الهتنا بسوء فخبل عقلك لسبك لها و
شتمك اياها مذهب اليه ابن عباس ومجاهد قال اى قال هود لقومه انى اشهد الله واشهدوا اي واشهدكم ايضا بعد شهادة الله انى
بريء مما تشركون (من دونه) اى ان كنتم تزعمون ان الهتكم عاقبتني لطعني عليها فاني على بصيرة في البراءة مما تشركون مع الله من الهتكم التي
تزعمون انها اصابتني بسوء وانما استشهدكم على ذلك وان لم يكونوا اهل شهادة من حيث كانوا كفارا فساقا اقامة للحجة عليهم لا لتقوم
الحجة بهم فقال هذا القول اعذارا وانذارا وقيل انه اراد بقوله اشهدوا اعلموا كما قال شهد الله اى علم الله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
اى فاحتالوا واجتهدوا انتم والهتكم في انزال مكروه بي ثم لا تمهلوني قال الزجاج وهذا من اعظم ايات الانبياء ان يكون الرسول
وحده وامته متعاونة عليه فيقول لهم كيدوني فلا يستطيع واحد منهم ضره وكذلك قال نوح ع لقومه فاجمعوا امركم وشركاءكم
الاية وقال نبينا ص فان كان لكم كيد فكيدون ومثل هذا القول لا يصدر الا عمن هو واثق بنصرة الله وبانه يحفظه ويعصمه
منهم ثم ذكر هود ع هذا المعنى فقال انى توكلت على الله ربي وربكم اي فوضت امري الى الله سبحانه متمسكا بطاعته تاركا لمعصيته
وهذا هو حقيقة التوكل على الله سبحانه ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اى ما من حيوان يدب على وجه الارض الا هو
مالك لها يصرفها كيف يشاء ويقهرها وجعل الاخذ بالناصية كناية عن القهر والقدرة لان من اخذ بناصية غيره فقد قهره
واذله ان ربي على صراط مستقيم اى انه سبحانه مع كونه قاهرا على عدل فيما يعامل به عباده والمعنى انه يعدل ولا يجور وقيل معناه
ان ربي في تدبير عباده على طريق مستقيم لا عوج فيه ولا اضطراب فهو يجري على سبيل الصواب يفعل ما تقتضيه الحكمة
فان تولوا هذا حكاية عما قاله هود ع لقومه والمعنى فان تتولوا ويجوز ان يكون حكاية عما قال سبحانه فان تولوا اهم فقل لهم فقد ابلغتكم
ما ارسلت به اليكم اي ليس ذلك لتقصير مني في ابلاغكم وانما هو لسوء اختياركم في اعراضكم عن نصحي فقد ابلغتكم جميع ما اوحي الي
ويستخلف ربي قوما غيركم اي ويهلككم ربي بكفركم ويستبدل قوما غيركم يوحدونه ويعبدونه ولا تضرونه شيئا يعني اذا استخلف
غيركم فجعلهم بدلا منكم لا تقدرون له على ضر وقيل معناه لا تضرونه بتوليكم واعراضكم شيئا ولا ضرر عليه في اهلاككم لانه لم يخلقكم
لحاجة منه اليكم ان ربي على كل شيء حفيظ يحفظه من الهلاك ان شاء ويهلكه اذا شاء وقيل معناه ان ربي يحفظني عنكم وعن اذاكم
وقيل معناه ان ربي على كل شيء من اعمال عباده حفيظ حتى يجازيهم عليها ولما جاء امرنا بهلاك عاد نجينا هودا والذين امنوا معه
من الهلاك وقيل انهم كانوا اربعة الاف برحمة منا اى بما اريناهم من الهدى والبيان عن ابن عباس وقيل برحمة منا اي بنعمة منا وهي
النجاة اي نجيناهم برحمتنا ليعلم انه عذاب اريد به الكفار لا اتفاق وقع ونجيناهم من عذاب غليظ اى كما نجيناهم من عذاب
الدنيا نجيناهم من عذاب الاخرة والغليظ الثقيل العظيم ويحتمل ان يكون هذا صفة للعذاب الذي عذب به قوم هود ثم ذكر سبحانه
كفر عاد فقال وتلك اى وتلك القبيلة عاد جحدوا بايات ربهم يعني بمعجزات هود الدالة على صحة نبوته وعصوا رسله انما جمع الرسل
وكان قد بعث اليهم هود لان من كذب رسولا واحدا فقد كفر بجميع الرسل ولان هودا كان يدعوهم الى الايمان به وبمن تقدمه من
الرسل وبما انزل عليهم من الكتب فكذبوا بهم جميعا فلذلك عصوهم واتبعوا امر كل جبار عنيد اى فاتبع السفلة والسقاط الرؤساء
وقيل ان الجبار من يقتل ويضرب على غضبه والعنيد الكثير العناد الذي لا يقبل الحق واتبعوا في هذه الدنيا لعنة اى واتبع عاد

بعدا اهلاكهم فى الدنيا بالابعاد عن الرحمة فان الله تعالى ابعدهم عن رحمته وتعبد المومنين بالدعاء عليهم باللعن ويوم القيمة
يبعدون من رحمة الله كما بعدوا فى الدنيا منها ويلعنون بان يدخلوا النار فان اللعنة الدعاء بالابعاد من قولك لعنه اذا قال عليه
لعنة الله واصله الابعاد من الخير الا ابتداء وتنبيه ان عادا كفروا ربهم اراد بربهم فحذف الباء كما قالوا امرتك الخير اى بالخير الا
بعدا لعاد قوم هود اى ابعدهم الله من رحمته فبعدوا بعدا قوله تعالى وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب • قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا
قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب • قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة
فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير • ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء
فيأخذكم عذاب قريب • فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب • فلما جاء أمرنا نجينا
صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز • وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا
في ديارهم جاثمين • كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود • ثماني آيات القراءة

قرا اهل المدينة غير اسمعيل والكسائى والبرجمى والسموني عن ابى بكر عن عاصم من خزي يومئذ بفتح الميم ههنا وعذاب يومئذ
فى المعارج والباقون بكسر الميم على الاضافة وقرا حمزة وحفص عن عاصم ويعقوب الا ان ثمود غير منون فى جميع القران وقرا
الباقون ثمودا بالتنوين ههنا والفرقان والعنكبوت والنجم لانه مكتوب بالالف فى هذه المواضع وابو بكر عن عاصم يقرا وثمود
فى النجم بغير تنوين وينون الباقى وروى عنه البرجمى ومحمد بن غالب عن الاعشى عنه وفى والنجم بالتنوين ايض وقرا الكسائي
وحده الا بعدا لثمود بالجر والتنوين والباقون لثمود بفتح الدال قال ابو على قوله ومن خزي يومئذ يوم فى قوله يومئذ
ظرف فتحت او كسرت فى المعنى الا انه اتسع فيه فجعل اسما كما اتسع فى قوله بل مكر الليل والنهار فاضيف المكر اليهما وانما هو فيهما
فكذلك العذاب والخزي والفزع فى قوله من فزع يومئذ منون اضيف الى اليوم والمعنى على ان ذلك كله فى اليوم كما ان المكر فى الليل
والنهار يدلك على ذلك قوله ولعذاب الآخرة اخزى وقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وقوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض وقوله
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فاما من كسر الميم فى يومئذ فلان يوما اسم معرب فاضيف اليه ما اضيف من العذاب و
الخزي فالجر بالاضافة ولم يفتح اليوم فبنيه لاضافته الى المبنى لان المضاف منفصل من المضاف اليه ولا يلزم الاضافة فلما لم
يلزم المضاف لم يلزم فيه البناء بذلك وعلى ذلك لك ان تقول ثوب خز ودار زيد فلا يجوز فيه الا الاعراب وان كان الاسماء
جعلا بمعنى الحرف فلم يلزمها البناء كما يلزم ما لا ينفك منه معنى الحرف نحو اين وكيف ومتى فلم يبن المضاف وان كان قد عمل
عمل الحرف من حيث كان غير لازم كذلك لم يبن يوم الاضافة الى اذ لان اضافته لا تلزم كما لم يبن المضاف وان كان قد عمل فى
المضاف اليه بمعنى اللام من لم يلزم الاضافة واما من فتح فقال من عذاب يومئذ ومن خزي يومئذ ففتح مع انه فى موضع جر
فلان المضاف مكتسى من المضاف اليه التعريف والتنكير ومعنى الاستفهام والجزاء فى نحو غلام من تضرب وغلام من تضرب اضرب
والنفى فى نحو قولهم ما اخذت باب دار احد فلما كان مكتسى من المضاف اليه هذه الاشياء الشايعة نحو يوم وحين ومثل وشبه
بهذا الشياع الاسماء الشايعة المبنية نحو اين وكيف ولو كان المضاف مخصوصا نحو رجل وغلام لم يكتس منه البناء كما اكتسى
منه الاسماء الشايعة المبنية فمما جاء من ذلك قوله على حين عاتبت المشيب على الصبي وقلت الما اصح والشيب وازع ومن
ذلك قوله انه لحق مثل ما انكم تنطقون فمثل فى موضع رفع على قول سيبويه وقد جرى وصفا على النكرة الا انه صح الاضافة الى
ان ومن ذلك قول الشاعر وتداعى منخراه بدم مثل ما اثمر حماض الجبل لما اضاف مثل الى المبنى وكان اسما شايعا بناه ولم يعربه
وذهب ابو عثمان الى انه جعل مثلا مع ما بمنزلة اسم واحد فبنى مثلا على الفتح ولا دلالة قاطعة على هذا القول وان كان ما
ذهب اليه مستقيما فاما الكسرة فى اذ فلالتقاء الساكنين وذلك ان اذ من حكمها ان تضاف الى الجملة من الابتداء والخبر فلما انقطعت
عنها الاضافة نونت ليدل التنوين على ان المضاف اليه قد حذف فكسرت الدال لسكونها وسكون التنوين وقال فى صرف ثمود

وترك

وترك صرفه فان هذه الاسماء التي تجري على القبايل والاحياء على ضروب احدها ان تكون اسما للحي والاب والآخر ان تكون اسما
للقبيلة والثالث ان يكون الغالب عليه الاب والحي والقبيلة والرابع ان يستوي ذلك في الاسم فيجري على الوجهين ولا يكون
لاحد الوجهين مزية على الآخر في الكثرة فمما جاء على انه اسم للحي قولهم ثقيف وقريش وكل ما لا يقال فيه بنو فلان واما ما جاء
اسما للقبيلة فنحو تميم بنت مر قال سيبويه وسمعناهم يقولون قيس ابنة عيلان وتميم صاحبة ذلك وقالوا تغلب ابنة وايل قال
لولا فوارس تغلب ابنة وايل نزل العدو عليك كل مكان فاما ما غلب عليه اسم الحي او القبيلة فقد قالوا باهلة بن اعصر وقالوا
يعصر وباهلة اسم امرأة قال سيبويه ولكنه جعل اسم الحي ومجوس لم يجعل الا اسما للقبيلة وتميم اكثرهم يجعله اسم القبيلة ومنهم
من يجعله اسم الاب واما ما استوى ان يكون اسما للقبيلة وان يكون اسما للحي فقال سيبويه هو ثمود وسبا فهما مرة للقبيلتين
ومرة للحيين وكثرتهما سواء قال وعادا وثمودا وقال الا ان ثمودا كفروا ربهم وقال وآتينا ثمود الناقة فاذا استوى في ثمود ان
تكون مرة للقبيلة ومرة للحي فلم يكن لحمله على احد الوجهين مزية في الكثرة فمن صرف في جميع المواضع كان حسنا ومن لم يصرف في
جميع المواضع كان حسنا وكذلك ان صرف في موضع ولم يصرف في موضع آخر الا انه لا ينبغي ان يخرج عما قرأت به القراءة فان القراءة سنة متبعة ومن
ذلك قول الشاعر كساها الله حي تغلب ابنة وايل من اللوم اظفارا بطيئا نصولها فقال حي ثم قال ابنة وايل فجمع بين الحي والقبيلة
واما قوله اولئك اولى من يهود بمدحة اذا انت يوما قلتها لم تؤنب فقد قامت الدلالة على ان يهود استعملت على انها اسم للقبيلة
ليس للحي في قوله اولئك اولى من يهود لان يهود لو كان للحي لصرف وانشد ابو الحسن فرت يهود واسلمت جيرانها صمي لما فعلت يهود
صمام وكذلك جاء في الحديث يقسم يهود ومثل يهود في هذا مجوس في قول الشاعر كنار مجوس تستعر استعارا الا ترى انه لو كان للحي
دون القبيلة لانصرف اللغة الانشاء الايجاد ابتداء من غير استعانة بشيء من الاسباب وانشأ فلان حديثا او شعرا والاستعمار
جعل القادر يعمر الارض كعمارة الدار ومنه العمرى في الفقه وهو ان يقول اعطيتك هذه الدار عمري او عمرك والمس واللمس
بمعنى وفرق علي بن عيسى بينهما بان المس قد يكون بين جمادين واللمس لا يكون الا بين حيين لما فيه من الادراك والجثوم السقوط
على الوجه وقيل هو القعود على الركبة وغني بالمكان اذا اقام به والمغنى المنزل قال النابغة غنيت بذلك اذ هم لك جيرة منها بعطف
رسالة وتودد واصل الغنا الاكتفاء فمنه الغنى بالمال والغنى الصوت الذي يكتفى به والغناء الاكتفاء بحال الشيء ومنه غني بالمكان
لاكتفائه بالاقامة فيه الاعراب ارأيتم لا مفعول له هاهنا لانه معلق كما تعلق اذا دخل الجملة لام الابتداء في مثل قوله قد رايت لزيد
خير منك فكذلك الجزاء وجواب ان الاولى الفاء وجواب ان الثانية محذوف وتقديره ان عصيته فمن ينصرني الا انه استغنى
بالاول فلم يظهر ومن ينصرني صورته صورة الاستفهام ومعناه النفي فكانه قال فلا ناصر لي من الله ان عصيته وانما جاز الغاء رايت
هنا لانها دخلت على جملة قايمة بنفسها من جهة انها تعتد لو انفردت عن غيرها وهي تتعلق بمعناها دون تفصيل لفظها وقوله
فياخذكم جواب النهي بالفاء وكذلك نصبه وتقديره لا يقع منكم مسها بسوء فان ياخذكم عذاب قريب اي فاخذ عذاب عاجل
لكم وايام اصله ايوام قلبت الواو ياء وادغمت الياء الاولى فيها المعنى ثم عطف سبحانه على ذلك قصة صالح فقال والى ثمود اخاهم
صالحا وكانت ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام وكان عاد باليمن عن الجبائي فقال لهم صالح يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره مضى تفسيره هو انشاكم من الارض اي ابتدا خلقكم من الارض لانه خلق آدم ع من الارض ومرجع نسبكم اليه واستعمركم
فيها اي جعلكم عمار الارض بان مكنكم من عمارتها واحوجكم الى السكنى فيها وقيل معناه واعمرها لكم مدة اعماركم من العمرى عن مجاهد
وقيل معناه واطال فيها اعماركم عن الضحاك قال وكانت اعمارهم فيها الف سنة الى ثلثماية سنة وقيل معناه امركم من عمارتها بما
تحتاجون اليه من المساكن والزراعات وغرس الاشجار وفي هذا دلالة على فساد قول من حرم المكاسب لانه سبحانه امتن على
عباده بان مكنهم من عمارة الارض فلو كان ذلك محرما لم يكن لذلك وجه فاستغفروه ثم توبوا اليه اي فاستغفروه من الشرك
والذنوب ثم دوموا على التوبة ان ربي قريب برحمته لمن وحده مجيب لمن دعاه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي كنا
نرجو منك الخير لما كنت عليه من الاحوال الجميلة قبل هذا القول فالان ايسنا منك ومن خيرك بابداعك ما ابدعت وقيل معناه

كان رجوك فنظنك عونا لنا على ديننا انهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا استفهام معناه الانكار كانهم انكروا ان ينهى الانسان عن
عبادة ما عبده اباؤه وانّنا لفي شك مما تدعونا اليه مريب موجب للريبة والتهمة انّه لم يكن اباؤنا في جهالة وضلالة قال صلح لهم
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي من برهان فيما ابتل واتاني منه رحمة اى واعطانى الله منه نعمة وهى النبوة فمن ينصرني من الله
ان عصيته اى فمن يمنع عذاب الله عني ان عصيته مع نعمته علي فما تزيدونني بقولكم انهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا غير تنسبى الى
الخسارة والتخسير مثل التفسيق والتفجير قال ابن الاعرابي يريد غير تخسير لكم لا لي وقال ابن عباس ما تزيدونني الا بصيرة في خسارتكم
قيل معناه ان اجبتكم الى ما تدعونني اليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية اشارة الى ناقته التي جعلها الله
معجزة لانه سبحانه اخرجها لكم من صخرة يشاهدونها على تلك الصفة وخرجت كما طلبوا وهي حامل وكانت تشرب يوما جميع المياه
فتنفرد به ولا يرد الماء معها دابة فاذا كان يوم لا ترد فيه وردت الدواب كلها الماء وهذا اعظم اية ومعجزة وانتصب اية على الحال
من ناقة الله وكانه قال انتبهوا لها في هذه الحال والمعنى ان شككتم في نبوتي فهذه الناقة معجزة لي واضافها الى الله تشريفا لها كما
يقال بيت الله فذروها تاكل في ارض الله اي فاتركوها في حال اكلها فتكون تاكل في ارض الله جملة منصوبة الموضع على الحال ويجوز
ان يكون مرفوعا على الاستيناف والمعنى فانها تاكل في ارض الله من العشب والنبات ولا تمسوها اي ولا تصيبوها بسوء من رجح
او غيره فياخذكم ان فعلتم ذلك عذاب قريب اى عاجل فيهلككم فعقروها اى عقرها بعضهم ورضى به البعض وانما عقرها احمر ثمود الذي
ضربت به العرب المثل في الشوم فقال صلح تمتعوا في داركم ثلثة ايام اى تلذذوا وانما يريد من اللذات الحسنة من المناظر والاصوات
وغيرها مما يدرك الحواس في بلادكم ثلثة ايام ثم يحل بكم العذاب بعد ذلك ويقال للبلاد دار لانها تجمع اهلها كما تجمع الدار اهلها
ومنه قولهم ديار ربيعة وديار مصر وقيل في داركم يعني دار الدنيا وقيل معنى قوله تمتعوا في داركم عيشوا في بلدكم وعبر عن الحيوة بالتمتع
لان الحي يكون متمتعا بالحواس قالوا لما عقرت الناقة صعد فصيلها الجبل ورغا ثلث مرات فقال صلح لكل دعوة اجل يوم فاصفرت
الوانهم اول يوم ثم احمرت من الغد ثم اسودت اليوم الثالث فهو قوله ذلك وعد غير مكذوب اى ان ما وعدتكم به من العذاب
ونزوله بعد ثلثة ايام وعد صدق لا كذب فيه وروى جابر بن عبد الله الانصاري بان رسول الله صلعم لما نزل الحجر في غزوة تبوك
خطب الناس وقال ايها الناس لا تسئلوا نبيكم الايات هؤلاء قوم صلح سالوا نبيهم ان يبعث لهم الناقة فكانت ترد من هذا
الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها ويحلبون من لبنها مثل الذي كانوا يشربون من مائها يوم غبها فعتوا عن امر ربهم فقال تمتعوا
في داركم ثلثة ايام ذلك وعد من الله غير مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فاهلك الله من كان في مشارق الارض ومغاربها منهم
الا رجلا كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى يقال له ابو رغال قيل يا رسول الله من ابو رغال قال ابو ثقيف
فلما جاء امرنا نجينا صلحا والذين امنوا معه برحمة منا مر تفسيره في قصة عاد ومن خزي يومئذ قال ابن الانباري ان هذا معطوف
على محذوف تقديره نجيناهم من العذاب ومن خزي يومئذ ان من الخزي الذي لزمهم ذلك اليوم والخزي العيب الذي يظهر
فضيحته ويستحيا من مثله ان ربك هو القوي القادر على ما يشاء العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء ولا يمنع عما اراده واخذ الذين
ظلموا الصيحة قيل ان الله سبحانه امر جبرائيل عم فصاح بهم صيحة ماتوا عندها ويجوز ان يكون الله تلك الصيحة التي ماتوا عندها
فاصبحوا في دارهم اي في منازلهم جاثمين اى ميتين واقعين على وجوههم وقيل قاعدين على ركبهم وانما قال فاصبحوا لان العذاب
اخذهم عند الصباح وقيل اتتهم الصيحة ليلا فاصبحوا على هذه الصفة والعرب تقول عند الامر العظيم واسوء صباحاه كان لم
يغنوا فيها اي كانهم لم يكونوا في منازلهم قط لانقطاع اثرهم بالهلاك الا ما بقي من اجسادهم الدالة على الخزي الذي نزل بهم الا ان
ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود قد سبق تفسيره قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث
ان جاء بعجل حنيذ فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى
قوم لوط وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتا االد وانا عجوز وهذا بعلي
شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد

فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابرهيم لحليم اواه منيب يا ابرهيم اعرض عن هذا
انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ● سبع ايات عند البصريين ثمان عند غيرهم لم يعد
البصري في قوم لوط ايه القراءة قرا حمزة والكسائي قال سلم بكسر السين وسكون اللام هنا وفي الذاريات وقرا الباقون قال سلام وقرا
يعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم وقرا الباقون يعقوب بالرفع وفي الشواذ قراءة الاعمش وهذا بعلي شيخ بالرفع
الحجة قال ابو علي اخبرنا ابو اسحق عن محمد بن يزيد قال السلام اربعة اشياء منها مصدر سلمت والسلام شجر قال الاسلام وحرمل والسلام
جمع سلامة والسلام اسم من اسماء الله تعالى وقوله دار السلام يحتمل ان يكون مضافة الى الله تعالى تعظيما لها ويحتمل ان تكون دار
السلام من العقاب فمن حصل فيها كان على خلاف من وصف بقوله ويأتيه الموت من كل مكان واما انتصاب قوله سلاما فلانه لم
يحك شيئا تكلموا به فيحكى كما يحكى الجمل ولكن هو معنى ما تكلمت به الرسل كما ان القايل لا اله الا الله فقلت حقا او اخلاصا اعملت القول
في المصدر لانك ذكرت معنى ما قال ولم تحك نفس الكلام الذي هو جملة تحكى فكذلك نصب سلاما في قوله قالوا سلاما لما كان
معنى ما قيل ولم يكن نفس القول بعينه فاما قوله اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال سيبويه يزعم ابو الخطاب ان مثله يريد مثل
قولك سبحان الله الذي تفسيره براءة لله من السوء قولك للرجل سلاما تريد مسلما منك لا ابتلى بشيء من امرك فعلى هذا المعنى
وجه ما في الاية قال وزعم ان قول امية سلامك ربنا في كل فجر بريا ما يعيبك الذموم على قوله براءتك ربنا من كل سوء واما قوله
قال سلام فسلام مرفوع لانه من جملة الجمل المحكية والتقدير فيه سلام عليكم فحذف الخبر كما حذف من قوله فصبر جميل اي صبر جميل
امثل او يكون المعنى امري سلام وشاني سلام كما ان قوله فصبر جميل ان يكون المحذوف منه المبتدا او مثل ذلك قوله فاصفح عنهم
وقل سلام على حذف المبتدا الذي سلام خبره واكثر ما يستعمل سلام بغير الف ولام وذلك لانه في معنى الدعاء فهو مثل قولهم خير بين
يديك ولما كان في معنى المنصوب استجيز فيه الابتداء بالنكرة فمن ذلك قوله قال سلام عليك ساستغفر لك ربي وقال والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال سلام على نوح في العالمين سلام على ابرهيم وسلام على عباده الذين اصطفى وقد جاء بالالف
واللام قال سبحانه والسلام على من اتبع الهدى والسلام علي يوم ولدت وزعم ابو الحسن ان في العرب من يقول سلام عليكم ومنهم
من يقول السلام عليكم فالذين الحقوا الالف واللام حملوه على المعهود والذين لم يلحقوه حملوه على غير المعهود وزعم ان منهم من يقول
سلام عليكم فلا ينون وحمل ذلك على وجهين احدهما انه حذف الزيادة من الكلم كما يحذف الاصل من نحو قولك لم يك ولا ادر ويوم
تأت والاخر انه لما كثر استعمال هذه الكلمة وفيها الالف واللام حذفا منه لكثرة الاستعمال كما حذف من اللهم فقال لاهم ان عامر الفجور
قد حبس الخيل على مسعور وقال سلم فان سلما يحتمل امرين احدهما ان يكون بمعنى سلام فيكون المعنى امرنا سلم او سلم عليكم ويكون سلم في انه
بمعنى سلام كقولهم حل وحلال وحرم وحرام فيكون على هذا قراءة من قرا سلام وسلم بمعنى واحد وان اختلف اللفظان والاخر ان يكون
سلم خلاف العدو والحرب كانهم لما كفوا عن تناول ما قدمه اليهم فنكرهم واوجس خيفة منهم قال انا سلم ولست بحرب ولا عدو فلا
تمتنعوا من تناول طعامي كما يمتنع من تناول طعام العدو ومن قرا ومن وراء اسحق يعقوب بالرفع كانه رفعه بالابتداء او بالظرف
في قول من رفع به ومن فتح فقال يعقوب احتمل ثلثة اضرب احدها ان يكون يعقوب في موضع جر اي فبشرناها باسحق ويعقوب
قال ابو الحسن وهذا اقوى لانها بشرت بهما قال وفي اعمالها ضعف لانك فصلت بين الجار والمجرور بالظرف والاخر ان تحمل على موضع
الجار والمجرور كقوله اذا ما تلاقينا من اليوم او غدا وكقراءة من قرا وحورا عينا بعد يطاف عليهم بكذا ومثله فلسنا بالجبال ولا الحديدا
والثالث ان يحمل على فعل مضمر كانه فبشرناها باسحق ووهبنا له يعقوب فاما الاول فقد نص سيبويه على قبح مثله نحو مررت بزيد اول من امس
وامس عمرو وكذلك قال ابو الحسن او قلت مررت بزيد اليوم وامس عمرو لم يحسن واما الحمل على الموضع على حد مررت بزيد وعمروا بالفصل
فيه ايضا قبيح كما قبح الحمل على الجر وذلك ان الفعل يصل بحرف العطف وحرف العطف هو الذي يشرك في الفعل وبه يصل الفعل الى المفعول به
فلم يصل بحرف الجر ولو قال مررت بزيد قايما فجعل الحال من المجرور لم يجز التقديم عند سيبويه لان الجار هو الموصل للفعل فكما قبح التقديم
عنده لضعف الجار العامل كذلك الحرف العاطف مثل الجار في انه يشرك في الفعل كما يوصل الجار الفعل وليس نفس الفعل العامل في الموضعين

جميعا واذا كان كذلك قبح الفصل بالظرف فى العطف على الموضع وقبح ايضا الفصل فى الرفع والنصب كما قبح فى الجر لان العاطف فيهما
مثله فى الجار وليس العامل نفس الرافع والناصب كان العامل فيما بعد حرف العطف ليس الجار انما يشركه فيه العاطف وقد جاء ذلك
فى الشعر قال الاعشى يوما تراها كشبه اردية الخمس ويوما اديمها بعلاء نفصل بالظرف بين المشترك فى النصب وما اشركه فيه فاذا قبح
الفصل فى الحمل على الجار فينبغى ان تحمل قراءة من قرا يعقوب بالنصب على فعل آخر مضمر يدل عليه بشرنا كما تقدم ولا يحمل على الوجهين الاخرين
واما الشيخ فى قوله شيخ ففيه وجوه احدها ان يكون بعلى خبر المبتداء وشيخ بدلا من بعلى فيكون كانه قال هذا شيخ والثانى ان يكون شيخ
خبر مبتداء محذوف فيكون هذا كلاما تاما يحسن الوقف عليه والثالث ان يكون بعلى بدلا من هذا وشيخ هو الخبر فيكون تقديره بعلى
شيخ جميعا خبرا عن هذا كقولك هذا حلو حامض اى قد جمع الحلاوة والحموضة فكذلك ههنا تقديره هذا جمع البعولة والشيخوخة قال
ابن جنى وهنا وجه خامس لكنه على قياس مذهب الكسائى وذلك انه يعتقد فى خبر المبتداء ابدا ان فيه ضميرا وان لم يكن مشتقا
من الفعل نحو زيد اخوك وهو يريد النسب فاذا كان كذلك فقياس مذهبه ان يكون شيخ بدلا من الضمير فى بعلى لانه خبر عن هذا
اللغة العجل ولد البقرة والعجول لغة فيه وجمعه عجاجيل وسمى بذلك لتعجيل امره بقرب ميلاده والحنيذ المشوى وهو المحنوذ فعيل
بمعنى مفعول يقال حنذه يحنذه قال العجاج ورهبا من حنذه ان يرحا يعنى الحمر الوحشية قال الزجاج الحنيذ المشوى حتى يقطر
والعرب تقول احنذ هذا الفرس اى اجعل عليه الجل حتى يقطر عرقا وقيل الحنيذ المشوى فقط وقيل هو السميط ويقال نكرته وانكرته
بمعنى واحد ونكرته اشد مبالغة وهى لغة هذيل والحجاز وانكرته لغة تميم قال الاعشى وجمع بين اللغتين وانكرتنى وما كان الذى
نكرت من الحوادث غير الشيب والصلعا وقال ابو ذويب فنكرنه فنفرن فافترشت له هوجاء هادية وهاد جرشع والايجاس الاحساس
اوجس وتوجس اى احس قال ذو الرمة وقد توجس ركزا مقفر ندس بنبأة الصوت ما فى سمعه كذب ويقال اوجس خوفا اى
اضمر والبعل الزوج واصله القايم بالامر يقولون للنخل الذى يستغنى بماء السماء عن سقى الانهار والعيون بعل لانه القايم بالامر
فى استغنائه عن تكلف السقى له ومنه قيل للرب والصاحب بعل والعجب يجرى على المصدر وعلى التعجب منه يقول هذا امر
عجب ولا يجوز العجب من امر الله تعالى لانه يجب ان يعلم انه قادر على كل شىء من الاجناس لا يعجزه شىء وما عرف سببه لا يتعجب منه
والمجيد الكريم يقال مجد الرجل يمجد مجادة اذا كرم قال الشاعر رفعت مجد تميم باهلال لها رفع الطراف على العليا بالعمد والروع الافزاع
يقال راعه يروعه اذا افزعه قال عنترة ما راعنى الا حمولة اهلها وسط الديار تسف حب الخمخم وارتاع ارتياعا اذا خاف والروع بضم
الراء النفس يقال القى فى روعى اى فى نفسى وسميت بذلك لانها موضع الروع والرد والدفع واحد ونقيضه الاخذ والفرق بين الرد
والدفع ان الدفع قد يكون الى جهة القدام والخلف والرد لا يكون الا الى جهة الخلف الاعراب فما لبث ان جاء اى ما اقام حتى جاء بعجل
وان جاء فى موضع نصب بوقوع لبث عليه كانه قال فما ابطا عن مجيئه بعجل فلما حذف حرف الجر وصل الفعل وقال الفراء ويحتمل
ان يكون موضعه رفعا بان يجعل ان جاء فاعل لبث فكانك قلت فما لبث مجيئه بعجل والف يا ويلتا يحتمل ان يكون الف ندبة ويحتمل
ان يكون ياء الاضافة فانقلبت الفا ومعناه الايذان بورود الامر العظيم كما تقول العرب يا لله واهى اى تعالى فانه من اصابك بعض
ما حضر من اشكالك ويجوز الوقف عليه بغير هاء والاختيار فى الكلام ان يوقف عليه بالهاء يا ويلتاه قال الزجاج اما المصحف فلا
يخالف فلا يوقف عليه فان اضطر واقف الى ان يقف وقف عليها بغيرها واما الهمزتان فى قوله ءالد ففيها ثلثة اوجه وهو الاختيار فقلت
يا ويلتا االد وان شئت حققتهما جميعا فقلت االد وشيخا منصوب على الحال قال الزجاج الحال ههنا نصبها من لطيف النحو وذلك انك
اذا قلت هذا زيد قائما فان كنت تقصد ان تخبر من لا يعرف زيدا انه زيد لم يجز ان يقول هذا زيد قائما لانه يكون زيدا ما دام قائما
فاذا زال عن القيام فليس بزيد وانما يقول الذى يعرف زيدا هذا زيد قائما فيعمل فى الحال التنبيه المعنى انتبه لزيد فى حال قيامه واشر
الى زيد فى حال قيامه لان هذا اشارة الى ما حضر وقال غيره وان شئت جعلت العامل فيه معنى التنبيه وان شئت جعلت العامل
معنى الاشارة وان شئت اعملت فيه مجموعهما وكذا ما يجرى مجراه تقول هذا زيد مقبلا ولا يجوز مقبلا هذا زيد لان العامل ليس بفعل محض
فان قلت ها مقبلا زيد وجعلت العامل معنى الاشارة لم يجز وان جعلت العامل معنى التنبيه جاز يجادلنا فى موضع نصب لانه حكاية

حال قد مضت والا فالجيد ان تقول لما قام اقوم وعلى هذا فيكون جواب لما محذوفا لدلالة الكلام عليه ويكون تقديره قلنا ان ابرهيم لحليم
اوناديناه ان يا ابرهيم اعرض عن هذا ويجوز ان يكون تقديره واخذ يجادلنا ويجوز ان يكون لما كان لما شرطا للماضي وقع المستقبل فيه في
معنى الماضي كما ان ان لما كان شرطا للمستقبل وقع الماضي فيه في معنى المستقبل المعنى ثم ذكر سبحانه قصة ابرهيم ولوط عليهما السلم
فقال سبحانه ولقد جاءت رسلنا يعني الملائكة وانما دخلت اللام لتاكيد الخبر ومعنى قد هاهنا ان السامع لقصص الانبياء عليهم السلم
يتوقع قصة بعد قصة وقد للتوقع فجاءت لتوذن ان السامع في حال توقع واختلف في عدد الرسل فقيل كانوا ثلثة جبرئيل
وميكائيل واسرافيل عن ابن عباس وقيل كانوا اربعة عن ابي عبد الله ع قال والرابع اسمه كروبيل وقيل كانوا تسعة عن الضحاك
وقيل احدى عشر عن السدى وكانوا على صور الغلمان ابرهيم الخليل ع بالبشرى اى البشارة باسحق ونبوته وانه يولد له يعقوب
عن الحسن والجبائى وروى عن ابي جعفر ع ان هذه البشارة كانت باسماعيل ع من هاجر وقيل البشارة بهلاك قوم لوط قالوا
سلاما هذه حكاية ما قالت رسل الله تعالى لابرهيم عليه السلم اي سلمنا سلاما بمعنى الدعاء له وقيل معناه اصبت سلاما او
اعطاك الله سلاما اى سلامة كما يقال اهلا ومرحبا وكان تحية من الملائكة لابرهيم ع قال ابرهيم عليه السلم مجيبا لهم سلام
وقد مر تفسيره فما لبث ان جاء بعجل حنيذ اى لم يتوقف حتى جاءهم على عادته في اكرام الاضياف وتقديم الطعام اليهم بعجل
مشوى لانه توهم انهم اضياف لكونهم على صورة البشر وكان ابرهيم ع يحب الضيفان فجاءه على احب الوجوه اليه وصار ذلك
من السنة ان يعجل للضيف الطعام وقيل ان معنى حنيذ نضيج بالحجارة المحماة في حفر من الارض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة
وقيل ان الحنيذ ما حفرت له بالارض ثم غممته وهو فعل اهل البادية عن الفراء وقيل حنيذ مشوى يقطر ماؤه عن ابن عطية
فلما راى ابرهيم ع ايديهم يعني ايدى الملائكة لا تصل اليه اي الى العجل نكرهم اي انكرهم واوجس خيفة منهم اى اضمر منهم خوفا و
اختلف في سبب الخوف فقيل انه لما راهم شبابا اقوياء وكان ينزل طرفا من البلد وكانوا يمتنعون من تناول طعامه لم يامن
ان يكون ذلك لبلاء وذلك لبلاء وذلك لان اهل ذلك الزمان اذا اكل بعضهم طعام بعض امن صاحب الطعام على اهله
وماله ونفسه ولهذا يقال تحرم فلان بطعامنا اى اثبت الحرمة بيننا باكله الطعام وقيل ظنهم لصوصا يريدون به سوء وقيل
ظن انهم ليسوا من البشر وانهم جاءوا لامر عظيم وقيل علم انهم ملائكة فخاف ان يكون قومه المقصودين بالعذاب حتى قالوا له
لا تخف يا ابرهيم انا ارسلنا الى قوم لوط بالعذاب والاهلاك لا الى قومك وقيل انهم دعوا الله فاحيا العجل الذي كان ذبحه
ابرهيم وشواه فطفر ورعى فعلم حينئذ انهم رسل الله وامراته سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروغ بن ارغوان فالغ وهي
ابنة عم ابرهيم ع قائمة من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام ابرهيم ع عن وهب وقيل انها كانت بنت خالته وقيل كانت
قائمة قدام الرسل وابرهيم ع جالس معهم عن مجاهد وقيل كانت قائمة تصلى وكان ابرهيم جالسا وفي قراءة ابن مسعود وامراته
قائمة وهو جالس فضحكت قيل هو الضحك المعروف الذي يعترى الانسان للفرح وقد يكون عند التعجب فضحكت تعجبا من
غفلة قوم لوط مع قرب نزول العذاب بهم عن قتادة وقيل تعجبا من امتناعهم عن الاكل وخدمتها اياهم بنفسها ولهذا يقال وشر
الشدائد ما تضحك وقالت عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا ياكلون من طعامنا وقيل ضحكت لانها كانت
قالت لابرهيم ع اضمم لوط ابن اخيك فاني اعلم انه سينزل بهؤلاء القوم عذابا فضحكت سرورا لما اتى على ما توهمت عن الزجاج
وقيل تعجبا وسرورا من البشارة باسحق لانها كانت قد هرمت وهي ابنة ثماني وتسعين او تسع وتسعين سنة وكان قد شاخ زوجها
وهو ابن تسع وتسعين او مائة سنة وقيل مائة وعشرين سنه ولم يرزق لهما ولد في حال شبابهما وعلى هذا فيكون في الكلام تقديم وتاخير
تقديره فبشرناها باسحق فضحكت بعد البشارة وروى ذلك عن ابي جعفر ع فبشرناها باسحق اى بابن يسمى اسحق نبيا ومن وراء اسحق
يعقوب يعني من بعد اسحق يعقوب وقيل الوراء ولد الولد عن ابن عباس فبشرناها بنبي بين نبيين وهو اسحق ابوه نبي وابنه نبي
وقيل ان ضحكت بمعنى حاضت عن مجاهد وروى عن الص ع يقال ضحكت الارنب اى حاضت والضحك بفتح الضاد الحيض
وفي لغة ابي الحارث بن كعب ضحكت النخلة اذا اخرجت الطلع او البسر والضحك الطلع وانشد بعضهم في الضحك بمعنى الحيض

قول الشاعر وضحك الارانب فوق الصفا كمثل دم الحوف يوم اللقا وقال الفراء ولم اسمعه من ثقة والوجه فيه ان يكون على طريق
الكناية قال الكميت واضحكت السباع سيوف سعد لقتلى ما دفن وما ذبينا قالت ساره يا ويلتاء الد وانا عجوز اى هذا شيء
عجيب ان الد وقد شخت من زوج شيخ ولم تشك فى قدرة الله تعالى ولكن انما قالت ذلك لكونه خارجا من العادة كما ولى
موسى عم مدبرا حين انقلبت العصا حية حتى قيل له اقبل ولا تخف والا فهى كانت عارفة بان الله تعالى يقدر على ذلك
ولم ترد بقولها يا ويلتا الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تجرى على افواه النساء اذا طرا عليهن ما يتعجبن منه وقيل انها
لم تتعجب من قدرة الله تعم ولكنها ارادت ان تعرف هل تتحول شابة ام تلد على تلك الحال وكل ذلك عجيب وهذا بعلى اى
هذا الذي تعرفونه بعلى وهو شيخ ان هذا الذي بشرت به لشيء عجيب قالوا اى قالت الملائكة لها حين تعجبت من ان تلد
بعد الكبر اتعجبين من امر الله ومعنى الاستفهام ههنا التنبيه والتوقيف اى اتعجبين من ان يفعل الله تعالى ذلك بك و
بزوجك رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت اي ليس هذا موضع تعجب لان التعجب انما يكون من الامر الذي لا يعرف سببه
ونعمة الله تعم وكثرت خيراته النامية الباقية عليكم وهذا يحتمل ان يكون اخبارا عن ثبوت ذلك لهم وتذكيرا بنعمة الله
وبركاته عليهم ويحتمل ان يكون دعاء لهم بالرحمة والبركة من الملائكة فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت كما يقال
لمتعجب من كذا بارك الله فيك ويرحمك الله ويعنى باهل البيت ابرهيم عم وانما جعلت ساره من اهل بيته عم لانها كانت
ابنة عمه فلا دلالة فى الآية على ان زوجة الرجل من اهل بيته على ما قاله الجبائى وروى ان امير المؤمنين عم مر بقوم فسلم
عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه فقال عم لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لابينا ابرهيم
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه تعم حميد اى محمود على افعاله وقيل الحميد الذي يحمد عباده على الطاعات مجيد اى كريم
وهو المبتدى بالعطية قبل الاستحقاق وقيل معناه واسع القدرة والنعمة عن ابى مسلم وروى ان ساره قالت لجبرئيل
ما آية ذلك فاخذ بيده عودا يابسا فلواه بين اصابعه فاخضر عن السدى فلما ذهب عن ابرهيم الروع اى الخوف والفزع
الذي دخله من الرسل وجاءته البشرى بالولد يجادلنا فى قوم لوط اى يجادل رسلنا ويسائلهم فى قوم لوط وتلك المجادلة
انه قال لهم ان كان فيها خمسون من المؤمنين اتهلكونهم قالوا لا قال فاربعون قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد
قالوا لا فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله عن قتادة وقيل انه جادلهم وقال
باى شيء استحقوا عذاب الاستيصال وهل ذلك واقع لا محالة ام هو تخويف لهم ليرجعوا الى الطاعة وباى شيء يهلكون وكيف
ينجى الله المؤمنين عن الجبائى ولما ساءلهم سؤال مستقص سمى ذلك السؤال جدالا لانه خرج مخرج الكشف عن شيء غامض ان
ابرهيم لحليم اواه مر معناه فى سورة براءة منيب راجع الى الله تعالى فى جميع اموره متوكل عليه وفى هذا اشارة الى ان تلك
المجادلة من ابرهيم عم لم تكن من باب ما يكره لانه مدحه بالحلم وبان كان امرا متعلقا بالرحمة ورقة القلب والرافة وذلك انه راى
لحلق الكثير فى النار فتاوه لهم يا ابرهيم اعرض عن هذا حكاية ما قالت الملائكة لابرهيم عم فانها نادته بان قالت يا ابرهيم اعرض
عن هذا القول وعن هذا الجدال فى قوم لوط وانصرف عنه بالذكر والفكر انه قد جاء امر ربك بالعذاب فهو نازل لا محاله وانهم
آتيهم عذاب غير مردود يعنى غير مدفوع عنهم اي لا يقدر احد على رده عنهم قوله تعالى وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ
ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۝
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۝ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝
قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا
عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ۝ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝ سبع آيات بلا خلاف
وتمام الآية السادسة عند المدني الاخير قوله سجيل وعند الباقين قوله منضود القراءة فى الشواذ قراءة سعيد بن جبير والحسن

نصف الحزب

بخلاف

بخلاف وعيسى الثقفي ومحمد بن مروان هن اطهر لكم بالنصب وقراءة المشهورة اطهر بالرفع وقراءة شيبة اواوى بالنصب والقراءة
العامة بالرفع وقرا اهل الحجاز فاسر باهلك وان اسر موصولة الهمزة والباقون فاسر وان اسر بقطع الهمزة حيث كان وقرا ابن
كثير وابو عمرو الا امراتك بالرفع والباقون بالنصب اما قوله هن اطهر لكم فان سيبويه ضعف هذه القراة وقال فيها
احتبى ابن مروان في لحنه قال ابن جنى وانما قبح ذلك عنده لانه ذهب الى انه جعل هن فصلا وليست بين احد الجزئين الذين هما
مبتدا وخبر ونحو ذلك نحو ظننت زيدا هو خيرا منك وكان زيدا هو العالم ويجوز ان يكون بناتي هن جملة من مبتدا وخبر في موضع
الخبر لهؤلاء كقولك زيد اخوك هو ويكون اطهر حالا من هن او من بناتي والعامل فيه معنى الاشارة كقولك هذا زيد هو قائما ومن قرا
او آوى بالنصب فيكون تقديره لو ان لي بكم قوة او اويا الى ركن شديد ويكون منتصبا باضمار ان وعليه بيت الكتاب فلولا رجال
من رزام اعزة وال سبيع او اسوك علقما والتقدير او ان اسوك فكانه قال اساتي اياك ومن قرا فاسر باهلك باثبات الهمزة
في اللفظ او بغير الهمزة فان سرى واسرى معناهما سار ليلا قال النابغة اسرت عليه من الجوزاء سارية تزجى الشمال عليه جامد
البرد ويروى سرت قال امرؤ القيس سريت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بارسان وقال سبحانه سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا ومن قرا الا امراتك نصبا فانه جعل الكلام قبله مستقلا بنفسه فنصب مع النفي كما ينصب مع الايجاب والوجه
الاقيس الرفع على البدل من احد لان معنى ما اتانى احد الا زيد وما اتانى الا زيد واحد فكما اتفقوا في ما اتاني الا زيد على الرفع
وكان ما اتانى احد الا زيد بمنزله ومعناه اختاروا الرفع مع ذكر احد ومما يقوى ذلك انهم في الكلام واكثر الاستعمال يقولون
ما جاءني الا امراة فيذكرون حملا على المعنى ولا يكادون يؤنثون ذلك الا في الشعر كما في قول الشاعر فما بقيت الا الضلوع الجراشع
وكقول ذي الرمة وما بقيت الا البحيرة والالواح والعصب وزعموا ان في حرف عبد الله وابي فاسر باهلك بقطع من الليل
الا امراتك وليس فيه ولا يلتفت منك احد وهذا يقوى قول من نصب اللغة اصل سيء بهم سوئ بهم من السوء فاسكنت
الواو ونقلت كسرتها الى السين ويقال سوته فسيء كما يقال شغلته فشغل وسررته فسر والفرق بين السوء والقبيح ان
السوء فاسكنت الواو ما يظهر مكروهه لصاحبه والقبيح ما ليس للقادر عليه ان يفعله ويقال ضاق فلان بامره ذرعا اذا لم يجد
من المكروه في ذلك الامر مخلصا والعصيب الشديد في الشر خاصه واصله من الشد يقال عصبت الشيء اذا اشددته و
عصبت فخذ الناقه لعذر وناقه عصوب ويوم عصوب وعصيصب كانه التف على الناس بالشر او يكون التف شره
بعضه ببعض قال الشاعر فانك ان لم ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصيب وقال عدى بن زيد وكنت لزاز
خصمك لم اعرد وقد سلكوك في يوم عصيب قال الراجز يوم عصيب يعصب الابطال عصب القوى السلم الطويل والاهراع
الاسراع في المشي قال مهلهل فجاؤا يهرعون وهم اسارى نقودهم على رغم الانوف وقال صاحب العين الاهراع السير
الحثيث قال ابو مسلم والقران بالسوق اشبه والركن معتمد البناء بعد الاساس وركنا الجبل جانباه قال الراجز ياوى
الى ركن من الاركان في عدد طيس ومجد بان والشدة تجمع يصعب معه التفكك وقد يكون الشدة تقبضا يعسر معه
التقلل والقطع القطعة العظيمة تمضي من الليل وقيل نصف كانه قطع نصفين والالتفات افتعال من اللفت وهو اللي
يقال لفت فلان عن رايه اي صرفته عنه وامراة لفوت لها ولد من غير زوجها فكانها تلتفت الى ولدها ومنه الحديث
في صفة النبي صلى الله عليه وآله انه كان اذا التفت التفت معا كان لا يلوى عنقه يمنه ويسره والسجيل فارسي معرب
اى سنك وكل حجاره وطين وقال ابو عبيدة هو الحجارة الشديده وانشد بقيل ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربا
تواصى به الابطال سجينا وسجين وسجيل بمعنى العرف تعاقب بين النون واللام فقلبت هذه النون لاما وقيل انه مشتق
من اسجلته اي اعطيته فتقديره انها مثل العطية في الادرار وقيل انه من السجل وهو الكتاب فكانها سجلت لهم والمراد
كتب الله عليهم ان يعذبهم بها المنضود من نضدت الشيء بعضه على بعض والمسومة من السماء هي العلامة ومنه السائمة
وهي المرسلة في المرعى وذلك ان الابل السائمة تختلط في المرعى فيجعل عليها السيماء لتميزها [illegible] هم عوده اليه في موضع

نصب على الحال من قبل ومن بعد مبنيان على الضم فاذا اضيفا اعربا لو ان لى بكم قوة جواب لو محذوف يدل الكلام عليه و
تقديره لحلت بينهم وبينكم انه مصيبها ما اصابهم الهاء فى انه ضمير الشان والحديث مصيبها مبتداء وما اصابهم موصول وصله
فى موضع الرفع بكونه فاعل مصيبها وقد سد مسد خبر المبتداء من سجيل فى موضع نصب بكونه صفة لحجارة ويجوز ان يكون
نصبا على الحال من الضمير المستكن فى منضود ثم اخبر سبحانه عن اتيان الملائكة لوطا بعد خروجهم من عند ابرهيم ومامجرى
بينهم وبين قوم لوط فقال ولما جاءت رسلنا لوطا اى لما جاؤه فى صفة الادميين سئ بهم اى ساء مجيئهم لانه خاف عليهم من قومه
وضاق بهم ذرعا يعنى ضاق لمجيئهم ذرعه اى قلبه لما راى مالهم من جمال الصورة وحسن البشرة وقد دعوه الى الضيافة وقومه
كانوا يسارعون الى امثالهم بالفاحشة وقيل معناه ضاق بحفظهم من قومه ذرعه حيث لم يجد سبيلا الى حفظهم وكان
قد علم عادتهم من الميل الى الذكور وقد اتوه فى صورة الغلمان المرد واصله ان الشئ اذا ضاق ذرعه لم يتسع له ما اتسع فاستعير
ضيق الذرع عند تعذر الامكان كما استعير الاتساع وقال هذا يوم عصيب اى هايل كثير الشر التف الشر فيه بالشر وانما قال
ذلك لانه لم يعلم انهم رسل الله وخاف عليهم من قومه ان يفضحوه وقال الصم جاءت الملائكة لوطا وهو فى ذراعة له قرب
القرية فسلموا عليه وراى هيئة حسنة عليهم ثياب بيض وعمايم بيض فقال لهم المنزل فتقدمهم ومشوا خلفه فقال فى
نفسه اى شئ صنعت اتى بهم قومى وانا اعرفهم فالتفت اليهم فقال انكم لتاتون شرارا من خلق الله وكان قد قال الله لجبرئيل
لا تهلكهم حتى يشهد عليهم ثلث مرات فقال جبرئيل هذه واحدة ثم مشى لوط ثم التفت اليهم فقال انكم لتاتون شرارا من خلق
الله فقال جبرئيل هذه ثنتان ثم مشى فلما بلغ باب المدينة التفت اليهم فقال انكم لتاتون شرارا من خلق الله فقال جبرئيل
هذه الثلثة ثم دخل ودخلوا معه حتى دخل منزله فلما راتهم امراته رات هيئة حسنة فصعدت فوق السطح فصفقت فلم
يسمعوا فدخنت فلما راوا الدخان اقبلوا يهرعون فذلك قوله وجاءه قومه يهرعون اليه اى يسرعون فى المشى بطلب الفاحشة
عن قتادة ومجاهد والسدى وقيل يساقون وليس سايق غيرهم فكان بعضهم يسوق بعضا عن ابى مسلم والهاء فى اليه كناية
عن لوط ومن قبل اى ومن قبل اتيان الملائكة وقيل ومن قبل مجئ قوم لوط الى ضيفانه وقيل من قبل مجيئهم الى داره عن الجبائى
وقيل من قبل بعثة لوط اليهم كانوا يعملون السيات اى يعملون الفواحش مع الذكور قال لوط هؤلاء بناتى هن اطهر لكم معناه
ان لوطا لما هموا باضيافه وجاهروا بذلك والقوا جلباب الحياء فيه عرض عليهم نكاح بناته قال هن احل لكم من الرجال فدعاهم
الى الحلال واختلف فى ذلك فقيل اراد بناته لصلبه عن قتادة وقيل اراد النساء من امته لانهن كالبنات له فان كل نبي ابو
امته وازواجه امهاتهم عن مجاهد وسعيد بن جبير واختلف ايض فى كيفية عرضهن فقيل بالتزويج وكان يجوز فى شرعه تزويج
المؤمنة من الكافر وكذا كان ايض فى ابتداء الاسلام وقد زوج النبى صم بنته من ابى العاص بن الربيع قبل ان يسلم ثم نسخ ذلك
وقيل اراد التزويج بشرط الايمان وكانوا يخطبون بناته فلا يزوجهن منهم لكفرهم وقيل انهم كان لهم سيدان مطاعان فيهم
فاراد ان يزوجهما ابنتيه زعورا ورنياء فاتقوا الله اى فاتقوا عقاب الله فى مواقعة الذكور ولا تخزون فى ضيفى اى ولا تلزمونى
عارا ولا تلحقوا بى فضيحة ولا تخجلونى بالهجوم على اضيافى فان الضيف اذا نزل به معرة لحق عارها المضيف اليس منكم رجل
رشيد اى اليس فى جملتكم رجل قد اصاب الرشد فيعمل بالمعروف وينهى عن المنكر ويزجركم عن قبيح فعلكم ويجوز ان يكون رشيد
بمعنى مرشد اى يرشدكم الى الحق قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق هذا جواب قوم لوط حين عرض عليهم بناته ودعاهم
الى النكاح المباح اى ما لنا فى بناتك حاجة لان ما لا يكون للانسان فيه حاجة فانه يرغب عنه كمن لا حق له فيه فلذلك
قالوا من حق وقيل معناه ما لنا فيهن من حق لانا لم نتزوجهن وكان يقولون بان كم تتزوج بامراءة فانه لا حق له فيها عن الجبائى
وابن اسحق فالقول الاول محمول على المعنى والقول الثانى على ظاهر اللفظ وانك لتعلم ما نريد اى تعلم ميلنا الى الغلمان دون
النساء فلما لم يقبلوا الموعظة تاسف لوط على فقد تمكنه من دفاعهم بان قال لو ان لى بكم قوة اى منعة وقدرة وجماعة اتقوى
بهم عليكم فادفعكم عن اضيافى او اوى الى ركن شديد اى الى عشيرة تنصرنى وشيعة تمنعنى لدفعتكم ولكن لا يمكننى ذلك قال

الصم

الصـ ع فقال جبرئيل ع لو يعلم اى قوة له قال فكابروه حتى دخلوا البيت فصاح به جبرائيل ان يا لوط دعهم يدخلوا فدخلوا فلما دخلوا
اهوى جبرائيل ع باصبعه نحوهم فطمس اعينهم قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط ع الا في عز من عشيرته ومنعة
من قومه وروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه كان ياوى الى ركن شديد وهو معونة الله تعالى ولما رات الملائكة ما لقى لوط من
قومه قالوا يا لوط انا رسل ربك ارسلنا لهلاكهم لن يصلوا اليك اى لن ينالوك بسوء ابدا فاسر باهلك اى سر باهلك ليلا قال السدى
لم يومن بلوط ع الا ابنتاه بقطع من الليل اى في ظلمة الليل عن ابن عباس وقيل بعد طائفة من الليل عن قتادة وقيل في نصف الليل
عن الجبائى ولا يلتفت منكم احد قيل في معناه وجوه احدها لا ينظر احد منكم وراءه عن مجاهد كانهم تعبدوا بذلك للنجاة بالطاعة
في هذه العبادة والثاني لا يلتفت احد منكم الى متاعه ولا ماله في المدينة وليس معنى يلتفت من الرؤية عن الجبائى كانه اراد ان في
النظر اليهم عبرة فلم ينهوا الهذه الا امراتك وقيل انها التفتت حين سمعت الوجبة فقالت واقوماه فاصابها حجر فقتلها وقيل الا
امراتك معناه لا تسر بها انه مصيبها ما اصابهم اى يصيبها من العقاب ما اصابهم امره ان يخلفها في المدينة ان موعدهم الصبح
اليس الصبح بقريب لما اخبر الملائكة لوطا بانهم يهلكون قومه قال لهم اهلكوهم الساعة لضيق صدره بهم وشدة غضبه عليهم
فقالوا ان موعد اهلاكهم الصبح لم يجعل الصبح ظرفا وجعله خبر ان لان الموعد هو الصبح وانما قالوا له اليس الصبح بقريب تسلية له
وقيل انه قال لهم اهلكوهم الساعة فقالوا ذلك وفي هذا دلالة على ان الله سبحانه انما يهلك من يهلكه عند انقضاء مدته وانضاق
صدر الغير به ويجوز ان يكون قد جعل الصبح ميقات اهلاكهم لان النفوس فيه اودع والناس فيه اجمع ولما جاء امرنا فيه اقوال
احدها جاء امرنا الملائكة باهلاك قوم لوط والثاني جاء العذاب كانه قيل كن على التعظيم على طريق المجاز قال الشاعر فقالت
له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب وعلى هذا فالامر هو نفس العذاب والثالث جاء امرنا بالعذاب جعلنا عاليها
سافلها اى قلبنا القرية اسفلها اعلاها فان الله امر جبرئيل ع فادخل جناحه تحت الارض فرفعها حتى سمع اهل سماء الدنيا
صياح الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها ثم خسف بهم الارض فهم يتجلجلون فيها الى يوم القيمة فعلى هذا يكون معنى جعلناها
بامرنا وانما اضافه الى نفسه لانه امر به وامطرنا عليها حجارة اى وامطرنا على القرية اى الغائبين من اهلها حجارة عن الجبائى وقيل
امطرت الحجارة على تلك القرية حين رفعها جبرائيل ع وقيل انما امطر عليهم الحجارة بعد ان قلبت قريتهم تغليظا للعقوبة وقيل كانت
اربعة مداين وهي المؤتفكات سدوم وعاموراء ودادوماء وصبوايم واعظمها سدوم وكان لوط ع يسكنها قال ابو عبيدة يقال مطر
في الرحمة وامطر في العذاب من سجيل اى سنك وكل عن ابن عباس وسعيد بن جبير بين بذلك صلابتها ومباينتها للبرد وانها ليست
من جنس ما جرت به عادتهم من سقوط البرد من الغيوم وقيل ان السجيل الطين عن قتادة وعكرمة ويؤيده قوله لنرسل عليهم
حجارة من سجيل طين وروى عن عكرمة انها بحر معلق في الهواء بين الارض والسماء منه انزلت الحجارة وقال الضحاك هو الآجر
قال الفراء هو طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الارحاء وقال كان اصل الحجارة طينا فشددت عن الحسن وقيل ان السجيل اسم لسماء
الدنيا عن ابن زيد وكانت تلك الحجارة منزلة من السماء الدنيا منضود هو صفة من سجيل اى نضد بعضه على بعض حتى صار حجرا
عن الربيع وقيل مصفوف في تتابع اى كان بعضها في جنب بعض عن قتادة وقيل يتبع بعضها بعضا عن ابن عباس مسومة هي
من صفة الحجارة اى معلمة جعل فيها علامات تدل على انها معدة للعذاب وقيل مطوقة بها نضح من حمرة عن قتادة وعكرمة وقيل
كان مكتوبا على كل حجر منها اسم صاحبها عن الربيع وقيل عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض عن ابن جريج وقيل مختوما عن الحسن
والسدى وقيل مشهورة عند ربك اى في علم ربك وقيل في خزائن ربك التي لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها احد الا بامره وما هي من
الظالمين ببعيد اى وما تلك الحجارة من الظالمين من امتك يا محمد ببعيد اراد بذلك ارهاب قريش وقال قتادة ما اجار الله
منها ظالما بعد قوم لوط فاتقوا الله وكونوا منه على حذر وقيل يعني بذلك قوم لوط يريد انها لم تكن لتخطئهم وذكر ان حجرا بقي
معلقا بين السماء والارض اربعين يوما يتوقع به رجل من قوم لوط كان في الحرم حتى خرج منها فاصابته قال قتادة وكانوا اربعة آلاف الف

قوله تعالى وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ

بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط • ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في
الارض مفسدين • بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين • وما انا عليكم بحفيظ • قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد
اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد • قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا
وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب •
ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد •
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود • قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك
لرجمناك وما انت علينا بعزيز • قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان
ربي بما تعملون محيط • ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون • من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو
كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب • ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين
ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين • كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود •

خمس

نصف جزو ١٢

عشر

ع خمس

اثنا عشر آية القراءة قرا اهل الكوفة غير ابي بكر اصلوتك بغير واو على التوحيد والباقون اصلواتك بالواو على الجمع وفي الشواذ
قراءة السلمي بعدت ثمود بضم العين الحجة اما بعد فيكون بالخير والشر ومصدره البعد وبعد في الشر خاصة ومصدره البعد ومنه
ابعده الله فانه منقول من بعد لانه دعاء عليه وقراءة السلمي متفقة الفعل مع مصدره وانما السؤال عن قراءة الجماعة الا بعدا
لمدين كما بعدت ثمود وطريق ذلك ان يكون البعد بمعنى اللعنة فيكون ابعده الله بمعنى لعنه الله ومنه قول ذعرت به القطا
ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين اي المبعد فالابعاد للشيء نقص له فقد التقى معنى بعد مع معنى بعد من هنا اللغة
الوزن تعديل الشيء بغيره في الخفة والثقل بآلة التعديل واذا قيل شعر موزون فمعناه معدل بالعروض والتوفيق من الصواب
الا انه اختص بهذا الاسم ما اتفق وقوع الصواب عنده وليس ذلك جنسا بعينه وانما هو بحسب ما يعلم الله تعالى انه لم يكن
الموفق للطاعة الا الله تعالى لان احدا لا يعلم ما يتفق عنده الطاعة من غير تعليم سواه سبحانه والشقاق والمشاقة المباعدة
بالعداوة الى جانب المباين وشقها والفقه فهم الكلام على ما تضمنه من المعنى وقد صار علما لضرب من علوم الدين هو علم مدلول
الدلائل السمعية واصول الدين علم مدلول الدلائل العقلية والرهط عشيرة الرجل وقومه واصله الشدة والترهيط شدة
الاكل ومنه الراهطاء اليربوع لشدته وتوسعه ليخفي فيه ولده والرجم الرمي بالحجارة والاعز والاقوى الامنع والاعز نقيض
الاذل والظهري جعل الشيء وراء الظهر ويقال لكل من لا يعبأ بامر قد جعل فلان هذا الامر بظهر قال تميم بن قيس لا تكونن
حاجتي بظهر ولا يعيا على جوابها الاعراب او ان نفعل موضع ان نصب على معنى او تامرك ان نترك وان نفعل في اموالنا ما
نشاء فهو معطوف على ما يعبد اباؤنا والتقدير اصلوتك تامرك ان نترك عبادة ابائنا او فعل ما نشاء في اموالنا ولا يجوز
ان يكون قوله ان نفعل معطوفا على قوله ان نترك لان المعنى يصير فاسدا اذ هو بمنزلتها في قولك جالس الحسن او ابن
سيرين وقوله ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما ولم يقل به وموضع من في قوله من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب له وجهان
من الاعراب احدهما ان يكون معلقا بقوله تعلمون فيكون استفهاما فتقديره فسوف تعلمون من الخزي ومن الكاذب ويجوز
ان يكون من هو كاذب على هذا المعنى الذي هو كاذب فيكون معطوفا على الهاء من يخزيه اي ويخزي الذي هو كاذب
والثاني ان يكون من في قوله من ياتيه بمعنى الذي ويكون من هو كاذب عطفا عليه وادخلوا هو في قوله من هو كاذب لانه
لا يقولون من قايم ولا من قاعد وانما يقولون من قام ومن يقوم ومن القايم ومن القاعد ومن الجالس وقد يجيء ذلك في
الشعر قول الشاعر من شارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار كان لم يغنوا فيها يحتمل ان تكون كان مخففة
من الثقيلة على ان يضمر فيها كما يضمر في ان من قوله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ويجوز ان يكون ان التي تنصب
الفعل وتكون مع الفعل بمعنى المصدر المعنى ثم عطف سبحانه قصة شعيب على ما تقدمها من قصص الانبياء عليهم السلم •

فقال والى مدين اي وارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا فحذف اهل واقام مدين مقامه ومدين اسم القبيلة او المدينة التي
كانوا فيها فلذلك لم تنصرف عن الزجاج وقيل مدين بن ابرهيم نسبوا اليه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره
ولا تنقصوا المكيال والميزان اى لا تنقصوا حقوق الناس بالتطفيف عند الكيل والوزن انى اريكم بخير او برخص السعر والخصب
عن ابن عباس والحسن والمعنى انى احذرهم الغلا وهو زيادة السعر وزوال النعمة وحلول النقمة ان لم تتوبوا وقيل اراد بالخير المال
وزينة الدنيا عن قتادة وابن زيد والضحاك والمعنى انى اريكم فى كثرة الاموال وسعة الارزاق فلا حاجة بكم الى نقصان الكيل
والوزن وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط وصف اليوم بالاحاطة بمعنى انه محيط عذابه بجميع الكفار لا يفلت منه احد منهم واراد
يوم القيمة عن الجبائى وهو من صفة العذاب على الحقيقة لان اليوم محيط بعذابه بدلا عن احاطته بنعيمه وذلك اظهر فى الوصف
واهول فى النفس ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اى اوفوا حقوق الناس فى المكيلات والموزونات بالمكيال والميزان
بالعدل ولا تبخسوا الناس اشياءهم اى اموالهم فى معاملاتهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين اى لا تسعوا بالفساد ولا
تضطربوا به فى الارض بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين البقية بمعنى الباقى اى ما ابقى الله لكم من الحلال بعد اتمام الكيل والوزن
خير من البخس والتطفيف وشرط الايمان فى كونه خيرا لهم لانهم ان كانوا مؤمنين بالله عز وجل عرفوا صحة هذا القول عن ابن
عباس وقيل معناه ابقاء الله النعيم عليكم خير مما يحصل من النفع بالتطفيف عن ابن جريج وقيل معناه طاعة الله خير لكم من جميع
الدنيا لانها يبقى ثوابها ابدا والدنيا تفنى عن الحسن ومجاهد ويؤيده قوله والباقيات الصالحات خير عند ربك الاية وقيل
بقية الله رزق الله عن الثورى وما انا عليكم بحفيظ اى ما انا حافظ نعم الله عليكم ان يزيلها عنكم وانما يحفظها الله عليكم
فاطلبوا ابقاء نعمه بطاعته وقيل معناه ما انا حافظ لاعمالكم وانما يحفظها الله فيجازيكم عليها وقيل معناه ما انا حافظ عليكم كيلكم
ووزنكم حتى توفوا الناس حقوقهم ولا تظلموهم وانما على انهاكم عنه قالوا يا شعيب اصلوتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا
وانما قالوا ذلك لان شعيبا ع كان كثير الصلوة وكان يقول ان الصلوة رادعة عن الشر ناهية عن الفحشاء والمنكر فقالوا
اصلوتك التى تزعم انها تأمر بالخير وتنهى عن الشر امرتك بهذا عن ابن عباس وقيل معناه اديتك يامرك بترك دين السلف عن الحسن
وعطاء وابى مسلم قالوا كنى عن الدين بالصلوة لانها من اجل امور الدين وانما قالوا ذلك على وجه الاستهزاء او ان نفعل فى اموالنا ما
نشاء معناه اصلوتك تأمرك بترك عبادة ما تعبده اباؤنا وبترك فعل ما نشاء فى اموالنا من البخس والتطفيف انك لانت الحليم
الرشيد قيل انهم قالوا ذلك على وجه الهزء والتهكم واردوا به ضد ذلك اى السفيه الغاوي عن ابن عباس وقيل انهم قالوا ذلك
على التحقيق اي انك حليم فى قومك فلا يليق بك اى تخالفهم والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة مستحقها والرشيد المرشد قال شعيب
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي سبق تفسيره ورزقنى منه رزقا حسنا قيل ان الرزق الحسن ههنا النبوة وقيل معناه هدانى
لدينه ووسع علي من رزقه وكان كثير المال عن الحسن وقيل كل نعمة من الله فهى رزق حسن وفى الكلام حذف اى فاعدل مع ذلك
عما انا عليه من عبادته وانما حذف لدلالة ما ابقاه على ما القاه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه اي لست انهاكم عن شئ
وادخل فيه وانما اختار لكم ما اختاره لنفسى ومعنى ما اخالفكم اليه اي ما اقصد بخلافكم الى ارتكابه عن الزجاج وهذا فى معنى قول
الشاعر لا تنه عن خلق وتاتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقيل معناه ما اريد اجترار منفعة الى نفسى بما انهاكم عنه اى لا امركم
بترك التطفيف فى الكيل والوزن لكون منفعة ما يحصل بالتطفيف لى ان اريد الا الاصلاح اى لست اريد بما امركم به وانهاكم
عنه الا الاصلاح امور كم فى دينكم ودنياكم ما استطعت اى ما قدرت عليه وتمكنت منه وما توفيقى الا بالله معناه وليس توفيقى
فى امتثال ما امركم به والانتهاء عما انهيكم عنه الا بالله فلا يوفق غيره اي ليس ما افعله بحولى وقوتى بل بمعونة الله ولطفه وتيسيره
عليه توكلت والتوكل الرضا بتدبيره مع تفويض الامور والتمسك بطاعته واليه انيب اى اليه ارجع فى المعاد عن مجاهد
وقيل اليه ارجع بعملى ونيتى عن الحسن ومعناه انى اعمل اعمالى كلها لوجه الله ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى اى لا يكسبنكم خلافى ومعاداتى
ان يصيبكم عذاب العاجلة عن الزجاج وقيل معناه لا يحملنكم عداوتى على مخالفة ربكم فيصيبكم من العذاب مثل ما اصاب من قبلكم

عن الحسن وكان سبب هذه العداوة دعاءه لهم الى مخالفة الاباء والاجداد في عبادة الاوثان وما يثقل عليهم من الايفاء في الكيل
والميزان مثل ما اصاب قوم نوح من الهلاك بالغرق او قوم هود بالريح العقيم او قوم صالح بالرجفة وما قوم لوط منكم ببعيد اي هم
قريب منكم في الزمان الذي بينكم وبينهم عن قتادة وقيل معناه ان دارهم قريبة من داركم فيجب ان تتعظوا بهم واستغفروا ربكم ثم توبوا
اليه اي اطلبوا المغفرة من الله ثم توصلوا اليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا للماضي واعزموا في المستقبل وقيل استغفروا ثم دوموا
على التوبة وقيل استغفروا في العلانية ثم اضمروا الندامة في القلب عن الماضي ان ربي رحيم بعباده فيقبل توبتهم ويعفو عن معاصيهم
ودود اي محب لهم ومعناه مريد لمنافعهم وقيل معناه يتودد الى عباده بكثرة انعامه عليهم وقيل ودود بمعنى الواد اي يودهم اذا اطاعوه
وروي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال كان شعيب ع خطيب الانبياء قالوا اي قوم شعيب له حين سمعوا منه الوعظ والتخويف
يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اي ما نفهم عنك معنى كثير من كلامك وقيل معناه لا نقبل كثيرا منه ولا نعمل به وهذا كقولك اذا كره
انسان شيئا لا تريد ان تفعله لا اعلم ما تقول وانت تعلم ذلك اي لا افعله وانما قالوا ذلك بعد ما الزمهم الحجة وانا لنراك فينا
ضعيفا اي ضعيف البدن عن الجبائي وقيل ضعيف البصر وقيل اعمى لان شعيب ع كان اعمى عن قتادة وسعيد بن جبير قال الزجاج
وحمير تسمي المكفوف ضعيفا وهذا كما قيل ضرير اي تضرر بذهاب بصره وكذلك قد ضعف بذهاب بصره فكف عن التصرف وهذا
القول ليس بسديد لان قوله فينا يرده الا ترى انه لو قيل انا لنريك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى قد يكون اعمى فيهم وفي غيرهم
وقيل ضعيفا اي مهينا عن الحسن واختلف في ان النبي صلى الله عليه واله هل يجوز ان يكون اعمى فقيل لا يجوز لان ذلك ينفر
وقيل يجوز ان يكون فيه سفير ويكون بمنزلة العلل والامراض ولولا رهطك لرجمناك اي لولا حرمة عشيرتك وقومك لقتلناك
بالحجارة وقيل معناه لشتمناك وسببناك وما انت علينا بعزيز اي لم ندع قتلك لعزتك علينا ولكن لاجل قومك قال الحسن
كان شعيب في عز من قومه وكان من اشرافهم وما بعث نبي بعد لوط ع الا في عز من قومه قال شعيب يا قوم ارهطي اعز عليكم
من الله اي عشيرتي وقومي اعظم حرمة عندكم من الله فتتركون اذاي لاجل عشيرتي ولا تتركوني لله الذي بعثني اليكم واتخذتموه وراءكم
ظهريا اي واتخذتم الله وراء ظهوركم يعني نسيتموه فالهاء عائدة الى الله عن ابن عباس وقيل الهاء عائدة الى ما جاء به شعيب عن
مجاهد والمعنى ونبذتم ما ارسلت به اليكم وراء ظهوركم وتركتموه ان ربي بما تعملون محيط اي محيط باعمالكم لا يفوته شي منها
وقيل معناه خبير باعمالكم فيجازيكم بها عن الحسن ويا قوم اعملوا على مكانتكم اي اعملوا على حالتكم هذه والمكانة الحالة التي يتمكن
بها صاحبها من عمله وهذا تهديد في صورة الامر وتقديره كانكم امرتم ان تكونوا على هذه الحالة من الكفر والطغيان وفي
هذا غاية الخزي والهوان وقيل معناه اعملوا على ما انتم عليه من دينكم ونحوه قوله لكم دينكم ولي دين وفي هذا دلالة على انه ليس
من قومه اني عامل على ما امرني ربي وقيل اني عامل على ما انا عليه من الانذار سوف تعلمون اينا المخطي الجاني على نفسه وقيل
معناه فسوف يبين لكم وتعلمون في عاقبة الامر من ياتيه عذاب يخزيه اي يهينه ويفضحه ويظهر الكاذب من الصادق وتقديره
ومن هو كاذب يخزى بعذاب الله فحذف وارتقبوا اني معكم رقيب اي انتظروا ما وعدكم ربكم من العذاب اني معكم منتظر
حلول العذاب بكم وقيل معناه انتظروا العذاب واللعنة وانا انتظر الرحمة والثواب والنصرة عن ابن عباس وقيل معناه انتظروا
مواعيد الشيطان وانا انتظر مواعيد الرحمن وروي عن علي بن موسى الرضا ع انه قال ما احسن الصبر وانتظار الفرج اما سمعت
قول العبد الصالح وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا مضى تفسيره واخذت
الذين ظلموا الصيحة صاح فيهم جبرائيل عليه السلام صيحة فماتوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها مضى تفسيره ايضا
قيل الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود اي بعدوا من رحمة الله بعدا كما بعدت ثمود وقيل الا هلاكا لهم كما هلكت ثمود وتقديره الله
اهلكهم فبعدوا بعدا قال البلخي يجوز ان تكون الصيحة صيحة في الحقيقة كما روي ويجوز ان يكون ضربا من العذاب اهلكهم
واصطلمهم تقول العرب صاح الزمان بهم اذا هلكوا وقال امرؤ القيس فدع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل
ومعنى صيح في حجراته ذهب واهلك قالوا وانما شبه حالهم بحال ثمود خاصة لانهم اهلكوا بالصيحة كما اهلكت ثمود بمثل ذلك مع الرجفة.

عشر

قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد * يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار وبئس الورد المورود * واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود * ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد * وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب * وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد * ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * ثماني آيات [illegible] يقال قدمت القوم اقدمهم قدما اذا مشيت امامهم واتبعوك الانهرى قدم يقدم وتقدم واقدم واستقدم بمعنى والورود ورود الماء الذي يورد والابل الواردة والجمع اوراد والايراد ايجاب الورود الى الماء وما يقوم مقامه قال الشاعر يرد المياه حضيرة ونفيصة ورد القطاة اذا استماع التبع وقال لبيد فوردنا قبل فراط القطا ان من وردي تغليس النهل واصل الورود الاشراف على الدخول وليس بالدخول قال عنترة فلما وردنا الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم والرفد العون على الامر يقال رفده يرفده رفدا ورفدا بفتح الراء وكسرها قال الزجاج كل شيء جعلته عونا للشيء او اسندت به شيئا فقد رفدته يقال اعمدت الحائط واسندته وارفدته ورفدته بمعنى واحد ويقال رفده وارفده اذا اعطاه والاسم الرفد كان العطاء عون المعطي والحصيد بمعنى المحصود والحصيد قطع الزرع من الاصل وهذا زمن الحصاد بفتح الحاء وكسرها يقال حصدهم بالسيف اذا قتلهم والتتبيب من تب يده اى خسرت قال جرير عرابة من بقية قوم لوط الا تبا لما فعلوا تبابا والفرق بين العذاب والالم ان العذاب استمرار الالم قال عبيد والمرء ما عاش في تكذيب طول الحيوة له تعذيب [illegible] ثم عطف سبحانه قصة قوم موسى عم على ما تقدم من قصص الانبياء فقال ولقد ارسلنا موسى بآياتنا اى بحججنا ومعجزاتنا الدالة على نبوته وسلطان مبين اى حجة ظاهرة مخلصة من تلبيس وتمويه على اتم ما يمكن فيه والسلطان وان كان في معنى الآيات وانما عطفه عليها لان الآيات حجج من وجه الاعتبار العظيم بها والسلطان حجة من جهة القوة العظيمة على المبطل وكل عالم له حجة يقهر بها شبهة من قارعه من اهل الباطل فله سلطان وقد قيل ان سلطان الحجة انفذ من سلطان المملكة والسلطان متى كان محقا حجة وجب اتباعه ولو كان بخلاف لا يجب اتباعه قال الزجاج السلطان انما سمى سلطانا لانه حجة الله في ارضه واشتقاقه من السليط الذي يستضاء به الى فرعون وملائه اى قومه وقيل اشراف قومه الذي يملاء الصدر هيبتهم فاتبعوا امر فرعون وتركوا امر الله تعالى وما امر فرعون برشيد اى مرشد ومعناه ما هو بدالهم الى رشد ولا قائد الى خير فامر فرعون كان على ضد هذه الحال لانه داع الى الشر صاد عن الخير وفي هذا دلالة على ان لفظة الامر مشتركة بين القول والفعل فان المراد ههنا وما فعل فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة يعني ان فرعون يمشي بين يدي قومه يوم القيمة على قدميه حتى يهجم بهم على النار كما كان يقدمهم في الدنيا يدعوهم الى طريق النار وانما قال فاوردهم النار على لفظ الماضي والمراد به المستقبل لانما عطفه عليه من قوله يقدم قومه يوم القيمة يدل عليه عن الجبائي وقيل انه معطوف على قوله فاتبعوا امر فرعون وبئس الورد المورود اى بئس الماء الذي يردونه عطاشا لاحياء نفوسهم النار اطلق الله سبحانه على النار اسم الورد المورود ليطابق ما يرد عليه اهل الجنة من الانهار والعيون وقيل معناه بئس المدخل المدخول فيه النار وقيل بئس الشيء الذي ترده النار وقيل بئس النصيب المقسوم لهم النار وانما اطلق لفظ بئس وان كان عدلا حسنا لما فيه من البوس واتبعوا في هذه يعني الحقوا في الدنيا لعنة وهي الغرق ويوم القيمة يعني ولعنة يوم القيمة وهي عذاب الآخرة وقيل معناه اتبعهم الله في الدنيا لعنة بابعادهم عن الرحمة واتبعهم الانبياء والمؤمنون بالدعاء عليهم باللعنة ويتبعهم الله اللعنة في القيمة حتى لا تفارقهم اللعنة حيث كانوا قال ابن عباس من ذكرهم لعنهم بئس الرفد المرفود اى بئس العطاء المعطى النار واللعنة وانما سماه رفدا لانه في مقابلة ما يعطى اهل الجنة من انواع النعيم وقال قتادة ترادفت عليهم لعنتان من الله لعنة الدنيا ولعنة الآخرة وسال نافع بن الازرق عبد الله بن عباس قوله بئس الرفد المرفود فقال هو اللعنة بعد اللعنة وقال الضحاك اللعنتان اللتان اصابتهم رفدت احديهما الاخرى ذلك اى ذلك النبأ من انباء القرى اى من

اخبار البلاد نقصه عليك اي نذكره لك ونخبرك به تذكره وتسليه لك يا محمد منها قايم وحصيد اي من تلك الديار معمور وخراب
تداعى عليه الاهلاك ولم يعمر فيها فيما بعد وقيل منها قايم على بنائه لم يذهب اصلا وان كان خاليا من اهله وحصيد قد خرب و
ذهب واندرس اثره كالشيء المحصود عن قتادة وابي مسلم وقيل قايم ينظرون اليها وحصيد قد هلك وباد اهله عن ابن عباس
وما ظلمناهم باهلاكهم ولكن ظلموا انفسهم بان كفروا وارتكبوا ما استحقوا به الهلاك فكان ذلك ظلمهم لانفسهم فما اغنت عنهم
آلهتهم اي اوثانهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك اي عذاب ربك وقيل امر ربك باهلاكهم وما زادوهم غير تتبيب
اي غير تخسير عن قتادة ومجاهد والمعنى لم يزيدوهم شيئا غير الهلاك والخسار وانما اضاف الهلاك الى الاصنام لانها السبب في
ذلك ولولم يعبدوها لم يهلكوا وانما قال يدعون من دون الله لانهم كانوا يسمونها آلهة ويطلبون الحوايج منها كما يطلبها الموحدون
من الله وكذلك اخذ ربك اي وكما ذكر من اهلاك الامم واخذهم بالعذاب اخذ ربك واذا اخذ القرى اي اخذ اهلها وهو
ان ينقلهم الى العقوبة والهلاك وهي ظالمة من صفة القرى وهو في الحقيقة لاهلها وسكانها ونحوه وكم قصمنا من قرية كانت
ظالمة وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الله يمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا هذه الاية ان اخذه
اليم شديد معناه ان اخذ الله سبحانه للظالم مولم شديد الالم ان في ذلك لآية اي ان فيما قصصنا عليك من اهلاك من ذكرناه
على وجه العقوبة على كفرهم لعبرة وتبصرة وعلامة عظيمة لمن خاف عذاب الآخرة اي لمن خشي عقوبة الله يوم القيمة وخص الخايف
بذلك لانه هو الذي ينتفع به بالتدبر والتفكر فيه ذلك يوم مجموع له الناس اي يجمع فيه الناس كلهم الاولون والآخرون منهم
للجزاء والحساب والهاء في قوله له راجعة الى اليوم وذلك يوم مشهود اي يشهده الخلايق كلهم من الجن والانس واهل السماء واهل
الارض اي يحضره ولا يوصف بهذه الصفة يوم سواه وفي هذا دلالة على اثبات المعاد وحشر الخلق قوله تعالى وما نؤخره الا لاجل
معدود يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ خمس آيات القراءة قرا يعقوب ومانؤخره بالياء والباقون
بالنون وقرا يوم يات بغير ياء ابن عامر واهل الكوفة غير الكسائي والباقون ياتي باثبات الياء وقرا اهل الكوفة غير ابي بكر سعدوا
بضم السين والباقون بالفتح الحجة من قرا يؤخره بالياء فلما بعده الى قوله اخذ ربك ومن قرا بالنون فانه ابتداء والياء في المعنى كالنون
وقوله يوم يات قال الزجاج الذي يختاره النحويون يوم ياتي وهذيل تحذف هذه الياآت كثيرا وقد حكى سيبويه والخليل ان
العرب تقول لا ادر فتحذف الياء وتجتزي بالكسرة الا انهم يزعمون ان ذلك لكثرة الاستعمال قال ابو علي من اثبت الياء في الوصل
والوقف فهو القياس البين واما من حذفها فهو في الوقف اذا قال يوم يات فلانها وان لم تكن في فاصلة امكن ان يشبهها
بالفاصلة لان هذه اليا تشبه الحركات المحذوفة في الوصل بدلالة انهم حذفوها كما حذفوا الحركة فكما ان الحركة تحذف في الوقف
فكذلك ما اشبهها من هذه الحروف كما في حكمها فاما من حذفها في الوصل والوقف فلانه جعلها في الوصل والوقف بمنزلة ما استعمل
محذوفا مما لم يكن ينبغي في القياس ان يحذف نحو لم يك ولا ادر ومثله قول الشاعر كفاك كف ما تليق درهما جودا واخرى تعط بالسيف الدما
حذف الياء من تعطي وليس هنا ما اوجب حذفها واما قوله سعدوا فقد قال ابو علي حكى سيبويه سعد يسعد سعادة فهو سعيد
وينبغي ان يكون غير متعد كما ان خلافه الذي هو شقي كذلك واذا كان كذلك كان بضم السين مشكلا الا ان يكون سمع فيه لغة
خارجة عن القياس او يكون من باب فعل او فعلته نحو غاض الماء وغضته وحزن وحزنته ولعلهم استشهدوا على ذلك
بقولهم مسعود وانه يدل على سعد ولا دلالة قاطعة في ذلك لانه يجوز ان يكون احبه الله فهو محبوب واجنه الله فهو مجنون
فالمفعول جاء في هذا على انه حذفت الزيادة منه كما حذف من اسم الفاعل في نحو قوله وارسلنا الرياح لواقح يعني ملاقح فجاء حذف
الزيادة فعلى هذا يكون اصله ياسعد فحذف الزايد من الحذف قول الشاعر يخرجن من اجواف ليل غاضي يريد مغضي اللغة
الشقاء الشقاوة والشقوة بمعنى والياء في شقي منقلبة عن الواو والسعادة ضد الشقاوة والزفير اول نهاق الحمار والشهيق آخر نهاقه

منهاه

خمس نصف الحزب

قال

قال رؤبة حشرج فی الجوف صهيلا او شهق حتى يقال ناهق وما نهق والزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن حتى تنتفخ الضلوع
واصل الزفير الشدة من قولهم للشديد الخلق والزفير الحمل على الظهر خاصة لشدته والزفير الشد لانه يطلق حمل الشدايد وزفرت
النار اذا سمع لها صوت من شدة توقدها والشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف عند النفس واصله الطول المفرط من قولهم جبل
شاهق والخلود الكون فی الامر ابدا والدوام البقاء ابدا ولهذا يوصف سبحانه بانه دايم ولا يوصف بانه خالد والجذ القطع يقال
جذه يجذه جذا وجذ الله دابرهم قال النابغة يجذ السلوقی المضاعف نسجه ويوقدن بالصفاح نار الحباحب ويقال جذها جذ
العير الصليانة وهی نبت الاعراب يوم يأتی لا يخلو ان يكون فاعل يأتی ضمير اليوم المضاف الی يأتی او اليوم المتقدم ذكره فلا يجوز
ان يكون فاعل يأتی ضمير اليوم الذی اضيف الی يأتی لانك لا تقول جئتك يوم يسرك بمعنى يوم سرورك اياك ويكون الهاء عايدا الی اليوم
فيصير اليوم مضافا الی الفعل المسند الی ضميره وانما يعرف الفعل فيه بالفاعل فيكون كانك انما عرفت اليوم بنفسه ونظير
قولك هذا يوم حره ويوم برده والهاء لليوم وهذا غير جايز وكذلك لا يجوز ان يضيف الظرف الی جملة معرفة بجزء وان كانت
من مبتدا وخبر مثل ان تقول اتيتك يوم صحوه بارد وليلة اولها مطير جاز لانه خرج بالتنوين عن حد الاضافة وهذا قول ابی عثمان
المازنی واذا قد تبينت ذلك فقد ثبت ان فی يأتی ضمير اليوم المتقدم ذكره يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ای يوم يأتی هذا
اليوم الذی تقدم ذكره لا تكلم نفس فاليوم فی قوله يوم يأتی يراد به الحين والبرهة ليس على وضح النهار وقوله لا تكلم نفس الا باذنه يجوز ان
يكون هذه الجملة حالا من الضمير فی يأتی ويجوز ان يكون صفة ليوم المضاف الی يأتی لان يوم مضاف الی يأتی والفعل نكرة فلا يتعرف
يوم بالاضافة فجاز ان يوصف بالجملة كما توصف النكرات بالجمل والمعنى لا تكلم فيه نفس فحذف فيه او حذف الجار واوصل الفعل
الی المفعول ثم حذف الضمير من الفعل الذی هو صفة كما يحذف من الصلة ومثل ذلك قولهم الناس رجلان رجل اكرمت
ورجل اهنت فاذا جعلته حالا من الضمير وجب ان يقدر فيه ايضا ضميرا يعود الی ذی الحال وتقديره غير متكلم فيه هذا كله قول
ابی علی واقول ان الاظهر ان قوله يوم يأتی ظرف لقوله لا تكلم نفس الا باذنه ومعمول له وهذا الوجه لا يحتاج فيه الی تقدير محذوف
كما فی الوجهين اللذين ذكرناهما فيكون اولى وانما يضاف يوم الی الفعل لانه اسم زمان والفعل يناسب الزمان من حيث انه لا يخلو
منه وانما ينصرف بتصرفه وانه لا يكون حادثا الا وقتا كان الزمان لا يبقى وقوله لا تكلم ای لا تتكلم فحذف احدى التائين كما فی قول
الشاعر والعيس ساكنة على اطلالها عود اتأجل بالقضاء تمامها ای تتأجل وعطاء منصوب بما دل الكلام عليه فكانه قال اعطاهم
النعيم المعنى ثم اخبر سبحانه عن اليوم المشهود وهو يوم القيمة فقال وما نؤخره ای ما نؤخر هذا اليوم الا لاجل معدود وهو اجل
قد اعده الله لعلمه ان اصلاح الخلق فی ادامة التكليف عليهم الی ذلك الوقت وفيه اشارة الی قربه لان ما يدخل تحت العد فكان
قد نفد وانما قال لاجل ولم يقل الی اجل لان اللام تدل على الغرض وان الحكمة اقتضت تاخيره والی لا يدل على ذلك يوم يأتی حين
تأتی القيمة والجزاء لا تكلم نفس الا باذنه ای لا يتكلم احد فيه الا باذن الله تعالى وامره ومعناه انه لا يتكلم فيه الا بالكلام الحسن المأذون
فيه لان الخلق يلجؤن هناك الی ترك القبايح فلا يقع منهم فعل القبيح واما ما هو غير قبيح فانه مأذون فيه عن الجبائی والاظهر
ان يقال معناه انه لا يتكلم احد فی الآخرة بكلام نافع من شفاعة ووسيلة الا باذنه فان قيل كيف يجمع بين هذه الاية وبين قوله هذا
يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان على انه سبحانه قال فی موضع آخر وقفوهم
انهم مسئولون وهل هذا الا ظاهر التناقض فالجواب ان يوم القيمة يشتمل على مواقف فقد اذن لهم فی الكلام فی بعض تلك المواقف
ولم يؤذن لهم فی الكلام فی بعضها عن الحسن وقيل ان معنى قوله لا ينطقون انهم لا ينطقون بحجة وانما يتكلمون بالاقرار بذنوبهم
ولوم بعضهم بعضا وطرح بعضهم الذنوب على بعض وهذا كما يقول القايل لمن تكلم بكلام كثير فارغ عن الحجة ما تكلمت بشیء ولا نطقت
بشیء فسمی من يتكلم بما لا حجة له فيه غير متكلم كما قال سبحانه صم بكم عمی وهم كانوا يسمعون ويتكلمون ويبصرون الا انهم فی انهم لا يقبلون
الحق ولا يتاملون بمنزلة الصم البكم العمی وكلا الوجهين حسن واما قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فمعناه انهم لا يسألون
عن ذنوبهم للتعرف من حيث ان الله سبحانه علم اعمالهم وانما يسئلون سؤال توبيخ وتقريع وتقرير لا يجاب الحجة عليهم كما فی قوله وقفوهم

انهم مسئولون فاثبت سبحانه سوال التقريع فى آية ونفى سوال التعرف والاستعلام فى اخرى فلا تناقض وقوله فمنهم شقى وسعيد
نبه سبحانه بانهم قسمان اشقياء وهم المستحقون للعقاب وسعداء وهم المستحقون للثواب والشقاوة اسباب البلاء والسعادة قوة
اسباب النعمة والشقى من شقى بسوء عمله فى معصية الله تعالى والسعيد من سعد بحسن عمله فى طاعة الله تعالى والضمير فى قوله فمنهم
يعود الى الناس فى قوله ذلك يوم مجموع له الناس وقيل انه يعود الى نفس فى قوله لا تكلم نفس الا باذنه لان النفس اسم الجنس فاما الذين
شقوا ففى النار يعنى ان الذين شقوا باستحقاقهم العذاب جزاء على اعمالهم القبيحة داخلون فى النار وانما وصفوا بالشقاوة قبل دخولهم
النار لانهم على حال يؤديهم الى دخولها واما ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال الشقى من شقى فى بطن امه فان المراد بذلك ان
المعلوم من حاله انه سيشقى بارتكاب القبائح التى تؤديه الى عذاب النار كما يقال لابن الشيخ الهرم انه يتيم بمعنى انه سييتم لهم فيها
زفير وشهيق قال الزجاج الزفير الشهيق الانين الشديد المرتفع جدا بمنزلة اخر صوت الحمار عن ابن عباس قال زيد ندامه ونفسا عاليا
وبكاء لا ينقطع خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك اختلف العلماء فى تاويل هذا فى الايتين وهما من المواضع المشكلة
فى القران والاشكال فيه من وجهين احدهما تحديد الخلود بمدة دوام السموات والارض والاخر معنى الاستثناء بقوله الا ما شاء ربك
فالاول فيه اقوال احدها ان المراد ما دامت السموات والارض مبدلتين اى ما دامت سماء الاخرة وارضها وهما لا يفنيان اذا اعيدا بعد
الافناء عن الضحاك والجبائى وثانيها ان المراد ما دامت سموات الجنة والنار وارضهما وكلما علاك فاظلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدمك
فهو ارض وهذا مثل الاول او قريب منه وثالثها ان المراد ما دامت الاخرة وهى دائمة ابدا كما ان دوام السماء والارض فى الدنيا قدر مدة
بقائها عن الحسن ورابعها انه لا يريد السماء والارض بعينهما بل المراد التبعيد فان للعرب الفاظا للتبعيد فى معنى التابيد يقولون لا افعل
ذلك ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماء والارض وما حنت النيب وما اطت الابل وما اختلفت الجرة والدرة وما ذر شارق
واشباه ذلك كثيرة ظنا منهم ان هذه الاشياء لا تتغير ويريدون بذلك التابيد لا التوقيت فخاطبهم سبحانه بالمتعارف من كلامهم على قدر
عقولهم وما يعرفون قال عمرو بن معدى كرب وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان وقال زهير الا لا ارى فوق الحوادث باقيا
ولا خالدا الا الجبال الرواسيا والا السماء والنجوم وربنا وايامنا معدودة والليا ليا لانهم توهم ان هذه الاشياء لا تفنى وتخلد واما الكلام
فى الاستثناء فقد اختلف فيه اقوال العلماء على وجوه احدها انه استثناء فى الزيادة من العذاب لاهل النار والزيادة من النعيم لاهل الجنة
والتقدير الا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لى عليك الف دينار الا الالفين اللذين اقرضتكما وقت كذا
فالالفان زيادة على الالف بغير شك لان الكثير لا يستثنى من القليل عن الزجاج والفراء وعلى بن عيسى وجماعة فعلى هذا يكون الا بمعنى
سوى ما شاء ربك كما يقال ما معنى رجل الا زيد سوى زيد وثانيها ان الاستثناء واقع على مقامهم فى الحشر والحساب لانهم حينئذ ليسوا
فى جنة ولا نار ومدة كونهم فى البرزخ الذى هو ما بين الموت والحيوة لانه تعالى لو قال خالدين فيها ابدا ولم يستثن لظن ظان انهم يكونون
فى النار او الجنة من لدن نزول الاية او من بعد انقطاع التكليف فحصل للاستثناء فائدة عن المازنى وغيره واختاره البلخى فان قيل
كيف يستثنى من الخلود فى النار ما قبل الدخول فيها فالجواب ان ذلك جائز اذا كان الاخبار به قبل دخولهم فيها وثالثها ان الاستثناء
الاول يتصل بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقديره الا ما شاء ربك من اجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء
بالخلود وفى اهل الجنة يتصل بما دل عليه الكلام فكانه قال لهم فيها نعيم الا ما شاء ربك من انواع النعيم وانما دل عليه قوله عطاء غير
مجذوذ عن الزجاج ورابعها ان يكون الا بمعنى الواو اى وما شاء ربك من الزيادة عن الفراء واستشهد على ذلك بقول الشاعر
وارى لها دارا بغدرة السيدان لم يدرس لها رسم الا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم قال والمراد بالا الواو هنا والا كان
الكلام متناقضا وهذا القول قد ضعفه محققو النحويين وخامسها ان المراد بالذين شقوا من ادخل النار من اهل التوحيد الذين
ضموا الى ايمانهم وطاعاتهم ارتكاب المعاصى فقال سبحانه انهم معاقبون فى النار الا ما شاء ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال
ثواب طاعاتهم اليهم ويجوز ان يريد بالذين شقوا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى بقوله الا ما شاء ربك اهل الطاعات منهم قد
استحق الثواب ولا بد ان يوصل اليه وتقديره الا من شاء ربك ان يخرجه بتوحيده من النار ويدخله الجنة وقد يكون ما بمعنى من

قال سبحانه سبح لله ما فى السموات وقالت العرب عند سماع الرعد سبحان ما سبحت له واما فى استثناء اهل الجنة فهو استثناء من خلودهم

ايضا لما ذكرناه لان من ينقل الى الجنة من النار وخلد فيها لا بد فى الاخبار بتابيد خلوده من استثناء ما تقدم فكانه قال خالدين فيها الا ما شاء

ربك من الوقت الذى ادخلهم فيه النار قبل ان ينقلهم الى الجنة فما فى قوله ما شاء ربك ههنا على بابه والاستثناء من الزمان و

الاستثناء فى الاول من الاعيان والذين شقوا على هذا القول هم الذين سعدوا باعيانهم وانما اجرى عليهم كل لفظ فى الحال التى تليق به

فاذا دخلوا النار وعوقبوا فيها فهم من اهل الشقاوة واذا انتقلوا منها الى الجنة فهم من اهل السعادة وهذا قول ابن عباس وجابر بن

عبد الله وابى سعيد الخدرى وقتادة والسدى والضحاك وجماعة من المفسرين روى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس انه قال

الذين شقوا ليس فيهم كافر وانما هم قوم من اهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله عليهم فيخرجهم من النار الى

الجنة فيكونوا اشقياء فى حال سعداء فى حال وقال قتادة والله اعلم بمشيته ذكر لنا ان ناسا يصيبهم سفع من النار بذنوبهم ثم يدخلهم

الله الجنة برحمته يسمون الجهنميين وهم الذين انفذ فيهم الوعيد ثم اخرجوا بالشفاعة قال وحدثنا انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله

قال يخرج قوم من النار قال ولا نقول ما يقوله اهل حروراء وهذا القول هو المختار المعول عليه وسادسها ان تعليق ذلك بالمشية

على سبيل التاكيد للخلود والتبعيد للخروج لان الله تعالى لا يشاء الا تخليدهم على ما حكم به فكانه تعليق لما لا يكون بما لا يكون لانه

لا يشاء ان يخرجهم منها وسابعها ما قاله الحسن ان الله سبحانه استثنى ثم عزم بقوله ان ربك فعال لما يريد انه اراد ان يخلدهم وقريب

منه ما قاله الزجاج وغيره انه استثناء تستثنيه العرب وتفعله كما تقول والله لاضربن زيدا الا ان ارى غير ذلك وانت عازم على ضربه

والمعنى فى الاستثناء على هذا انى لو شئت ان لا اضربه لفعلت وثامنها ما قاله يحيى بن سلام البصرى انه يعنى بقوله الا ما شاء ربك

ما سبقهم به الذين دخلوا من قبلهم من الفريقين واحتج بقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وسيق الذين اتقوا ربهم

الى الجنة زمرا قال الزمرة تدخل بعد الزمرة فلا بد ان يقع بينهما تفاوت فى الدخول والاستثناء ان كان على هذا من الزمان وتاسعها

ان المعنى انهم خالدون فى النار دائمون فيها مدة كونهم فى القبور ما دامت السموات والارض فى الدنيا واذا فنيتا وعدمتا انقطع

عقابهم الى ان يبعثهم الله للحساب وقوله الا ما شاء ربك استثناء وقع عما يكون فى الآخرة اورده الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه

وقال ذكره قوم من اصحابنا فى التفسير وعاشرها ان المراد الا ما شاء ربك ان يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار والاستثناء لاهل التوحيد

عن ابن مخلد قال هى جزاؤهم وان شاء سبحانه تجاوز عنهم فلا يدخلهم النار والاستثناء يكون على هذا من الاعيان واما الذين سعدوا

اى سعدوا بطاعات الله وانتهائهم عن المعاصى ففى الجنة يكونون فى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض اى مدة

دوام السموات والارض الا من شاء ربك يتاتى فيه جميع ما ذكرناه فى الاستثناء من الخلود فى النار الا ما مضى ذكره من جواز اخراج

بعض الاشقياء من تناول الوعيد لهم او اخراجهم من النار بعد دخولهم فيها فان ذلك لا يتاتى ههنا للاجماع الامة على ان من

استحق الثواب فلا بد ان يدخل الجنة وانه لا يخرج منها بعد دخوله فيها عطاء غير مجذوذ اى غير مقطوع قوله تعالى فلا تك فى مرية

مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ۞ ولقد آتينا موسى الكتاب

فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب ۞ وان كلا لما ليوفينهم ربك

اعمالهم انه بما يعملون خبير ۞ فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ۞ اربع آيات القراءة

قرا ابو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص وان كلا لما بتشديد النون والميم وقرا اهل البصرة والكسائى وخلف وان كلا بتشديد النون

لما بتخفيف الميم وقرا نافع وابن كثير وان كلا خفيفة النون وقرا ابو بكر عن عاصم وان كلا خفيفة النون لما مشددة الميم وفى الشواذ

قراءة الزهرى وسليمان بن ارقم لما بالتنوين وقراءة ابن مسعود وان كل بالرفع الا ليوفينهم الحجة قال ابو على من قرا وان كلا لما

بتشديدان وتخفيف لما فوجهه بين وهو انه نصب كلا بان وان تقتضى ان تدخل على خبرها واسمها لام فدخلت هذه اللام وهى

لام الابتداء على الخبر فى قوله لما وقد دخلت فى الخبر لام اخرى وهى التى يتلقى بها القسم وتختص بالدخول على الفعل ويلزمها فى اكثر

الامر احدى النونين فلما اجتمعت اللامان واتفقتا فى اللفظ فصل بينهما بما كما فصلوا بين ان واللام فدخلت ما لهذا المعنى وان كانت

ع ٩
عشر

زايده ليفصل كما جلبت النون وان كانت زايدة فى نحو فاما ترين من البشر احدا وكما صارت عوضا من الفعل فى قولهم اما لا بالاصالة وفى قولهم
اباخراشه اما انت ذانفر فان قومى لم ياكلهم الضبع ويكون هذا الوجه فى البيان قول من خفف ان ونصب كلا وخفف لما قال سيبويه حدثنا
من نثق به انه سمع من العرب من يقول ان عمرا لمنطلق قال واهل المدينة يقرؤن وان كلا لما جميع لدينا محضرون يخففون وينصبون
كما قالوا كان ثدييه حقان ووجه النصب بها مع التخفيف من القياس ان ان مشبهه فى نصبها بالفعل والفعل يعمل محذوفا كما يعمل غير محذوف
وذلك فى نحو لم يك زيدا منطلقا فلاتك فى مرية وكذلك لا ادر فاما من خفف ان ونصب كلا وثقل لما فقراءته مشكله وذلك ان ان
اذا نصب بها وان كانت مختلفة كانت بمنزلتها مثقله ولما اذا شددت كانت بمنزلة الا وكذلك قراءة من شدد لما وثقل ان مشكله
وذلك ان ان اذا ثقلت واذا خففت ونصب بها فهى بمعنى الثقيلة فكما لا يحسن تثقيل ان زيدا الا منطلق كذلك لا يحسن تثقيل
ان وتثقيل لما فاما مجئ لما فى قولهم نشدتك الله لما فعلت والا فعلت فقال الخليل الوجه لتفعلن كما تقول اقسمت عليك لتفعلن
واما دخول الا ولما فلان المعنى الطلب فكانه اريد ما اسئلك الا فعل كذا فلم يذكر حرف النفى فى اللفظ وان كان مرادا كما جاء فى
قولهم شر اهر ذا ناب اى ما اهره الا شر وليس فى الاية معنى نفى ولا طلب فان قال قايل لم لا يكون لمن ما فادغم النون فى الميم بعد ما قلبها ميما قيل
ذلك لا يسوغ الا ترى ان الحرف المدغم اذا كان قبله ساكن نحو قوم مالك لم يقو الادغام فيه على ان يحرك الساكن الذى قبل الحرف المدغم فاذا
لم يجز ذلك فيه وكان تغيير الاسهل من الحذف فان لا يجوز الحذف الذي هو اذهب فى باب التغيير من تحريك الساكن اجدر
على ان فى هذه السورة ميمات اجتمعت فى الادغام اكثر مما كان يجتمع فى لمن ما ولم يحذف منها شئ وذلك قوله على امم ممن معك فان
لا يحذف شئ من هذا فان لا يحذف ثم اجدر وقد ادعى انه قد قرى وان كلا لما منونا كما قال وتاكلون التراث اكلا لما فوصف
بالمصدر فان قال قايل ان لما فيمن ثقل انما هو لما هذه وقف عليها بالالف ثم اجرى فى الوصل وقد حكى عن الكسائى انه قال لا
اعرف وجه التثقيل فى لما ولم يبعد فيما قال ولو خفف ان ورفع كلا بعدها لجاز تثقيل لما مع ذلك على ان يكون المعنى فلكل الا
ليوفينهم فيكون ذلك كقوله وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ولكان ذلك ابين من النصب فى كل والتثقيل للما وينبغى ان يقدر
المضاف اليه كل نكرة ليحسن وصفه بالنكرة ولا يقدر اضافته الى معرفة فيمتنع ان يكون لما وصفا له ولا يجوز ان يكون حالا لانه
لا شئ فى الكلام عاملا فى الحال هذا كله كلام ابى على وقال غيره فى معنى لما بالتشديد اربعة اوجه احدها قول الفراء انها بمعنى لمن ما
حذفت احدى الميمات على ما تقدم ذكره وانشد الفراء وانى لما اصدر الامر وجهه اذا هو اعيا بالسبيل مصادره والثاني انها بمعنى الا
كقولهم سالتك لما فعلت بمعنى الا فعلت عن الزجاج وقال الفراء هذا لا يجوز الا فى اليمين كما قاله ابو على والثالث انها مخففة
شددت للتاكيد عن المازني قال الزجاج هذا لا يجوز لانه انما يجوز تخفيف المشددة عند الضرورة فاما تشديد المخفف فلا
يجوز بحال والرابع انها من لممت الشئ جمعته الا انها بنيت على فعلى مثل بشرى فلم تصرف مثل سوى فكانه قال وان كلا جميعا
او محصلا اعمالهم تحصيلا فهو كقولك قياما لاقومن وذكر الشيخ على بن ابى الطيب رحمه الله فيه وجها اخر فقال ههنا محذوف
وتقديره وان كلا لما عملوا ليوفينهم ربك اعمالهم والحذف فى الكلام كثير قال الشاعر اذا قلت سيروا ان ليلى لعلها جرى دون ليلى
مايل القرن اعصب والمراد لعلها تلقاني او تصلني او نحو هذا فهذا وجه خامس فاما اذا خففت ان فانتصاب كلا مع حمل ان
على النفى مشكل وقد ذكر فيه ان يكون التقدير وان هم الا ليوفينهم كلا او وان هم اعنى كلا ليوفينهم وهذان الوجهان مرغوب
عنهما وعلى الجملة فان تشديد الميم من لما مع تشديد ان وتخفيفه مشكل عند المحققين اذ لا يتاتى فى لما هذه معنى لم ولما معنى حين
ولا معنى الا ولا يعرف لها معنى سوى هذه ومن قرا وان كل الا ليوفينهم فمعناه ما كل الا والله ليوفينهم كقولك ما زيد الا ضربته
اى ما زيد الا مستحق لان يقال فيه هذا ويجوز ان يكون ان مخففة من الثقيلة والا زايدة كما فى قول الشاعر ارى الدهر الا
مجنونا باهله وما طالب الحاجات الا معللا اى ارى الدهر مجنونا باهله وعلى ذلك تاولوا بيت ذى الرمه حراجيج ما تنفك
الا مناخه على الخسف او نرمى بها بلدا قفرا اى ما تنفك مناخه والا زايدة اللغة المرية بكسر الميم وضمها الشك مع ظهور الدلالة
للتهمه وهى ماخوذة من مرى ضرع الناقه ليدر بعد دروره والنصيب الحظ وهو القسم المجعول له ومنه ايضا الوبر والاختلاف

ذهاب كل واحد الى جهة غير جهة الاخر وهو على ضربين اختلاف النقيضين فهذا لا يجوز ان يصحا معا فان احدهما مبطل لصاحبه والاخر
اختلاف الجنسين كاختلاف المجتهدين في جهة القبلة فهذا يجوز ان يصحا معا والاستقامة الاستمرار في جهة واحدة وان لا يعدل
يمينا وشمالا والطغيان تجاوز المقدار في الفساد الاعراب ومن تاب موصول وصلة في موضع رفع بالعطف على الضمير المستكن
في استقم ويجوز ان يكون معطوفا على التاء من امرت ويكون التقدير في الاول استقم انت ومن تاب معك وفي الثاني كما امرت
انت ومن تاب ويجوز ان يكون من تاب منصوب الموضع بكونه مفعولا معه المعنى فلا تك في مرية اي في شك مما يعبد هؤلاء من
دون الله تعالى انه باطل وانهم يصيرون بعبادتهم الى عذاب النار ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل يعني ما يعبدون غير الله
الا على جهة التقليد كما كان اباؤهم كذلك وانا لموفوهم نصيبهم اي انا لمعطوهم جزاء اعمالهم وعقاب اعمالهم وافيا غير منقوص
عن مقدار ما استحقوه وابهم سبحانه هذا القول عن العفو وقيل معناه انا نعطيهم ما يستحقونه من العقاب بعد ان نوفيهم فيما
حكمنا لهم به من الخير في الدنيا عن ابن زيد ولقد اتينا اي اعطينا موسى الكتاب يعني التورية فاختلف فيه يريد ان قومه اختلفوا
فيه اي في صحة الكتاب الذي انزل عليه واراد بذلك تسلية النبي ص عن تكذيب قومه اياه وجحدهم للقرآن المنزل عليه فبين
ان قوم موسى ع كذلك فعلوا بموسى فلا تحزن لذلك ولا تغتم له ولولا كلمة سبقت من ربك اي لولا خبر الله السابق بانه يؤخر الجزاء
الى يوم القيمة لما علم في ذلك من المصلحة لقضي بينهم اي لعجل الثواب والعقاب لاهله وقيل معناه لفصل الامر على التمام بين المؤمنين
والكافرين بنجاة هؤلاء وهلاك اولئك وانهم لفي شك منه مريب يعني ان الكافرين لفي شك من وعد الله ووعيده مريب والريب
اقوى الشك وقيل معناه ان قوم موسى ع لفي شك من نبوته وان كلا من الجاحدين والمخالفين وان كلا من الفريقين المصدق والمكذب
جميعا لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي يعطيهم ربك جزاء عملهم وافيا تاما ان خيرا فخير وان شرا فشر انه بما يعملون خبير يعني انه عليم باعمالكم
وبما تستحقونه من الجزاء عليها لا يخفى عليه شيء من ذلك فاستقم يا محمد كما امرت اي استقم على الوعظ والانذار والتمسك بالطاعة
والامر بها والدعاء اليها والاستقامة هو اداء المامور به والانتهاء عن المنهي عنه كما امرت في القرآن ومن تاب معك اي وليستقم
من تاب معك من الشرك كما امروا عن ابن عباس وقيل معناه من رجع الى الله والى نبيه ع فليستقم كما امر ايضا اي ليستقم المؤمنون
وقيل استقم انت على الاداء وليستقيموا على القبول ولا تطغوا اي لا تجاوزوا امر الله بالزيادة او النقصان فتخرجوا عن حد
الاستقامة عن الجبائي وقيل معناه لا تعصوا الله ولا تخالفوه انه بما تعملون بصير اي عليم باعمالكم لا يخفى عليه منها خافية وروى الواحدي
باسناده عن ابرهيم بن ادهم عن مالك بن دينار عن ابي مسلم الخولاني عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لو
صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ثم كان الاثنان احب اليكم من الواحد لم تبلغوا حد الاستقامة وقال ابن
عباس ما نزل على رسول الله ص آية كانت اشد عليه ولا اشق من هذه الآية ولذلك قال لاصحابه حين قالوا له اسرع اليك الشيب
يا رسول الله قال شيبتني هود واخواتها النظم وجه اتصال الآية الاولى بما قبلها انه لما خص بناء الامم واهلاكهم بكفرهم اخبر
عقيب ذلك عن بطلان ما كانوا عليه وانه يوفيهم جزاء اعمالهم وقيل انه سبحانه بين فيما قبل اختلاف الامم على انبيائهم تكذيبا لهم
بين في هذه الآية ان خلاف هؤلاء كخلاف اولئك خلاف كفر لا خلاف اجتهاد عن ابي مسلم وكذلك اتصال الآية الثانية فانه بين
فيها ان تكذيب هؤلاء الكفار بالذي آتيناك كتكذيب اولئك بالكتاب الذي آتيناه موسى عليه السلام قوله تعالى

وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ۞ وَأَقِمِ
الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ۞ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا
مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۞ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ

خمس آيات القراءة

قرا ابو جعفر زلفا بضم اللام والباقون بفتح اللام الحجة من قرا زلفا بفتح اللام فانه جمع زلفة وهي المنزلة قال العجاج ناج طواه الاين
مما وجفا طي الليالي زلفا فزلفا ومن قرا بضم اللام فانه واحد مثل الحلم ويجوز ان يكون جمعا على زليف من الليل فيكون مثل قريب

ظلموا

حسن

وقرب قال الزجاج والزلف بالفتح اجود فى الجمع وما علمت ان زلفا يستعمل فى الليل وهو منصوب على الظرف اللغة الركون الى الشئ
هو السكون اليه بالمحبة والانصباب اليه ونقيضه النشوز عنه والصبر حبس النفس عن الخروج الى ما لا يجوز من ترك الحق لحبس النفس
عن الخروج الى المشتهى وضده الجزع قال فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما تريان وهو ماخوذ من الصبر المر لانه تجرع
مرارة الحق لحبس النفس عن الخروج الى المشتهى ومما يعين على الصبر شيآن احدهما العلم بما يعقب من الخير فى كل وجه وعادة النفس
له والثاني استشعار ما فى لزوم الحق من العز والاجر بطاعة الله والبقية ما بقى من الشئ بعد ذهابه وهو الاسم من الابقاء ويقال
فى فلان بقية اى فضل مما يمدح به وخير كانه قيل بقية خير من الخير الماضي واترفوا اى عودوا الترفه بالنعيم واللذة وذلك ان
الترفه عادة النعمة قال تهدي رؤس المترفين الصداد الى امير المومنين الممتاد الى المسئول وانما قيل للمتنعم مترف لانه يطلق له
لا يمنع من تنعمه الاعراب فتمسكم نصب لانه جواب النهى بالفاء وتقديره لا يكن منكم ركون الى الظالمين يمس النار اياكم ثم لا
تنصرون انقطع ثم رده على الاستيناف طرفى النهار منصوب على الظرف وزلفا معطوف عليه الا قليلا استثناء منقطع
بمعنى لكن عن الزجاج تقديره لكن قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد المعنى ثم نهى الله سبحانه عن المداهنة فى الدين
والميل الى الظالمين فقال ولا تركنوا الى الذين ظلموا اى ولا تميلوا الى المشركين فى شئ من دينكم عن ابن عباس وقيل لا تداهنوا الظلمة عن
السدي وابن زيد وقيل ان الركون الى الظالمين المنهى عنه هو الدخول معهم فى ظلمهم واظهار الرضا بفعلهم او اظهار موالاتهم
فاما الدخول عليهم ومخالطتهم ومعاشرتهم دفعا لشرهم فجائز عن القاضي وقريب منه ما روى عنهم عليهم السلم ان الركون المودة
والنصيحة والطاعة فتمسكم النار اى فيصيبكم عذاب النار وما لكم من دون الله من اولياء اى ما لكم سواه من انصار يدفعون عنكم
عذاب الله وفى هذا بيان انهم متى خالفوا هذا النهى وسكنوا الى الظالمين نالتهم النار ولم يكن لهم ناصر يدفع عنهم عقوبتهم على
ذلك ثم لا تنصرون اى لا تنصرون فى الدنيا على اعدائكم لان نصر الله نوع من الثواب فيكون للمطيعين واقم الصلوة اى ادها
وائت باعمالها على وجه التمام فى ركوعها وسجودها وسائر فروضها وقيل معناه اعملها على استواء وقيل ادم على فعلها طرفى النهار
وزلفا من الليل قيل اراد بطرفى النهار صلوة الفجر والمغرب وبزلف من الليل صلوة العشاء الآخرة والزلف اول ساعات الليل عن
ابن عباس وابن زيد وقالوا وترك ذكر الظهر والعصر لاحد امرين اما لظهورهما فى انهما صلوتا النهار فكانه قال اقم الصلوة طرفى النهار
مع المعروفة من صلوة النهار واما لانهما مذكورتان على التبع للطرف الاخير لانهما بعد الزوال فهما اقرب اليه وقد قال سبحانه
اقم الصلوة لدلوك الشمس ودلوك الشمس زوالها وهذا القول هو المروي عن ابى جعفر عم وقيل صلوة طرفى النهار الغداة و
الظهر والعصر وصلوة زلف الليل المغرب والعشاء الآخرة عن الزجاج وبه قال مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب القرظي والحسن
قالوا لان طرف الشئ من الشئ وصلوة المغرب ليست من النهار قال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وآله صلوة المغرب
والعشاء زلفا الليل وقيل اراد بطرفى النهار صلوة الفجر وصلوة العصر ان الحسنات يذهبن السيآت قيل معناه ان الصلوات
الخمس تكفر ما بينهما من الذنوب لانه عرف الحسنات بالالف واللام وقد تقدم ذكر الصلوة عن ابن عباس قال كنت مع سلمان
تحت شجرة فاخذ غصنا يابسا منها فهزه حتى تحات ورقه ثم قال يا اباعثمن الا تسئلني لم افعل هذا قلت ولم تفعله قال هكذا
فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وانا معه تحت شجرة فاخذ منها غصنا يابسا فهزه حتى تحات ورقه فقال الا تسئلني يا سلمان
لم افعله هذا قلت ولم تفعله قال ان المسلم اذا توضا فاحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحات خطاياه كما تحات
هذا الورق ثم قرا هذه الآية اقم الصلوة طرفى النهار الى آخرها وباسناده عن ابى امامة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله
فى المسجد ونحن قعود معه اذ جاءه رجل فقال يا رسول الله انى اصبت حدا فاقمه على قال هل شهدت الصلوة معنا قال نعم
يا رسول الله قال فان الله قد غفر لك حدك او قال ذنبك وباسناده عن الحرث عن على بن ابى طالب عم قال كنا مع رسول
الله ص فى المسجد ننتظر الصلوة فقام رجل فقال يا رسول الله انى اصبت ذنبا فاعرض عنه فلما قضى النبى ص الصلوة قام الرجل
فاعاد القول فقال النبى صلى الله عليه وآله اليس قد صليت معنا هذه الصلوة واحسنت لها الطهور قال بلى قال فانها كفارة

ذنبك وروى اصحابنا عن ابن محبوب عن ابرهيم الكرخي قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام اذ دخل عليه رجل من اهل المدينة فقال له من
اين جيت ثم قال له تقول جيتك من ههنا وههنا بغير معاش تطلبه ومكسب تكسبه بعمل آخرك اعمل انظر بماذا تقطع يومك وليلتك
واعلم ان معك ملكا كريما موكلا بك يحفظ عليك ما تصنع ويطلع على سرك الذي تخفيه من الناس فاستحي ولا تحقرن سيئة فانها
ستسوءك يوما ولا تحقرن حسنة وان صغرت عندك وقلت في عينك فانها ستسرك يوما واعلم انه ليس شيء اضر عاقبة ولا اسرع
ندامة من الخطية وانه ليس شيء اشد طلبا ولا اسرع دركا للخطيئة من الحسنة اما انها لتدرك الذنب العظيم القديم المنسي عند صاحبه
فتحته وتسقطه وتذهب به بعد اثباته وذلك قوله سبحانه ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين وروى عن ابي حمزة
الثمالي قال سمعت احدهما ع يقول ان عليا ع اقبل على الناس فقال اي آية في كتاب الله ارجا عندكم فقال بعضهم ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك الآية فقال حسنة وليست اياها فقال بعضهم يا عبادي الذين اسرفوا الآية فقال حسنة وليست اياها
قال ثم احجم الناس فقال ما لكم يا معشر المسلمين فقالوا لا والله ما فينا شيء قال سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ارجى
آية في كتاب الله اقم الصلوة طرفي النهار وقرء الآية كلها قال يا علي والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا ان احدكم ليقوم الى وضوءه
فتتساقط عن جوارحه الذنوب فاذا استقبل الله بقلبه ووجهه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته امه فان اصاب شيئا بين الصلوتين
كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس ثم قال يا علي انما مثل الصلوات الخمس لامتي كنهر جار على باب احدهم فما ظن احدهم
اذا كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات اكان يبقى في جسده درن فكذلك والله الصلوات الخمس لامتي وقيل
ان الحسنات يذهبن السيئات معناه ان الدوام على فعل الحسنات يدعو الى ترك السيئات فكانها تذهب بها وقيل المراد بالحسنات
التوبة فانها تذهب السيئات اي تسقط عقابها لانه لا خلاف في ان العقاب يسقط عند التوبة ذلك ذكرى للذاكرين يعني ان ما ذكره
من ان الحسنات يذهبن السيئات فيه تذكار وموعظة لمن تذكر به وتفكر فيه واصبر قيل معناه واصبر على الصلوة كما قال وامر اهلك
بالصلوة واصطبر عليها فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي المصلين عن ابن عباس وقيل معناه واصبر يا محمد على اذى قومك وتكذيبهم
اياك على القيام بما افترضه الله عليك من اداء الواجبات والامتناع عن المقبحات فان الله لا يهمل جزاء المحسنين على احسانهم
ولا يبطله بل يكافيهم عليه اكمل الثواب فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية اي هلا كان والا كان ومعناه النفي وتقديره لم يكن
من القرون من قبلكم قوم ينهون عن الفساد اي كان يجب ان يكون منهم قوم بهذه الصفة مع انعام الله تعالى عليهم بكمال العقل
وبعثه الرسل اليهم واقامة الحجج لهم وهذا تعجيب وتوبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من قبلهم في الفساد نحو عاد وثمود والقرون
التي عدها القرآن واخبر بهلاكها اي ان العجب منهم كان لم يكن من جملتهم بقية في الارض يامرون فيها بالمعروف وينهون عن المنكر
وكيف اجتمعوا على الكفر حتى استاصلهم الله بالعذاب وانواع العقوبات لكفرهم بالله ومعاصيهم له وقيل اولوا بقية معناه
ذو دين وخير وقيل معناه ذو فاتركر وقيل معناه ذووا التمييز وطاعة الا قليلا ممن انجينا منهم المعنى ان قليلا منهم كانوا ينهون
عن الفساد في الارض وهم الانبياء والصالحون الذين آمنوا مع الرسل فانجيناهم من العذاب الذي نزل بقومهم وانما جعلوا
هذا الاستثناء منقطعا لانه ايجاب لم يتقدم فيه صيغة النفي وانما تقدم تعجيب خرج مخرج السؤال ولو رفع لجاز في الكلام
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اي واتبع المشركون ما عودوا من النعم والتنعم وايثار اللذات على امور الآخرة واشتغلوا بذلك
عن الطاعات وكانوا اي وكان هؤلاء المتنعمون البطرون مجرمين مصرين على الجرم وفي الآية دلالة على وجوب النهي عن المنكر
لانه سبحانه ذمهم بترك النهي عن الفساد واخبر بانه انجى القليل منهم لنهيهم عن ذلك ونبه على انه لو نهى الكثير كما نهى القليل لما هلكوا
ثم اخبر سبحانه انه لا يهلك الا بالكفر والفساد فقال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وذكر في تاويله وجوه احدها
ان المعنى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه لهم ولكن انما يهلكهم بظلمهم لانفسهم كما قال ان الله لا يظلم الناس شيئا وثانيها ان
معناه لا يواخذهم بظلم واحد مع ان اكثرهم مصلحون ولكن اذا عم الفساد وظلم الاكثرون عذبهم وثالثها انه لا يهلكهم بشركهم وظلمهم
لانفسهم وهم يتعاطون الحق بينهم اي ليس من سبيل الكفار اذا قصدوا الحق في المعاملة ان يهلكهم الله بالعذاب عن ابن عباس في رواية

النظم عطا والواو فى قوله واهلها واو الحال وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال واهلها مصلحون ينصف بعضهم بعضا
وجه اتصال قوله فلولا كان من القرون من قبلكم الآية بما قبلها انه تعم لما ذكر اهلاك الامم الماضية والقرون الخالية عقب ذلك
بانهم اتوا فى هلاكهم من قبل نفوسهم ولو كان فيهم مومنون يامرون بالصلاح وينهون عن الفساد لما استاصلناهم رحمة منا ولكنهم
لما عمهم الكفر استحقوا عذاب الاستيصال قوله تعالى وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ
رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ
فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۝ وَانْتَظِرُوا
إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ۝ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝
اربع آيات كوفى بصرى ست آيات عند غيرهم والخلاف فى لا يزالون مختلفين وانا عاملون القراءة قرا يرجع الامر بضم الياء نافع
وحفص والباقون يرجع بفتح الياء وقرا عما تعملون بالتاء ههنا وفى آخر النمل اهل المدينة والشام ويعقوب وحفص الباقون بالياء
الحجة من ضم الياء من يرجع فكقوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق والمعنى ردوا امرهم الى الله ومن فتح الياء فكقوله والامر يومئذ
لله والمعنيان متقاربان ومن قرا بالتاء فى تعملون جعل الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وامته وهو اعم فائدة ومن قراه بالياء
وجهه الى من تقدم ذكره من الكفار وفيه ضرب من التهديد اللغة القصص الخبر عن الامور بما يتلو بعضه بعضا لانه من
قصه يقصه اذا اتبع اثره لانه يتبع اثر من يخبر به والنبا الخبر بما فيه عظيم الشان تقول لهذا الامر نبا والتثبيت تمكين اقامة
الشى يقال ثبته بتسكينه وثبته بتمكينه وتثبيته بالدلالة على بنوته وثبته بالخبر عن وجوده والفواد القلب ماخوذ من المعتاد وهو
المستوى قال كانه خارجا من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتاد والمكانة الطريقة التى تمكن من العمل عليها وله مكانة
عند السلطان اى جاه وقدر والانتظار طلب الادراك لما ياتى من الامر لانه من النظر والفرق بين الانتظار والترجى ان الترجى
للخير خاصة والانتظار فى الخير والشر الاعراب الا من رحم ربك قال الزجاج هو استثناء على معنى لكن وتقديره ولكن من رحم ربك
فانه غير مختلف وقوله لاملان جواب القسم وتقديره يمينا لاملان كما حلفى لاضربنك وبدا لى لاضربنك وكان فعل تاويله بلغنى
او قيل لى او انتهى الى فان اللام وان يصلحان فيه فتقول بدا لى لاضربنك وبدا لى ان اضربك ولو قيل وتمت كلمة ربك ان يملا جهنم
كان صوابا وكلا نقص عليك نصب على المصدر وتقديره وكل القصص نقص عليك وقيل انه نصب على الحال فقدم الحال قبل
العامل كما تقول كلا ضربت القوم ويجوز ان يكون نصبا على انه مفعول به وتقديره وكل الذى تحتاج اليه نقص عليك
ويكون ما نثبت به فوادك بدلا منه قال الزجاج وقوله انا عاملون انا منتظرون ولو دخلت الفاء فقال فانا لافادت الثانى لاجل
الاول وحيث لم يدخل لم يفد ذلك المعنى ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة اى على
ملة واحدة ودين واحد فيكونوا مسلمين صالحين عن قتادة وذلك بان يلجئهم الى الاسلام بان يخلق فى قلوبهم العلم بانهم لو راموا
غير ذلك لمنعوا منه لكن ذلك ينافى التكليف ويبطل الغرض بالتكليف لان الغرض به استحقاق الثواب فلذلك لم يشاء الله ذلك
ولكنه شاء ان يومنوا باختيارهم ويستحقوا الثواب وقيل معناه لو شاء ربك لجعلهم امة واحدة فى الجنة على سبيل التفضل
لكنه اختار لهم اعلى الدرجتين فكلفهم ليستحقوا الثواب عن ابى مسلم وقيل معناه لو شاء لرفع الخلاف فيما بينهم ولا يزالون مختلفين فى
الاديان بين يهودى ونصرانى ومجوسى وغير ذلك عن مجاهد وقتادة وعطاء والاعمش والحسن فى احدى الروايتين عنه وفى
الرواية الاخرى عنه انهم مختلفين فى الارزاق والاحوال وتسخير بعضهم لبعض وقيل معناه يخلف بعضهم بعضا فى الكفر تقليدا من
غير نظر فان فى قولك خلف بعضهم بعضا وقولك اختلفوا سواء كما ان قولك قتل بعضهم بعضا وقولك اقتتلوا سواء عن
ابى مسلم الا من رحم ربك من المومنين فانهم لا يختلفون ويجتمعون على الحق عن ابن عباس والمعنى ولا يزالون مختلفين بالباطل
الا من رحم ربك من المومنين فانهم لا يختلفوا ويجتمعون على الحق عن ابن عباس والمعنى رحمهم الله بفعل اللطف لهم الذى
يومنون عنده ويستحقون به الثواب فان من هذه صورته ناج من الاختلاف بالباطل ولذلك خلقهم اختلف فى معناه فقيل

والرحمة

وللرحمة خلقهم عن ابن عباس ومجاهد وقتاده والضحاك وهذا هو الصحيح واعترض على ذلك بان قيل لو اراد الله ذلك لقال ولتلك
خلقهم لان الرحمة مؤنثة وهذا باطل لان تانيث الرحمة غير حقيقي واذا ذكر فعلى معنى الفضل والانعام وقد قال سبحانه هذا رحمة من
ربي وان رحمة الله قريب ومثله قول امرء القيس برهرهة رودة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى القضيب
وقال قامت تبكيه على قبره من لي بعدك يا عامر تركتني في الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصر ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصا ذا غربة
وقالت الخنسا فذلك يا هند الرزية فاعلمي ونيران حرب حين شب وقودها ارادت الرزء وفي امثال ذلك كثرة على ان قوله الا من رحم
ربك كما يدل على الرحمة يدل ايضا على ان يرحم فلا يمتنع ان يكون المراد ولان يرحوا خلقهم وقيل ان المعنى للاختلاف خلقهم واللام
لام العاقبة يريد ان الله خلقهم واللام لام العاقبة يريد ان الله خلقهم وعلم ان عاقبتهم تؤول الى الاختلاف المذموم كما قال ولقد ذرانا
لجهنم عن الحسن وعطاء ومالك ولا يجوز على هذا ان يكون اللام للغرض لانه تعالى لا يجوز ان يريد منهم الاختلاف المذموم اذ لو اراد ذلك
منهم لكانوا مطيعين له في ذلك الاختلاف لان الطاعة حقيقتها موافقة الارادة والامر ولو كانوا كذلك لما استحقوا عقابا واما اذا حمل
معنى الاختلاف على ما قاله ابو مسلم فيجوز ان يكون اللام للغرض وقيل ان ذلك اشارة الى اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه امة واحدة
ولا محالة ان الله سبحانه لهذا خلقهم ويؤيد هذا القول قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال المرتضى قدس الله روحه
قد قال قوم ان معنى الاية ولو شاء ربك ان يدخل الناس باجمعهم الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة لفعل واجروا هذه
الاية مجرى قوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها في انه اراد هداها الى طريق الجنة فعلى هذا التاويل يمكن ان يكون لفظة ذلك اشارة الى
ادخالهم اجمعين الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها وتمت كلمة ربك اي وصل وعده ووعيده الذي لا خلف فيه
بتمامه الى عباده وقيل تمت كلمة ربك صدقا بان وقع مخبرها على ما اخبر به عن الجبائي وقيل معناه وجب قول ربك عن ابن عباس وقيل
مضى حكم ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين بكفرهم وكلا اي وكل القصص نقص عليك من انباء الرسل اي من اخبارهم ما
نثبت به فؤادك اي ما يقوى به قلبك وتطيب به نفسك ونزيدك به ثباتا على ما انت عليه من الانذار والصبر على اذى قومك الكفار
وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل في هذه الدنيا عن قتاده وقيل في هذه الانباء عن الجبائي
والحق الصدق من الانباء والوعد والوعيد وقابل معناه وجاءك في ذكر هذه الايات التي ذكرت قبل هذه المواضع الحق في ان الخلق
يجازون بافعالهم في قوله وانا لموفوهم نصيبهم وان كلا لما ليوفينهم وقد جاء في القران كله الحق ولكنه ذكر هاهنا توكيدا وليس اذا قيل
قد جاءك في هذه الحق وجب ان يكون ما رايته الحق الاينه ولكن بعض الحق اوكد من بعض عن الزجاج وموعظة اي تعظ الجاهلين
بالله وتزجر الناس عن المعاصي وذكرى للمؤمنين تذكرهم الاخرة وقل يا محمد للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم هذا مثل قوله اعملوا ما
شئتم انا عاملون على ما امرنا الله تعالى به وقد مر تفسير هذه الاية فيما مضى وانتظروا اي توقعوا ما يعدكم ربكم على الكفر من العقاب
انا منتظرون ما يعدنا على الايمان من الثواب وقيل انتظروا ما يعدكم الشيطان من الغرور انا منتظرون ما يعدنا ربنا من النصر والعلو عن
ابن جريج ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه شيء منها عن الضحاك وقيل معناه والله مالك ما غاب في السموات والارض
وقيل معناه ولله خزاين السموات والارض عن ابن عباس وقد وجدت بعض المشايخ ممن يتسم بالعدل والتشيع قد ظلم الشيعة
الامامية في هذا الموضع من تفسيره فقال هذا يدل على ان الله سبحانه مختص بعلم الغيب خلافا لما تقول الرافضة ان الايمة يعلمون
الغيب ولا شك انه عنى بذلك من يقول بامامة الاثني عشر ويدين بانهم افضل الانام بعد النبي صـ فان هذا دابه وديدنه فيهم يشنع
في مواضع كثيرة من كتابه عليهم وينسب القبايح والفضايح اليهم ولا نعلم ان احدا منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لاحد من الخلق
فانما يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا بعلم مستفاد وهذه صفة القديم سبحانه العالم لذاته لا يشركه فيه احد من المخلوقين
ومن اعتقد ان غير الله سبحانه يشركه في هذه الصفة فهو خارج عن ملة الاسلام فاما ما نقل عن امير المؤمنين ع ورواه عنه الخاص والعام
من الاخبار بالغايبات في خطب الملاحم وغيرها مثل قوله يومي الى صاحب الزنج كاني به يا احنف وقد سار بالجيش الذي لا يكون له
غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا صهيل خيل يثيرون الارض باقدامهم كانها اقدام النعام وقوله يشير الى مروان بن الحكم اما ان له

سورة يوسف عليه السلام

امرأة كلعقه الكلب انفه وهو ابو الاكبش الاربعة وستلق الامة منه ومن ولده موتا احمر ومانقل من هذا الفن عن ايمة الهدى ع مثل
ما قاله ابو عبد الله عليه السلم لعبد الله بن الحسن وقد اجمع هو وجماعة من العلوية والعباسية ليبايعوا ابنه محمدا والله ما هي اليك
ولا الى ابنيك ولكنها لهم واشار الى العباسية وان ابنيك لمقتولان ثم نهض وتوكا على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال له ارايت
صاحب الرداء الاصفر يعني ابا جعفر المنصور قال نعم فقال انا والله نجده يقتله وكان كما قال ومثل قول الرضاع بورك قبر بطوس
وقبر ببغداد فقيل له قد عرفنا واحدا فمن الاخر فقال ستعرفونه ثم قال قبري وقبر هرون هكذا وضم اصبعيه وقوله في القصة المشهورة
لابي حبيب النباجي وقد ناوله قبضة من التمر لو زادك رسول الله صلى الله عليه وآله لزدناك وقوله في حديث علي بن احمد الوشاء حين
قدم مرو من الكوفة معك حلة في السفط الفلاني دفعتها اليك ابنتك وقالت لك اشتر لي بثمنها فيروزجا والحديث مشهور الى غير ذلك
مما روي عنهم عليهم السلم فان جميع ذلك متلقى عن النبي صلى الله عليه وآله مما اطلعه الله تعالى عليه فلا معنى لنسبة من يروي عنهم هذه الاخبار
المشهورة الى انه يعتقد كونهم عالمين الغيب وهل هذا الا سب قبيح وتضليل لهم بل تكفير ولا يرتضيه من هو بالمذاهب خبير والله يحكم
بينه وبينهم واليه المصير واليه يرجع الامر كله اي الحكمة يرجع في المعاد كل الامور لان في الدنيا قد يملك غيره بعض الامر والنهي
والنفع والضر فاعبده وتوكل عليه يريد ان الذي له ملك السموات والارض وملك جميع الامور فحقيق ان يعبد ويتذلل له ويتوكل
عليه ويوثق به وما ربك بغافل اي بساه عما يعملون اي من اعمال عباده بل هو عالم بها ومجاز كل منهم عليها بما يستحقه من ثواب او عقاب فلا
يحزنك يا محمد اعراضهم عنك وتركهم القبول منك وروي عن كعب الاحبار انه قال خاتمة التورية خاتمة هود **سورة يوسف عليه السلم**
مكية وقال المعدل عن ابن عباس غير اربع آيات نزلن بالمدينة ثلث من اولها والرابعة لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين **عدد آيها**
مائة واحدى عشرة آية بالاجماع **فضلها** ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه اي مسلم تلاها وعلمها اهله
وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه الدرجة وروى ابو بصير عن ابي عبد الله قال من قرأ سورة يوسف في كل يوم وفي
كل ليلة بعثه الله يوم القيمة وجماله مثل جمال يوسف ع ولا يصيبه فزع يوم القيمة وكان من عباد الله الصالحين وقال انها كانت
في التورية مكتوبة وروى اسمعيل بن ابي زياد عن ابي عبد الله ع عن ابيه عن آبائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تنزلوا
نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة ولا تعلموهن سورة يوسف وعلموهن المغزل وسورة النور **تفسيرها** لما ختم الله سبحانه سورة
هود بذكر قصص انباء الرسل افتتح هذه السورة بان من تلك القصص قصة يوسف واخوته وانها من احسن القصص
قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم **الر تلك آيات الكتاب المبين • انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون •**
نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين • ثلث آيات **الاعراب** قرآنا عربيا
فيه وجهان احدهما ان قرآنا انتصب بانه بدل من الهاء في انزلناه فكانه قال انا انزلنا قرآنا والثاني انه توطية للحال لان عربيا حال
وهذا كما يقال مررت بزيد رجلا صالحا فينتصب صالحا على الحال وجعل الا رجلا توطية للحال وقوله بما اوحينا اليك هذا القرآن نصب
لانه وصف لمعمول اوحينا وهو هذا او بدل او عطف بيان قال الزجاج ويجوز الجر والرفع جميعا في الكلام وان لم يقرأ بهما اما الجر
فعلى البدل مما اوحينا اليك اي بهذا القرآن واما الرفع فعلى ترجمة ما اوحينا اليك كان قائلا قال وما هو فقيل هذا القرآن **المعنى**
الر قد سبق الكلام فيه في اول البقرة وانما لم يعد آية لانه على حرفين ولا يشاكل رؤس الآي ومنعطه آية لانه يشبه رؤس الآي تلك آيات
الكتاب قيل في معنى الاشارة بتلك وجوه احدها انه اشارة الى ما ياتي من ذكرها على وجه التوقع لها والثاني انه اشارة الى السورة
اي سورة يوسف آيات الكتاب المبين والثالث ان هذه الآيات تلك الآيات التي وعدتم بها في التورية كما قال الم ذلك الكتاب
عن الزجاج والمبين المظهر لحلال الله وحرامه والمعاني المرادة فيه عن مجاهد وقتادة و~~المبين~~ المبين والمبين واحد والبيان هو الدلالة انا انزلناه يعني
القرآن اي انزلنا هذا الكتاب وقيل انزلنا خبر يوسف وقصته عن الزجاج قال لان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل
آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فقال انا انزلناه قرآنا عربيا على مجارى كلام العرب في معاورتهم وروي عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال احبوا العرب لثلث لاني عربي والقرآن عربي وكلام اهل الجنة عربي لعلكم تعقلون اي لتعلموا جميع •

معانيه وتفهموا ما فيه وقيل معناه لتعلموا انه من عند الله اذ كان عربيا وعجزتم عن الاتيان بمثله وفي هذه الاية دلالة على ان كلام
الله سبحانه محدث وانه غير الله لانه وصفه بالانزال وبانه عربي ولا يوصف بذلك القديم سبحانه نحن نقص عليك احسن القصص اي
نبين لك احسن البيان عن الزجاج وهذا كقولهم صمت احسن الصيام وقمت احسن القيام مما يكون انتصابه على انه قايم مقام
المصدر فالمعنى نبين لك احسن تبيين واحسن ايضاح بما اوحينا اليك اي بوحينا اليك هذا القرآن ودخلت الباء لتبيين القصص
اذ القصص يكون قرآنا وغير قرآن والقصص ههنا بوحي القرآن وقيل انما سمى القرآن احسن القصص لانه بلغ النهاية في الفصاحة
وحسن المعاني وعذوبة الالفاظ مع التلاؤم للتنافر والتشاكل بين المقاطع والفواصل وقيل لانه ذكر فيه اخبار الامم الماضية واخبار
الكاينات الاتيه وجميع ما يحتاج اليه العباد الى يوم القيمة باعذب لفظ وتهذيب في احسن نظم وترتيب وقيل اراد باحسن
القصص قصة يوسف وحدها لانها تتضمن من الفوايد والنكت والغرايب ما لا يتضمنه غيرها ولانها تمتد امتدادا لا يمتد غيرها
مثلها وقوله احسن القصص يدل على ان الحسن يتفاضل ويتعاظم لان لفظ افضل حقيقتها ذلك وانما تتعاظم بكثرة استحقاق
المدح عليه ويسال على هذا فيقال هل يجوز ان يسمى الله سبحانه قاصا فيقال لا لانه في العرف انما يستعمل فيمن يتمسك بطريقة مخصوصة
وهذا كما انه سبحانه لا يسمى معلما ولا مفتيا وان وصف نفسه بانه علم القرآن اي من قبل نزول القرآن وبانه يفتيكم في النساء وقوله
وان كنت من قبله لمن الغافلين معناه وما كنت من قبل ان اوحينا اليك هذا القرآن اي من قبل نزول القرآن عليك الا من
الغافلين عن الحكمة التي في القرآن لا تعلم شيئا منها وقيل من الغافلين عن قصة يوسف وعن الحكم التي فيها وبالله التوفيق
قوله تعالى اِذْ قَالَ يُوسُفُ لِاَبِيهِ يَا اَبَتِ اِنِّي رَاَيْتُ اَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَاَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ
رُؤْيَاكَ عَلَى اِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا اِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْاِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ
مِنْ تَاْوِيلِ الْاَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا اَتَمَّهَا عَلَى اَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ اِبْرَاهِيمَ وَاِسْحَاقَ اِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *
ثلث آيات القراءة قرا ابو جعفر وابن عامر يا ابت بفتح التاء والباقون بكسرها وابن كثير يقف على الهاء يا ابه والباقون بالتاء وروي
في الشواذ عن ابي جعفر ونافع وطلحة بن سليمان احد عشر بسكون العين والقراءة بفتحها وقرا الكسائي الا ابا الحرث وقتيبة بامالة
رؤياك والرؤيا في جميع القرآن وروى ابو الحرث فتح رؤياك وامالة الباقي وقتيبة امال للرؤيا تعبرون فقط وقرا خلف في اختياره
بامالة ما فيه الف ولام والباقون بالتفخيم وخفف الهمزة في جميع ذلك ابو جعفر وورش وابو شجاع واليزيدي الا ان ابا جعفر
يدغم الواو في الياء فيجعلها ياء مشددة الحجة قال الزجاج من قرا يا ابت بكسر التاء فعلى الاضافة الى نفسه وحذف الياء لان
ياء الاضافة تدخل في النداء خاصة واما ادخال تاء التانيث في الاب فانما دخلت في النداء خاصة والمذكر قد يسمى باسم فيه علامة
التانيث ويوصف بما فيه تاء التانيث فالاسم نحو نفس وعين والصفة نحو غلام نفعه ورجل ربعه فلزمت التاء في الاب عوضا
عن ياء الاضافة والوقف عليها يا ابه بالهاء وان كانت في المصحف بالتاء وزعم الفراء انك اذا كسرت وقفت بالتاء لا غير واذا فتحت
وقفت بالتاء والهاء ولا فرق بين الفتح والكسر واما يا ابت بالفتح فعلى انه ابدل من ياء الاضافة الفا ثم حذف الالف كما حذف ياء
الاضافة وبقيت الفتحة قال ابو علي من فتح فله وجهان احدهما ان يكون مثل يا طلحة اقبل ووجهه قول من قال يا طلحة ان هذا الحرف
من الاسماء التي فيها التانيث اكثر ما تدعى مرخما فلما كان كذلك رد التاء المحذوفة في الترخيم اليه وترك الاخر يجري على ما كان
يجري عليه في الترخيم من الفتح فلم يعتد بالهاء والحقها والوجه الاخر ان يكون اراد يا ابتا فحذف الالف كما يحذف الياء فتبقى الفتحة
دالة على الالف كما ان الكسرة تبقى دالة على الياء والدليل على قوة هذا الوجه كثرة ما جاءت هذه الكلمة على هذا الوجه كقول الشاعر
وهل جزعا ان قلت وا بابا ناهما وقول الاعشى ويا ابتا لا ترك عندنا فانا نخاف بان تخترم وقول رؤبة يا ابتا علك او عساكا فلما
كثرت هذه الكلمة في كلامهم الزموها القلب والحذف على ان ابا عثمن قد راى ذلك مطردا في جميع هذا الباب واما وقف ابن كثير
على الهاء فلان التاء التي للتانيث يبدل عنها الهاء في الوقف فتغير الحرف بذلك في الحرف كما غير التنوين اذا انفتح ما قبله بان ابدل منه
الالف ومن قرا احد عشر بسكون العين قال ابن جني سبب ذلك عندي ان الاسمين لما جعلا كالاسم الواحد وبني الاول منهما لانه كصدر

الاسم من عجزه جعل تسكين اول الثاني دليلا على انهما قد صارا كالاسم الواحد وكذلك بقية العدد الى تسعة عشر الا اثنا عشر فانه
يسكن العين بسكون الالف والياء قبلها قال الزجاج الرؤيا فيها اربع لغات رؤياء بالهمزة ورويا بالواو من غير همزة ورِيّا على
الادغام ورِيّا بكسر الراء قال ابو علي الرؤيا مصدر كالبشرى والسقيا والبقيا والشورى الا انه لما صار اسما لهذا المتخيل في المنام جرى
مجرى الاسماء وخرج من حكم الاعمال فلا يعمل واحدا منها اعمال المصادر ومما يقوى خروجه من احكام المصادر تكسيرهم لها رؤى
فصار بمنزلة ظلم والمصادر في الاكثر لا تكسر والرؤيا على تحقيق الهمزة فان حققت قلبتها في اللفظ واوا ولم تدغم الواو في الياء وان
كانت قد تقدمتها ساكنة كما تقلب في نحو طي ولي لان الواو في تقدير الهمزة فهي كذلك غير لازمة فلا يقع الاعتداد بها وقد كسر اولها قوم
فقالوا ريا فهؤلاء قلبوا الواو قلبا على وجه التخفيف ومن ثم كسروا الفا كما كسروا من قولهم قرن الوى وقرون لي اللغة الرؤيا تصور المعنى
في المنام على توهم الابصار وذلك ان العقل مغمور بالنوم فاذا تصور الانسان المعنى توهم انه يراه والكيد طلب الحيلة واللام في فيكيدوا
لك لام التعدية كما تقول قدمت لك طعاما وقدمت اليك طعاما وشكرت لك وشكرتك يقال كاده يكيده كيدا ومكادة والاجتباء
اختيار معالي الامور للمجتبى واصله من جبيت الماء في الحوض الاعراب تقدير العامل في اذ يجوز ان يكون اذكر كانه قال اذكر اذ قال
يوسف قال الزجاج ويجوز ان يكون على نقص عليك اذ قال وقد غلط في هذا لان الله تعالى لم يقص على نبيه صم هذا القصص في وقت
قول يوسف وكوكبا منصوب على التميز وقوله رايتهم كرر الرؤية توكيدا ولان الكلام قد طال والمعنى رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر
رايتهم لي ساجدين ولم يقل ساجدات لانه لما وصف هذه الاشياء بالسجود كما يوصف الادميون بذلك اجرى فعلها مجرى فعل العقلاء
كما قال يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وموضع الكاف من قوله وكذلك نصب والمعنى مثل ما رايت يجتبيك ربك ويعلمك المعنى
لما ابتدا سبحانه بقصة يوسف ع فقال اذ قال يوسف لابيه يعقوب ع وهو اسرائيل الله ومعناه عبده الخالص ابن اسحق نبي الله بن
ابرهيم خليل الله وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله قال الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين اي رايت في منامي قال ابن عباس ان يوسف ع راى في المنام ليلة
الجمعة ليلة القدر احد عشر كوكبا نزلن من السماء فسجدن له وراى الشمس والقمر نزلا من السماء فسجدا له قال فالشمس والقمر ابواه
والكواكب اخوته الاحد عشر وقال السدي الشمس ابوه والقمر خالته وذلك لان امه راحيل كانت قد ماتت وقال ابن عباس الشمس امه
والقمر ابوه وقال وهب كان يوسف راي وهو ابن سبع سنين ان احد عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا
عصا صغيرة تثبت عليها حتى اقتلعها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال له اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن اثني عشر
سنه ان احدى عشر كوكبا والشمس والقمر سجدن له فقصها على ابيه فقال له لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية وقيل انه كان
بين رؤياه وبين مصير ابيه واخوته الى مصر اربعين سنه عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل ثمانون سنه عن الحسن ولما طال
الكلام كرر رايتهم واعادة للتاكيد وقيل اراد بالرؤية الاولى رؤية الاعيان والاشخاص وبالرؤية الثانيه رؤية سجودهم واختلف
في معنى هذا السجود فقيل انه السجود المعروف على الحقيقة لتكرمته لا لعبادته وقيل معناه الخضوع له عن الجبائي كما قال الشاعر
ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وهذا ترك الظاهر ويقال ان اخوته لما بلغهم رؤياه قالوا ما يرضى ان تسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه
قال يعقوب يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك اي لا تخبرهم بذلك فيكيدوا لك كيدا اي فيحسدوك ويقابلوك بما فيه هلاكك
وذلك ان رؤيا الانبياء وحي وعلم يعقوب ان اخوة يوسف يعرفون تاويلها ويخافون علو يوسف عليهم فيحسدونه ويبغون الغوائل
ان الشيطان للانسان عدو مبين اي ظاهر العداوة ويحملهم على انزال المكروه بك وكذلك اي كما اراك هذه الرؤيا تكرمة لك و
بين ان اخوتك يخضعون لك او يسجدون لك يجتبيك ربك اي يصطفيك ربك ويختارك للنبوة عن الحسن وقيل لحسن الخلق
والخلق ويعلمك من تاويل الاحاديث قيل معناه ويعلمك من تاويل الرؤيا لان فيه احاديث الناس عن رؤياهم وسماه تاويلا لانه يؤل
امره الى ما راى في المنام عن قتادة وقال ابن زيد كان اعبر الناس للرؤيا وقيل معناه ويعلمك عواقب الامور بالنبوة والوحي اليك
فتعلم الاشياء قبل كونها معجزا لك لانه اضاف التعليم الى الله وذلك لا يكون الا بالوحي عن ابي مسلم وقيل تاويل احاديث الانبياء

والامم يعني كتب الله ودلايله على توحيده والمشروع من شرايعه وامور دينه عن الحسن والجبائي والتاويل في الاصل المنتهى الذي
يؤل اليه المعنى وتاويل الحديث فقهه الذي هو حكمه لانه اظهار ما يؤل اليه امره مما يعتمد عليه وفايدته ويتم نعمته عليك بالنبوة لانها
منتهى نعيم الدنيا وقيل اتمام النعمة هو ان يحكم بدوامها على تخليصها من شايب بها فهذه النعمة التامه لخلوصها مما ينقصها ولا يطلب ذلك
الا من الله تعالى لانه لا يقدر عليه سواه وقيل معناه ويتم نعمته بان يخرج اخوتك اليك حتى تنعم عليهم بعد اساءتهم اليك وعلى آل يعقوب
اى وعلى اخوتك بان يثبتهم على الاسلام ويشرفهم بمكانك ويجعلهم انبياء البنوة وقيل يتم نعمته عليهم بانقاذهم من المحن على يديك كما اتمها
على ابويك من قبل ابرهيم واسحق اى كما اتم النعمة على ابرهيم بالخلة والنبوة والنجاة من النار وعلى اسحق بان فداه من الذبح بذبح عظيم
عن عكرمة وقال انه الذبيح وقيل باخراج يعقوب واولاده من صلبه عن اكثر المفسرين قالوا وليس هو الذبيح وانما الذبيح اسماعيل
ان ربك عليم بمن يصلح للرسالة حكيم في اختيار الرسل وقيل عليم باحوال خلقه حكيم في قضاياه قوله تعالى لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ
آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ • إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ • اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ
أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ • قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ
الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ • اربع آيات القراءة قرا ابن كثير ايه للسايلين والباقون آيات وقرا اهل
المدينه غيابات الجب والباقون غيابة وفي الشواذ قراءة الاعمش غيابات مشددة وقراءة الحسن غيبه وقرا اهل المدينة والكسائي
مبين اقتلوا بضم التنوين والباقون بالكسر الحجة قال ابو علي من قرا ايه على الافراد جعل شانه كله ايه ويقويه قوله وجعلنا ابن
مريم وامه ايه وكل واحد منهما على انفراده يجوز ان يقال فيه ايه فافرد مع ذلك ومن جمع جعل كل حال من احواله ايه على ان المفرد
المنكر في الايجاب يقع دالا على الكثرة كما يقع كذلك في غير الايجاب قال الشاعر فقتلا بتقتيل وضربا بضربكم جزاء العطاس لا ينام
من الثار واما الغيابه فكل شيء غيب شيئا عن ابي عبيده وانشد فان انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل
والجب الركية التي لم تطو انس اورد فالوجه فيه ان الجب لا يخلو من ان يكون له غيابه واحدة او غيابات وغيابة المفرد يجوز ان
يعني به الجمع كما يعني به الواحد ومن جمع فانه يجوز ان يكون له غيابة واحده فجعل كل جزء منها غيابه كقولهم شابت مفارقه وبرد
وغيابتين ويجوز ان يكون للبير عدة غيابات فجمع ذلك واما غيابه بالتشديد فيكون اسما جاء على فعاله كما جاء الفيار للموج والفيام
لليوم المذكر والفخار للخزف وغير ذلك واما غيبه فيجوز ان يكون حذفا على فعله من غاب فيكون بمعنى الظلمة ويجوز ان يكون
مصدرا على فعله واما من ضم التنوين فلانه التقى ساكنان التنوين والقاف في اقتلوا ولزم تحريك الاول منهما فحركت بالضم لتتبع
الضمة الضمة كما قيل مردد ومن كسر التنوين فانه لم يتبع الضم كما ان من قال مد لم يتبع وكسر الساكن على ما يجري عليه امر تحريك
الساكن في الامر الشايع اللغة الاية والعلامة والعبرة نظاير والعصبه الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض ويقع على جماعة من عشرة
الى خمسة عشر وقيل ما بين العشرة الى الاربعين ولا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والفرق بين المحبة والشهوة ان الانسان
يحب ولده ولا يشتهيه بان يميل طبعه اليه ويرق عليه ويريد له الخير والشهوة منازعة النفس الى ما فيه اللذة وانما سمي البير جبا لانه
قطع عنها ترابها حتى بلغ الماء من غير طي ومنه المجبوب قال الاعشى لان كنت في جب ثمانين قامه ورقيت اسباب السماء بسلم
وكل ما غيب شيئا عن الحس يكون فيه فهو غيابه فغيابة البير شبه كهف او طاق فوق ماء البير والسيارة الجماعة المسافرون لانهم
يسيرون في البلاد وقيل مارة الطريق والالتقاط تناول الشيء من الطريق ومنه اللقطة واللقيط ومعناه ان تجده من غير ان تحسبه
يقال وردت الماء التقاطا اذا وردته من غير ان تحسبه الاعراب العامل في قوله اذ قالوا اذكر وتقديره اذكر وتقديره اذ قالوا
ليوسف ويحتمل ان يكون العامل فيه ما في الاية التي قبله من قوله لقد كان في يوسف واخوته آيات اذ قالوا واللام في قوله ليوسف
جواب القسم تقديره والله ليوسف واخوه احب الى ابينا منا يخل لكم جواب الامر ويكونوا جزم لانه معطوف عليه وتدعى عن الحس
بعض السيارة بالتاء وهذا كما يقال ذهب بعض اصابعه وقال الشاعر طول الليالي اسرعت في نقضي طوين طولي وطوين عرضي
فقال اسرعت وطوين لتانيث الليالي ولم يحمله على طول وهو مذكر المعنى ثم اخبر سبحانه في ذكر قصة يوسف ع فقال لقد

عشر

كان فى يوسف واخوته ايات للسايلين ومعناه لقد كان فى حديث يوسف واخوته عبر للسايلين عنهم واعاجيب فمنها انهم
نالوه بالاذى ودبروا فى قتله واجتمعوا على القائه فى البير مع انهم اولاد الانبياء وصفح عليه السلم عنهم لما مكنه الله منهم واحسن
اليهم ولم يعيرهم بما كان منهم وهذا خارج عن العادة وفيه عبرة لمن اعتبر فى منافع الدين ومنها الفرج بعد الشدة والمحنة
بعد المحنة ومنها الدلالة على صحة نبوة نبينا ص لانه عم لم يقرا كتابا فعلم انه لم يات بذلك الا من جهة الوحى فهو بصيرة للذين
سالوه ان يخبرهم بذلك ومعجزة دالة على صدقه واخوته اولاد يعقوب عم وكان ليعقوب اثنا عشر ولدا لصلبه وكانوا اولاد
علة وقيل اسماؤهم روبيل وهو اكبرهم وشمعون ولاوى ويهودا وزيالون ويشجر وامهم ليا بنت ليان وهى ابنة خالة يعقوب
ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب عم اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل ابن يامين وولد له من سريتين له اسم
احديهما زلفه والاخرى بلهه اربعة بنين دان ونفتالى وجادة واشر فكانوا اثنى عشر ثم اخبر سبحانه عما قال اخوة يوسف
لما سمعوا منام يوسف وتاويل يعقوب عم فقال اذ قالوا اى قال بعضهم لبعض يوسف واخوه لابيه وامه بنيامين احب الى
ابينا منا وذلك ان يعقوب عم كان شديد الحب ليوسف وكان يوسف عم من احسن الناس وجها وكان يعقوب يؤثره
على اولاده فحسدوه ثم راى الرؤيا فصار حسدهم له اشد وقيل انه عليه السلم كان يرحمه واخاه ويقربهما لصغرهما
فاستثقلوا ذلك وروى ابو حمزة الثمالى عن زين العابدين عم ان يعقوب عم كان يذبح كل يوم كبشا فيتصدق منه وياكل
هو وعياله منه وان سايلا مومنا صواما اعتر بباب يعقوب عشية جمعة عند اوان افطاره وكان مجتازا غريبا فهتف على
بابه واستطعمهم وهم يسمعونه ولم يصدقوا قوله فلما يئس ان يطعموه وغشيه الليل استرجع واستعبر وبكى وشكى جوعه الى الله
وبات طاويا واصبح صايما صابرا حامدا لله واصبح يعقوب وآل يعقوب بطانا واصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم فابتلاه
الله سبحانه بيوسف واوحى اليه ان استعد لبلاى وارض بقضاى واصبر للمصايب فراى يوسف عليه السلم الرؤيا فى تلك
الليلة والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة وروى ذلك عن ابن عباس او قريب منه ونحن عصبة معناه نحن جماعة
يتعصب بعضنا لبعض ويعين بعضنا بعضا اى نحن انفع لابينا وقيل يعنى عصبة لا يعجزنا الاحتيال عليه ان ابانا لفى
ضلال مبين اى فى ذهاب عن طريق الصواب الذى هو التعديل منا فى المحبة وقيل معناه انه فى خطاء من الراى فى امور الاولاد
والتدبير الدنيوى اذ نحن اقوم بامور مواشيه واموله وساير اعماله ولم يريدوا به الضلال عن الدين لانهم لو ارادوا ذلك
لكانوا كفارا وذلك خلاف الاجماع ولانهم بالاتفاق كانوا على دينه وكانوا يعظمونه غاية التعظيم ولذلك طلبوا محبته واصل
الضلال العدول وكل من عدل عن شئ وذهب عنه فقد ضل واكثر المفسرين على ان اخوة يوسف عم كانوا انبياء وقال بعضهم
لم يكونوا انبياء لان الانبياء لا يقع منهم القبايح وقال المرتضى قدس الله روحه لم يقم لنا الحجة بان اخوة يوسف الذين
فعلوا ما فعلوه كانوا انبياء ولا يمتنع ان يكون الاسباط الذين كانوا انبياء غير هؤلاء الاخوة الذين فعلوا بيوسف ما قصه الله
عنهم وليس فى ظاهر الكتاب ان جميع اخوة يوسف وساير الاسباط فعلوا بيوسف ما حكاه الله من الكيد وقيل يجوز ان يكون
هؤلاء الاخوة فى تلك الحال لم يكونوا بلغوا الحلم ولا توجه اليهم التكليف وقد يقع ممن قارب البلوغ من الغلمان مثل هذه الافعال
ويعاتب على ذلك ويلام ويضرب وهذا الوجه قول البلخى والجبائى ويدل عليه قوله نرتع ونلعب وروى ابو جعفر بن
بابويه فى كتاب النبوة باسناده عن محمد بن اسمعيل بن بزيع عن حنان بن سدير قال قلت لابى جعفر عم كان اولاد يعقوب عم
انبياء فقال لا ولكنهم كانوا اسباطا اولاد انبياء ولم يفارقوا الدنيا الا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا قال الحسن كانوا رجالا
بالغين ووقعت تلك منهم صغيرة ثم اخبر سبحانه عنهم انهم قال بعضهم لبعض اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا اى اطرحوه فى
ارض بعيدة عن ابيه فلا يهتدى اليه وقيل معناه فى ارض تاكله السباع او يهلك بغير ذلك يخل لكم وجه ابيكم عن يوسف
ويخلص لكم محبته والمعنى انكم متى قتلتموه او طرحتموه فى ارض اخرى خلا لكم ابيه وحن عليكم وتكونوا من بعده قوما صالحين
اى وتكونوا من بعد قتل يوسف او عدمه قوما تايبين والمعنى انكم اذا فعلتم ذلك وبلغتم اغراضكم تبتم مما فعلتموه وكنتم من جملة

الصالحين الذين يعملون الصالحات وهذا يدل على انهم رأوا ذلك ذنبا تجب التوبة منه عن جماعة من المفسرين وقيل معناه وتكونوا
قوما صالحين في امر دنياكم اى يعود حالكم مع ابيكم الى الصلاح عن الحسن ومتى يسال ههنا على قول من جعلهم غير بالغين فيقال
اليس يدل هذا القول منهم على بلوغهم لعلمهم بالوعيد فالجواب ان المراهق قد يجوز ان يعلم ذلك خاصة اذا كان مربى في حجر الانبياء
ومن اولادهم واختلف فيمن قال ذلك من اخوته فقال وهب قاله شمعون وقال مقاتل قاله روبيل ثم اخبر سبحانه عن واحد
من القوم بقوله قال قايل منهم اى من اخوة يوسف لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة اى القوه في قعر
البير يتلقطه بعض مارة الطريق والمسافرين فيذهب به الى ناحية اخرى والقايل لذلك روبيل وهو ابن خالة يوسف عن قتادة وابن
اسحق وكان احسنهم رايا فيه فنهاهم عن قتله وقيل هو يهودا وكان اقدمهم في الراى والفضل والسن عن الاصم والزجاج وقيل هو لاوي
رواه علي بن ابرهيم في تفسيره واختلفوا في ذلك الجب فقيل هو بير بيت المقدس عن قتادة وقيل بارض الاردن عن وهب وقيل بير
بين مدين ومصر وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب ع عن مقاتل ان كنتم فاعلين معناه ان كنتم فاعلين شيئا مما تقولون في يوسف
فليكن هذا فعلكم فانه دون القتل الصريح وقال ابن عباس يريد ان اجمعتم ما تريدون وقيل للحسن ايحسد المؤمن فقال ما انساك
حديث بني يعقوب قوله تعالى قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون • ارسله معنا غدا
يرتع ويلعب وانا له لحافظون • آية القراءة قرا ابو جعفر والحلواني عن قالون لا تأمنا مشددة النون بلا اشمام وقرا الباقون
بالاشمام وهو الاشارة الى النون المدغمة بالضمة وهو اختيار ابو عبيد وقرا ابو جعفر ونافع يرتع ويلعب بالياء فيهما وكسر العين
من يرتع وقرا ابن كثير نرتع ونلعب بالنون فيهما وجزم العين وقرا روح وزيد عن يعقوب نرتع بالنون وجزم العين ويلعب
بالياء وقد روي ذلك عن ابي عمرو وهو قراءة الاعرج وابرهيم النخعي وفي الشواذ قراءة العلاء بن سيابه يرتع بالياء وكسر العين و
يلعب رفعا وقراءة ابي رجاء يرتع ويلعب حجة قال الزجاج يجوز في تأمنا اربعة اوجه اشمام النون الضم مع الادغام وهو
الذي حكاه ابن مجاهد عن الفراء للاشعار للضمة والادغام من غير اشمام لان الحرفين من جنس واحد وتأمننا بالاظهار ورفع
النون الاولى لان التنوين من وتيمنا بكسر التاء لان ماضيه على فعل كما قالوا تعلم ونعلم وقراءة يحيى بن وثاب وهذه
القراءة مخالفة للمصحف وان كانت في العربية جائزة واما قوله نرتع ونلعب فقد قال ابو علي من قرا نرتع بالنون وكسر العين
ويلعب بالياء حسن لانه جعل الارتعاء والقيام على المال لمن بلغ وجاوز الصغر واسند اللعب الى يوسف لصغره ولا لوم
على الصغير في اللعب والدليل على صغر يوسف قول اخوته انا له لحافظون ولو كان كبيرا لم يحتج الى حفظهم ويدل على ذلك ايضا
قول يعقوب ع واخاف ان ياكله الذيب وانما يخاف الذيب على من لا دفاع به من شيخ كبير او طفل صغير قال اصبحت لا احمل
السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا والذيب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا واما الارتعاء فهو افتعال
من رعيت مثل شويت واشتويت وكل واحد منهما متعد الى مفعول به قال الاعشى ترتعي السفح فالكثيب فذا قار فروض القطا فذات
الرمال وقال اخر رعى بارض البهمى جميما وبسرة وصمعاء حتى آنفته نصالها وقد يستقيم ان يقال نرتع وانما نرتع ابلهم فيها قال
ابو عبيدة ووجه ذلك انه كالاصل نرتع ابلنا ثم حذف المضاف واسند الفعل الى المتكلمين فصار نرتع وكذلك نرتعي على نرتعي
ابلنا ثم يحذف المضاف فيكون نرتع نلهو وقد تكون هذه الكلمة على معنى اللهو ولكن على معنى الميل الى الشيء كقولهم في المثل القيد
والرتعة وكان هذا على النيل والتناول مما يحتاج اليه الحيوان وقد قال الاعشى صدر النهار يراعي ثيرة رتعا وعلى هذا القول قالوا
ليت مرتع ابلك لمرادها الذي فيه فهذا لا يكون على اللهو لانه جمع ثور راتع او رتوع فاما من قرا نرتع ونلعب بالنون فيكون نرتع
ابلنا او على انا ننال مما نحتاج اليه وننال معنا فاما نلعب فحكي ان ابا عمرو قيل له كيف يقولون نلعب وهم انبياء فقال لم يكونوا يومئذ
انبياء فلو صحت هذه الحكاية عنه وصح عنده هذا التاريخ والا فقد قال الشاعر جدت جلاد بلاعب وتقشعت عمران قالب لبسه
حيران فكان اللاعب ههنا الذي لم يتشمر في اهله فدخله بعض الهوينا فهذا اسهل من الوجه الذي قوبل به الجد وقد روي عن النبي
انه قال لجابر فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك فهذا كانه بنشاء على عملح وتنفس وجمام من الجد وقد روي عن بعض السلف انه كان

انا اكثر النظر فى مسايل الفقه قال احمصوا فليس هذا اللعب كاللعب فى قوله ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب واما من قرا بالياء

فيهما فان كان يرتع من اللعب كما فسره ابو عبيدة فلا يمتنع ان يخبر عن يوسف عم لصغره كما لا يمنع ان ينسب اليه اللعب لذلك

وان كان يرتع من النيل من الشئ فكذلك لا يمتنع عليه ايضا فوجهها بين وهذا ابين من قول من قال ونلعب بالنون لانهم سالوا ارساله

ليتنفس بلعبه ولم يسالوا ارساله ليلعبوا هم واما من قرا نلعب بالرفع فانه جعله استينافا اى هو ممن يلعب كقولك ذرنى احسن اليك

اى انا ممن يحسن اليك واما من قرا يرتع فمعناه يرتع ابله فحذف المفعول كما قال الحطيه سنحة تصون اليك منها كصونك من رداء

شرعى اى تصون الحديث وقال الشنفرى كان لها فى الارض لبسا تقصه على امها وان كلمتك سلت اى تقطع حديثها خفرا وحياء

المعنى ثم بين سبحانه انهم عند اتفاق ارائهم فيما تواموا فيه من امر يوسف عم كيف سالوا اباهم فقال قالوا يا ابانا مالك لا تامنا

على يوسف اى مالك لا تثق بنا ولا تعتمد نا فى امر يوسف وانا له لناصحون اى لمخلصون فى ارادة الخير به وفى هذا دلالة على انه عليه السلم

كان يابى عليهم ان يرسله معهم ارسله معنا غدا اى الى الصحراء يرتع ونلعب الجزم على جواب الامر والمعنى ان ترسله معنا يرتع

ويلعب اى يذهب ويجئ وينشط ويلهوا عن الكلبى والضحاك وقيل نتحافظ فيحفظ بعضنا بعضا ونلهوا عن مجاهد وقيل نرعى ونتعرف

والرتع هو التردد يمينا وشمالا عن ابن زيد واراد وا به اللعب المباح مثل الرمى والاستباق بالاقدام وقد روى ان كل لعب حرام

الا ثلث لعب الرجل بقوسه وفرسه واهله وانا له لحافظون اى ليوسف لحافظون اى نحفظه لنرده عليك وقيل نحفظه فى حال

لعبه وقال مقاتل ههنا تقديم وتاخير وذلك ان اخوة يوسف عم قالوا ارسله فقال ابوهم انى ليحزننى ان تذهبوا به الاية فح قالوا

يا ابانا مالك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون واذا صح الكلام من غير تقديم ولا تاخير فلا معنى لحمله عليه قال الحسن حصل

يوسف عم فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنه وكان فى البلاء الى ان اوصل اليه ابوه ثمانين سنه ولبث بعد الاجتماع ثلثا وعشرين

سنه ومات وهو ابن مائة وعشرين سنه وقيل انه كان ليوسف يوم القى فى الجب عشر سنين وقيل كان له اثنتا عشرة سنه وقيل كان ابن

سبع او تسع سنين وجمع الله بينه وبين ابيه وهو ابن اربعين سنه عن ابن عباس وغيره وفى الايات دلالة على ظهور حسدهم ليوسف

لانه كان يحرسه منهم ويمنعه من الخروج معهم ولا يامنهم عليه قوله تعالى قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ

وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ

الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا

يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ

كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ

ست آيات اللغة الذيب اصله الهمز وان خفف جاز وقراءة الكسائى وخلف وابو جعفر ورويس والاعشى والبرجمى الايجاده

بتخفيف الهمزة فى المواضع الثلث والباقون بالهمز وجمع الذئب اذؤب وذئاب وذؤبان وتذائب الريح اتت من كل جهة

وحزنت واحزنت لغتان والحزن الم القلب بفراق المحبوب والشعور ادراك الشئ قبل الشعرة فى الرقة ومنه الشاعرة فى البدن

والمجئ والمصير الى الشئ واحد وقد يكون المصير بالانقلاب كمصير الطين خزفا وقد يكون بمعنى الانتقال والعشاء اخر النهار ومنه

اشتق الاعشى لانه يستضئ ببصر ضعيف ويقال العشاء اول ظلام الليل ويقال العشى من زوال الشمس الى الصباح والعشاء

من صلوة المغرب الى العتمة والاستباق افتعال من السبق واستبقا تبادرا حتى يظهر الاقوى ومنه المسابقة وهو على ثلثة اوجه

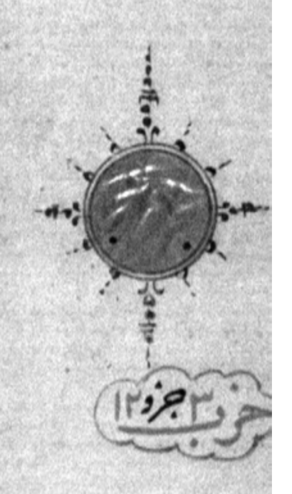
سباق بالرمى وذلك جائز بالاتفاق وسباق على الخيل والابل وذلك جائز عندنا وسباق على الاقدام وذلك عندنا جائز بعوض

وبه قال الشافعى وعند ابى حنيفه يجوز بعوض وبلا عوض وبه قال قوم من اصحابنا وكذا القول فى الصراع ودم كذب اى مكذوب

فيه وهو مصدر وصف به وقيل تقديره بدم ذى كذب قال الفراء يجوز ان يقع المصدر موقع المفعول كما يقع المفعول موقع

المصدر فى مثل قول الشاعر حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا ولم يجز سيبويه وقال المفعول لا يكون مصدرا او

تناول قولهم خذ ميسوره ودع معسوره قال يعنى يوخذ ما يسر به ودع ما عسر عليه وكذلك ليس لفؤاده معقول اى ما يعقل به



حزب ٣ جزو ١٢

ربعه

وروى عن عايشه انها قرأت بدم كذب بالدال اى بدم طرى والتسويل تزيين النفس مالم يحسن وقيل هو تقدير معنى فى النفس على
الطمع فى تمامه الاعراب اللام فى قوله لئن هى التى يتلقى بها القسم وانا اذا لخاسرون جواب القسم فلما ذهبوا به جواب لما محذوف
وتقديره عظمت فتنتهم اى كثر ما قصدوا له والكوفيون يقولون الواو فى واجمعوا مقحمة وتقديره اجمعوا ولا يجيز البصريون اقحام الواو وقالوا لم
يثبت ذلك بحجة ولا قياس ومما انشده الكوفيون فى ذلك قول الشاعر حتى اذا قملت بطونكم ورأيتم ابناءكم شبوا وقلبتم ظهر المجن لنا ان اللئيم
العاجز الخب وقول امرء القيس فلما اجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل قالوا اراد انتحى والبصريون يحملون الجميع على حذف
الجواب وقوله يبكون فى موضع نصب على الحال وعشاء منصوب على الظرف وجايز ان يكون وهم لا يشعرون من صلة قوله لتنبئنهم و
وجايز ان يكون من صلة واوحينا اليه بانبائه بالوحى وهم لا يشعرون من صلة انه نبى قد اوحى اليه وسولت فى موضع نصب على الحال
فصبر جميل مرفوع على احد وجهين على انه خبر مبتدا محذوف لخبر تقديره فصبر جميل امثل وانشد شكا الى جملى طول السرى يا جملى
ليس الى المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى ويجوز فى غير القرآن فصبرا جميلا وروى ذلك عن ابى ويكون معناه فاصبرى يا نفس صبرا جميلا
قال ذو الرمة الا انما تصبر بلى به وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر وقال الآخر ابى الله ان يبقى لحى بشاشه فصبرا على ما شاء الله لى صبرا

المعنى ثم اخبر سبحانه انهم لما اظهروا النصح والشفقة على يوسف ع وهم يعقوب ع ان يبعثه معهم وحثهم على حفظه فقال انى
ليحزننى اى يغمنى ان تذهبوا به وتغيبوه عنى وقيل معناه ليحزننى مفارقته اياى واخاف عليه اذا ذهبتم به الى الصحراء ان ياكله الذيب
وانتم عنه غافلون وهذه جملة فى موضع الحال وتقديره اخاف ان ياكله الذيب فى حال كونكم ساهين عنه مشغولين ببعض اشغالكم
قالوا وكانت ارضهم مذابة وكانت الذياب ضارية فى ذلك الوقت وقيل ان يعقوب ع راى فى منامه كان يوسف ع قد شد
عليه عشرة اذوب ليقتلوه واذا ذيب منها يحمى عنه وكان الارض انشقت فدخل فيها يوسف ع فلم يخرج منها الا بعد ثلثة ايام
فمن ثم قال هذا فلقنهم العلة وكانوا لا يدرونه وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال لا تلقنوا الكذب فتكذبوا فان بنى
يعقوب لم يعلموا ان الذيب ياكل الانسان حتى لقنهم ابوهم وهذا يدل على ان الخصم لا ينبغى ان يلقن حجة وقيل انه خاف منهم عليه
ان يقتلوه فكنى عنهم بالذيب مساترة لهم قال ابن عباس سماهم ذيابا قالوا لئن اكله الذيب ونحن عصبة اى جماعة متعاضدون
متناصرون نرى الذيب قد قصده ولا نمنعه منه انا اذا لخاسرون اى نكون كالذى يذهب عنهم رؤس اموالهم على غم منهم
وقيل معناه انا اذا ضعفه عجزة قال الحسن وايم الله لقد كانوا اخوف عليه من الذيب وقيل معناه انا اذا المضيعون بلغة قيس عيلان
عن المورج وههنا حذف والتقدير انه ارسله معهم اجابة لما سالوه ليودى ذلك الى الالفة والمحبة فلما ذهبوا به واجمعوا اى عزموا
جميعا ان يجعلوه فى غيابت الجب اى قعر البير واتفقت دواعيهم اليه فان من دعاه داع واحد الى الشئ لا يقال فيه انه اجمع عليه
فكانه ماخوذ من اجتماع الدواعى ويدل الالف واللام على انه كان بيرا معروفا معهودا عندهم يجيها السيارة وقيل انهم طلبوا
بيرا قليلة الماء بعينه ولا تغرقه فجعلوه فيها وقيل بل جعلوه فى جانب منها وقيل ان يعقوب ع ارسله معهم فاخرجوه مكرما فلما وصلوا
الى الصحراء اظهروا له العداوة وجعلوا يضربونه وهو يستغيث بواحد واحد منهم فلا يغيثه وكان يقول يا ابتاه فهموا بقتله
فمنعهم يهودا منه وقيل منعهم لاوى رواه بعض اصحابنا عنهم عليهم السلم فانطلقوا به الى الجب فجعلوا يدلونه الى البير وهو يتعلق
بشفير البير ثم نزعوا قميصه عنه وهو يقول لا تفعلوا ردوا على القميص اتوارى به فيقولون ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا
تؤنسك فدلوه الى البير حتى اذا بلغ نصفها القوه ارادة ان يموت وكان فى البير ماء فسقط فيه ثم آوى الى الصخرة فيها فقام عليها
وكان يهودا ياتيه بالطعام عن السدى وقيل ان الجب اضاء له وعذب ماؤه حتى اغناه عن الطعام والشراب وقيل كان الماء كدرا
فصفا وعذب ووكل الله به ملكا يحرسه ويطعمه عن مقاتل وقيل ان جبرئيل عليه السلم كان يونسه وقيل ان الله تعالى امر صخرة حتى
ارتفعت من اسفل البير فوقع يوسف عليها وهو عريان وكان ابرهيم الخليل ع حين القى فى النار جرد من ثيابه والقى فى النار عريانا
فاتاه جبرائيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك عند ابرهيم الخليل ع فلما مات ورثه اسحق فلما مات اسحق ع ورثه يعقوب ع
فلما شب يوسف ع جعل يعقوب ع ذلك القميص فى تعويذ وعلقه فى عنقه فكان لا يفارقه فلما القى فى البير عريانا جاءه جبرئيل ع

وكان عليه ذلك التعويذ فاخرج منه القميص والبسه اياه وروى ذلك مفضل بن عمر عن الصع قال وهو القميص الذى وجد يعقوب ع
ريحه لما فصلت العير من مصر وكان يعقوب ع بفلسطين فقال انى لاجد ريح يوسف وفى كتاب النبوة عن الحسن بن محبوب عن الحسن
بن عمارة عن مسمع ابى سيار عن الصع قال لما القى اخوة يوسف يوسف فى الجب نزل عليه جبرائيل ع وقال له يا غلام من طرحك فقال
اخوتى لمنزلتى من ابى حسدونى ولذلك فى الجب طرحونى فقال اتحب ان تخرج من هذا الجب فقال ذاك الى اله ابرهيم واسحق ويعقوب
قال ان اله ابرهيم واسحق ويعقوب يقول لك قل اللهم انى اسالك بان لك الحمد لا اله الا انت بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام
ان تصل على محمد وآل محمد وان تجعل لى من امرى فرجا ومخرجا وترزقنى من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب فجعل الله له من الجب
يومئذ فرجا ومخرجا ومن كيد المراة مخرجا واتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب وروى على بن ابرهيم ان يوسف ع قال فى الجب يا اله ابرهيم
واسحق ويعقوب ارحم ضعفى وقلة حيلتى وصغرى واوحينا اليه يعنى الى يوسف ع قال الحسن اعطاه الله النبوة وهو فى الجب والبشارة
بالنجاة والملك لتنبئنهم بامرهم هذا اى لتخبرنهم بقبيح عملهم بعد هذا الوقت يريد ما ذكره سبحانه فى آخر السورة من قوله هل علمتم ما
فعلتم بيوسف واخيه وهم لا يشعرون انه يوسف وكان يوحى اليه كما يوحى الى ساير الانبياء وقال مجاهد وقتادة اوحى الله اليه ونباه
وهو فى الجب وكان فيما اوحى اليه اكتم حالك واصبر على ما اصابك فانك تخبر اخوتك بما فعلوا بك فى وقت لا يعرفونك وقيل يريد وهم
لا يشعرون بانه اوحى اليه ان معنى قوله لتنبئنهم لتجازينهم على فعلهم كقول الرجل للرجل يتوعده بمجازاة سوء عمله لانبئنك ولا[illegible]
اى لاجازينك وقيل اراد بذلك انهم لما دخلوا مصر عرفهم يوسف وهم له منكرون فاخذ الصاع ونقره فطن فقال ان هذا الجام
ليخبرنى انه كان لكم اخ من ابيكم القيتموه فى الجب وبعتموه بثمن بخس فهذا معنى قوله لتنبئنهم بامرهم هذا عن ابن عباس ثم بين
سبحانه حالهم حين رجعوا الى ابيهم فقال وجاؤا اباهم يعنى وانقلب اخوة يوسف الى ابيهم عشاء اى ليلا او فى آخر النهار ليلبسوا
على ابيهم وليكونوا اجرا على الاعتذار يبكون وانما اظهروا البكاء ليوهموا انهم صادقون وفى هذا دلالة على ان البكاء لا يوجب
صدق دعوى الباكى فى دعواه قال السدى ولما سمع بكاءهم فزع فقال ما بالكم قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اى ننتضل ونعدو على
الاقدام لننظر اينا اعدى واسبق لصاحبه عن الجبائى والسدى وقيل معناه ننتضل ونترامى فننظر اى السهام اسبق الى الغرض
عن الزجاج وفى قراءة عبد الله ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا اى تركناه عند الرحل ليحفظه فاكله الذيب وما انت بمؤمن لنا اى
ما انت بمصدق لنا ولو كنا صادقين جواب لو محذوف اى ولو كنا صادقين ما صدقتنا لاتهامك لنا فى امر يوسف ودل الكلام عليه
ولم يصفوه بانه لا يصدق الصادق لان المعنى انه لا يصدقهم لاتهامه لهم وسوء ظنه بهم لما ظهر له من امارات حسدهم ليوسف ع
وشدة محبته له وجاؤا على قميصه بدم كذب معناه ان اخوة يوسف ع جاؤا اباهم ومعهم قميص يوسف ع ملطخ بالدم فقالوا له
هذا دم يوسف حين اكله الذيب قيل انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف ع عن ابن عباس ومجاهد وقيل ظبيا ولم يخرقوا
ثوبه ولم يخطر ببالهم ان الذيب اذا اكل انسانا فانه يخرق ثوبه وقيل ان يعقوب ع قال لهم اروني القميص فاروه فقال لما راى
القميص صحيحا يا بنى والله ما عهدت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق قميصه عن الحسن وروى انه القى ثوبه على وجهه وقال
يا يوسف لقد اكلك ذيب رحيم اكل لحمك ولم يشق قميصك ومعنى قوله بدم كذب مكذوب عليه اوفيه كما يقال ماء سكب اى مسكوب
وشراب صب اى مصبوب قال الشاعر تظل جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعنتها صفونا اى نايحة عليهم وقيل انه كان فى قميص
يوسف ثلث آيات حين قد من دبره وحين القى على وجه ابيه فارتد بصيرا وحين جاؤا عليه بدم كذب فتنبه يعقوب ع ان الذيب
لو اكله لخرق قميصه عن الشعبى وقيل انما قال لهم يعقوب ع ذلك قالوا انه بل قتله اللصوص فقال ع كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم
الى قميصه احوج منهم الى قتله قال بل سولت لكم انفسكم امرا اى قال لهم يعقوب عليه السلم ان يوسف لم ياكله الذيب ولم يقتله
اللصوص ولكن زينت لكم انفسكم امرا عملتموه عن قتادة وقيل سهل بعضكم لبعض امرا فى يوسف غير الذى تقلتموه حتى سهل عليكم ففعلتموه
عن ابى مسلم والجبائى وانما رد يعقوب ع عليهم بوحى من الله عز اسمه وقيل كان ذلك حدسا يصايب رايه وصادف ذهنه فصبر
جميل اى فصبرى صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى الى الناس وصبر جميل احسن واولى من الجزع الذى لا يغنى شيئا وقيل انما يكون الصبر جميلا

اذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه الذي وجب فلما كان الصبر في هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود مدح وصفه بذلك ذكره
المرتضى قدس سره وقيل ان البلاء نزل بيعقوب على كبره وبيوسف على صغره بلا ذنب كان منهما فاكب يعقوب ع على حزنه وانطلق
يوسف ع في رقه وكل ذلك بعين الله يرى ويسمع حتى اتى بالمخرج وكل ذلك امتحان والله المستعان على ما تصفون اى بالله استعين
على ما تصفون او به استعين على تحمل مرارة الصبر عليه ومكث يوسف ع في الجب ثلثة ايام قوله تعالى وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا
وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَاي هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ○ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ
مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ○ آيتان القراءة قرا اهل الكوفة يا بشرا بالف بغير ياء الا ان حمزة والكسائي وخلف يميلون الراء
وعاصم لا يميل والباقون يا بشراي بفتح الياء واثبات الالف وفي الشواذ قراءة الجحدري وابن اسحق والحسن يا بشري الحجة قال ابو علي
من قال يا بشراي فاضاف الى الياء التي للمتكلم كان للالف التي هي حرف الاعراب عنده موضعان من وجهين احدهما ان الالف في موضع
نصب من حيث كان بداء مضافا والآخر ان يكون في موضع كسر من حيث كان بمنزلة حرف الاعراب في غلامي والدليل على استحقاقها
لهذا الموضع قولهم كسرت في فلولا ان حرف الاعراب الذي ولي ياء الاضافة في موضع كسر ما كسرت الفاء من في فلما كسرت كما كسرت
من قولهم بغيك وكما فتحت من قولهم رأيت قال لما كان في موضع الفتحة التي في قولك رايت غلامك والضمة في قوله هذا فوك
المقدرة فيها كالتي في قولك هذا غلامك كذلك كسرت في وهذا يدل على انه ليس يقرب من مكانين الاترى انها تبعت حركة غير الاعراب
وفي قولك هذا غلامك كذلك كسرت في وهذا يدل على انه ليس يقرب كسرت في قولهم كسرت في يا هذا كما تبعت حركة الاعراب في رايت
قال ومن قال يا بشري احتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع ضم مثل يا رجل لاختصاصه بالنداء والآخر ان يكون في موضع
نصب وذلك لانك اشعت النداء ولم تخصص به كما فعلت في الوجه الاول فصار كقوله يا حسرة على العباد الا ان التنوين لم يلحق
بشرى لانها لا تنصرف فاما من قرا يا بشري فان تلك لغة هذيل قال ابو ذويب سبقوا هوي واعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع
وقال آخر يطوف بي عكب في معد ويطعن بالصملة في قفيا فان لم يثاروا لي من عكب فلا رويتما ابدا صديا واشباه ذلك كثيرة اللغة الوارد
الذي يتقدم الرفقة الى الماء ليستقي ويقول ادلى الدلو اذا ارسلها في البير ليملاها ودلاها اذا اخرجها ملأى والبضاعة قطعة من
مال يجعل للتجارة يقال بضعت الشيء اذا قطعته ومنه المبضع لانه يبضع به العرق والشري البيع قال الشاعر وشريت بردا ليتني
من بعد برد كنت هامه والثمن بدل الشيء من العين او الورق ويقال في غيرهما ايضا مجازا والبخس النقص من الحق يقال بخسه
في الكيل او الوزن اذا نقصه من حقه فيهما الاعراب قال الزجاج معنى النداء في يا بشري وما في معناها مما لا يجيب ولا يعقل انه على تنبيه
المخاطبين وتوكيد القصة اذا قلت يا عجباه فكانك قلت اعجبوا او يا ايها العجب هذا من حينك وكذلك اذا قلت يا بشري فكانك
قلت ابشروا او يا ايتها البشرى هذا من اباتك وبضاعة منصوب على الحال وتقديره واسروه جاعليه بضاعة ودراهم في موضع جر
بانه بدل من ثمن ومعدودة صفة لدراهم وكانوا فيه من الزاهدين فيه ليست من صلة الزاهدين والمعنى كانه قال زهدوا فيه
وهذا في الظروف جائز ولا يجوز ذلك في المفعولات لو قلت كنت زيدا من الضاربين لم يجز لان زيدا من صلة الضاربين ولا تتقدم
الصلة على الموصول المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف ع بعد القائه في الجب فقال وجاءت سيارة اى جماعة مارة قالوا انما
جاءت من قبل مدين يريدون مصر فاخطاوا الطريق فانطلقوا يهيمون على غير الطريق حتى نزلوا قريبا من الجب وكان الجب في
قفرة بعيدة من العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه ملحا فعذب وقيل كان الجب بظهر الطريق فارسلوا واردهم اي بعثوا
من يطلب لهم الماء ويقال بعثوا رجلا يقال له مالك بن ذعر ليطلب لهم الماء فادلى دلوه اى ارسل دلوه في البير ليستقي فتعلق يوسف ع
بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون من الغلمان قال النبي ص اعطي يوسف ع شطر الحسن والشطر الآخر لساير الناس فقال
كعب الاحبار كان يوسف ع حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوي الخلق ابيض اللون غليظ الساقين والعضدين خميص البطن
صغير السرة وكان اذا ابتسم رايت النور من ضواحكه واذا تكلم رايت في كلامه شعاع النور يلتهب عن ثناياه ولا يستطيع احد وصفه
وكان حسنه كضوء النهار عن الليل وكان يشبه آدم ع يوم خلقه الله تعالى وصوره ونفخ فيه من روحه قبل ان يصيب المعصية ويقال

انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن فلما راه المدلي قال يا بشرى هذا غلام عن قتادة والسدي وقيل
انه نظر في البئر لما ثقل عليه الدلو فراى يوسف ع فقال هذا غلام فاخرجه عن الجبائي وقيل ان بشرى رجل من اصحابه ناداه عن السدي
واسروه بضاعة اي اسر يوسف الذين وجدوه من رفقائهم من التجار مخافة ان يطلبوا منهم الشركة في يوسف فقالوا هذه بضاعة
لاهل الماء دفعوه الينا لنبيعه لهم عن مجاهد والسدي وقيل معناه واسره اخوته يكتمون انه اخوهم فقالوا هو عبد لنا قد ابق
واختفى منا في هذا الموضع وقالوا له بالعبرانية لئن قلت انا اخوهم قتلناك فتابعهم على ذلك لئلا يقتلوه عن ابن عباس والله عليم بما
يعملون اي بما يعمل اخوة يوسف وشروه بثمن بخس اي باعوه بثمن ناقص عن عكرمة والشعبي وقيل حرام لان ثمن الحر حرام عن الضحاك
ومقاتل والسدي وسمي الحرام بخسا لانه لا بركة فيه فهو منقوص البركة دراهم معدودة اي قليلة وذكر العدد عبارة عن القلة وقيل
انهم كانوا لا يزنون من الدراهم ما دون الاوقية وكانوا يزنون الاوقية وهي الاربعون فما زاد عليها وكانت الدراهم عشرين درهما
عن ابن مسعود وابن عباس والسدي وهو المروي عن علي بن الحسين ع قال وكانوا عشرة فاقتسموها درهمين درهمين وقيل
كانت اثنين وعشرين درهما عن مجاهد وقيل كانت اربعين درهما عن عكرمة وقيل كانت ثمانية عشر عن ابي عبد الله عليه السلم
واختلف فيمن باعه فقيل ان اخوة يوسف باعوه وكان يهودا ينظر على يوسف ع فلما اخرجوه من البئر اخبر اخوته فاتوا مالكا وباعوه منه
عن ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين وقيل باعه الواجدون بمصر وقيل ان الذين اخرجوه من الجب باعوه من السيارة عن الاصم
والاصح الاول وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره قال فلم يزل مالك بن ذعر واصحابه يتعرفون من الله الخير في سفرهم ذلك حتى فارقوا يوسف
ففقدوا ذلك قال وتحرك قلب مالك ليوسف ع فقال له اخبرني من انت فانتسب له يوسف ولم يكن مالك يعرفه فقال انا ابن يعقوب
بن اسحق بن ابرهيم فالتزمه مالك وبكى وكان مالك رجلا عاقرا لا يولد له فقال ليوسف ع لو دعوت ربك ليهب لي ولدا فدعا
يوسف ع ربه ان يهب له ولدا ويجعلهم ذكورا فولد له اثنا عشر بطنا في كل بطن غلامان وكانوا فيه من الزاهدين قيل يعني به
الذين اشتروه وكانوا من الزاهدين في شرائه لانهم وجدوا عليه علامة الاحرار واخلاق اهل النبل فلم يرغبوا فيه مخافة ان تلحقهم
تبعة في ابتياعه وقيل من الزاهدين في نفس يوسف ع لم يشتروه للقنية وانما اشتروه للربح وقيل المراد به الذين باعوه من اخوته
كانوا غير راغبين في يوسف ولا في ثمنه ولكنهم باعوه حتى لا يظهر ما فعلوا به وكان قصدهم تبعيده وقيل كانوا من الزاهدين
في يوسف ع لانهم لم يعرفوا موضعه من الله سبحانه وكرامته عليه ولا تنافي بين هذه الاقوال فيجوز حمل الاية على جميعها وقيل
ان الذين باعوه بمصر كانوا من الزاهدين في ثمنه لانهم علموا انه لقطة وليست ببضاعة قوله تعالى وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ
مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ
مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
آيتان اللغة المثوى الاقامة والمثوى موضع الاقامة والاكرام اعطاء المراد على جهة الاعظام وهو يتعاظم واعلاه منزلة ما
يستحق بالنبوة وادناه ما يستحق تحصيله من الطاعة والاشد جمع لا واحد له وقيل هو واحد وان كان على وزن الجمع فهو مثل الانك
وهو الرصاص وقيل انه جمع واحده شد كما ان واحد الاشر شر قال الشاعر هل غير ان كثر الاشر واهلكت حرب الملوك اكاثر الاموال
الاعراب مصر لا ينصرف لانه مؤنث معرفة وان ينفعنا في موضع رفع لكونه فاعل عسى وعسى هذه تامة لانها تمت بفاعلها
واللام في قوله ولنعلمه محمول على تقدير دبرنا ذلك لنمكنه ولنعلمه المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف ع بعد ان بيع فقال وقال
الذي اشتراه اي اشترى يوسف من مصر اي من اهل مصر لامراته اكرمي مثواه اي مكان يوسف وموضع نزوله اي هيئ له موضعا كريما
شريفا وتقرير الاية فحملوه الى مصر وباعوه وحذف ذلك للدلالة عليه وكان المشتري خازن فرعون مصر وخليفته وصاحب
جنوده واسمه قطفير وكان لا ياتي النساء وقيل ان اسمه اظفير وكان يلقب بالعزيز ومن كان بمكانه سمي العزيز ومن يسمى بالعزيز
ممن لم يكن بمكانه نزع لسانه فلما عبر يوسف ع رؤيا الملك سمي العزيز وجعل مكان العزيز وكان باعه مالك بن دعر منه باربعين
دينارا وزوج نعال وثوبين عن ابن عباس وقيل انه عرضه على البيع في سوق مصر فتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه ورقا ومسكا

وحريرا

وعيرها عن وهب فاشتراه العزيز بهذا الثمن وقال لامرأته راعيل ولقبها زليخا اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا اي عسى ان ننتفع به فنربح
ثمنه او نتخذه ولدا فانه لا ولد لنا وانما قال ذلك لما راى ما على يوسف من الجمال والعقل والهداية في الامور وعلى هذا فالعزيز هو خازن الملك
وخليفته والملك هو الريان بن الوليد رجل من العمالقة وقيل انه هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف عليه السلم على دينه ثم مات ويوسف
حي فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف عليه السلم الى الاسلام فابى ان يقبل وقال ابن عباس العزيز ملك مصر وكذلك
هو في حديث علي بن الحسين ع وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي كما انعمنا على يوسف بالسلامة والخروج من الجب مكناه في الارض
بان عطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه حتى صار بذلك متمكنا من الامر والنهي في الارض التي كان يستولي عليها الملك وهي ارض
مصر ولنعلمه من تاويل الاحاديث قد مضى معناه في اول السورة والله غالب على امره اي على امر يوسف يحفظه ويرزقه حتى يبلغه
ما قدر له من الملك والنبوة ولا يكله الى غيره وقيل معناه والله غالب على امر نفسه لا يعجزه شيء من تدابيره وافعاله فهو الفاعل لما يشاء
كيف يشاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الله غالب على امر نفسه او امر يوسف ع وقيل معناه لا يعلمون ما يصنع الله بيوسف وما
يؤول اليه حاله ولما بلغ يوسف اشده اي منتهى شبابه وقوته وكمال عقله وقيل الاشد من ثماني عشرة سنة عن ابن عباس وقيل ان
اقصى الاشد اربعون سنة وقيل ستون سنة وهو قول الاكثرين ويؤيده الحديث من عمره الله ستين سنة فقد اعذر اليه وقيل ان
ابتداء الاشد من ثلث وثلثين سنة عن مجاهد وكثير من المفسرين وقيل من عشرين سنة عن الضحاك آتيناه حكما اي اتيناه العقل
الفضل الذي يدعو الى الحكمة وعلما وهو تبيين الشيء على ما هو به بما يجل في القلب عن علي بن عيسى وقيل الحكم النبوة والعلم الشريعة
عن ابن عباس وقيل الحكم الدعاء الى دين الله والعلم علم الشرع وقيل اراد الحكم على الناس والعلم بوجوه المصالح فانهم كانوا اذا
تحاكموا الى العزيز امره ان يحكم بينهم لما راى من عقله واصابته في الراي وقيل هو العلم والعمل وهو الحكم وكذلك نجزي المحسنين اي
مثل ما جزينا يوسف بصبره نجزي كل من احسن اي فعل الافعال الحسنة من الطاعات وقيل ان المحسنين الصابرون على النوايب
عن الضحاك وقيل هم المؤمنون عن ابن عباس وقيل اراد به محمدا صلى الله عليه وآله اي كما فعلنا بيوسف واعطيناه الملك بعد
مقاساته البلاء والشدة كذلك نفعل بك يا محمد عن ابن جريج قوله تعالى وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ● آية القراءة قرا اهل المدينة
والشام بكسر الهاء وفتح التاء وقرا ابن كثير هيت لك بفتح الهاء وضم التاء وقرا الباقون هيت لك بفتح الهاء والتاء وروي عن علي ع
وابي رجاء وابي وائل ويحيى بن وثاب هيت لك بالهمزة وضم التاء وروي ذلك على خلاف فيه عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة
وروي عن ابن عباس ايضا هيت لك بفتح الهاء وكسر التاء وروي ذلك عن ابي الاسود وابن ابي اسحق وابن محيص وعيسى الثقفي وروي
ايضا عن ابن عباس هيتُ لك الحجة قال الزجاج في هيت لك لغات واجودها هيت لك بفتح الهاء والتاء قال الشاعر ابلغ امير
المؤمنين اخا العراق اذا اتيتا ان العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا اي فاقبل وتعال وحكى قطرب انه انشده بعض اهل
الحجاز لطرفة ليس قومي بالابعدين اذا ما قال داع من العشيرة هيت هم يجيبون ذا هلم سراعا كالابابيل لا تغادر بيت فهذا
شاهد لابن كثير وكلها اسماء سمي بها الفعل بمنزلة صه ومه وايه والحركات في اواخرها لالتقاء الساكنين فاما الفتح فلان قبل التاء
ياء كما قيل اين وكيف والكسر لان الاصل في التقاء الساكنين حركة الكسر واما الضم فلانها في معنى الغايات كانها قالت دعائي لك فلما
حذفت الاضافة وتضمنت هيت معناها بنيت على الضم كما بنيت حيث ومنذ واما هيت بالهمزة وضم التاء فيفعل تقول هئت
اهيء هيئة اي تهيأت وقالوا ايضا هيت اهاء كخفت اخاف اما هيئت لك فيفعل صريح كقولك اصلحت لك واللام تتعلق بنفس
هَيت وهِيت وهيتُ كما تتعلق بنفس هلم في قولهم هلم لك اللغة المراودة المطالبة بامر بالرفق واللين ليعمل به ومنه المرود لانه
يعمل به ولا يقال في المطالبة بدين راوده واصله من راد يرود اذا طلب المرعى وفي المثل الرايد لا يكذب اهله وهو في الآية كناية
عما يريده النساء من الرجال والتغليق اطباق الباب بما يعسر فتحه وانما شدده لتكثير الاغلاق او للمبالغة في الايثاق الاعراب
معاذ الله نصب على المصدر على تقدير اعوذ بالله معاذا تقول عذت عوذا وعياذا ومعاذا ومعاذة المعنى ثم اخبر سبحانه عن

امرأة العزيز وما همت به فقال وراودته التي هو في بيتها عن نفسه اى فطالبت يوسف المرأة التي كان يوسف في بيتها عن نفسه وهي
زليخا والمعنى طلبت منه ان يواقعها وغلقت الابواب على نفسها وعليه بابا بعد باب قالوا وكانت سبعة ابواب وقيل اراد باب الدار
وباب البيت وقالت هيت لك اى هلم لك عن ابن عباس والحسن ومعناه اقبل وبادر الى ما هو مهيا لك قال يوسف معاذ الله اى اعتصم
واستجير به مما دعوتني اليه وتقديره عياذا بالله ان اجيب الى هذا فكانه عم اظهر الآباء وسال الله سبحانه ان يعيذه ويعصمه مما دعته اليه
انه ربي احسن مثواي الهاء عايدة الى زوجها عند اكثر المفسرين ومعناه ان العزيز زوجك مالكي احسن تربيتي واكرامي وبسط يدي
ورفع منزلتي فلا اخونه وانما سماه ربا لما كان ثبت له عليه من الرق في الظاهر وقيل ان الهاء عايد الى الله سبحانه والمعنى ان الله ربي
رفع من قدري واحسن الي وجعلني نبيا فلا اعصيه ابدا انه لا يفلح الظالمون دل بهذا على انه لو فعل ما دعته اليه لكان ظالما وفي
هذه الآية دلالة على ان يوسف عم لم يهم بالفاحشة ولم يردها بقبيح لان من هم بالقبيح لا يقول مثل ذلك قوله تعالى ولقد همت
به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين * آية القراءة
قرا اهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام والباقون بكسر اللام في جميع القرآن حجة قال ابو علي حجة من كسر اللام قوله اخلصوا
دينهم لله ومن فتح اللام فيكون بنى الفعل للمفعول به ويكون معناه ومعنى من كسر اللام واحد فاذا اخلصوهم دينهم فهم مخلصون
واذا اخلصوا فهم مخلصون اللغة الهم في اللغة على وجوه منها العزم وعلى الفعل كقوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم
اى ارادوا ذلك وعزموا عليه ومنه قول ضابي البرجمي هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله وقول حاتم طي
ولله صعلوك يساور همه ويمضي على الايام والدهر مقدما وقول الخنسا وفضل مرداسا على الناس حلمه وان كل هم همه فهو فاعله
ومنها خطور الشي بالبال وان لم يقع العزم عليه كقوله اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما يعني ان الفشل خطر ببالهم
ولو كان الهم عزما لما كان الله وليهما لان العزم على المعصية معصية ولا يجوز ان يكون الله تعالى ولي من عزم على الفرار عن نصرة
نبيه صلى الله عليه وآله ويقوى ذلك قول كعب بن زهير فكم فيهم من فارس متوسع ومن فاعل للخير ان هم او عزم ففرق بين الهم
والعزم ومنها ان يكون بمعنى المقاربة قالوا هم فلان ان يفعل كذا اى كاد يفعله قال ذو الرمة اقول لمسعود بجرعاء مالك وقد هم
دمعي ان يلج اوايله والدمع لا يجوز عليه العزم ومعناه كاد وقارب وقال ابو الاسود الدؤلي وكنت متى تهمم يمينك مرة لتفعل خيرا
تعقبها شمالكا وعلى هذا جاء قوله جدارا يريد ان ينقض اى يكاد وقال الحارثي يريد الرمح صدر ابي براء ويرغب عن دماء بني عقيل
ومنها الشهوة وميل الطباع يقول القائل فيما يشتهيه ويميل طبعه اليه هذا اهم الاشياء الي وفي ضده ليس هذا من همي واذا كانت
معاني الهم في اللغة مختلفة وجب ان ينفى عن نبي الله يوسف عم ما لا يليق به وهو العزم على القبيح لان الدليل قد دل على ان
الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم المعاصي والقبايح واجزنا عليه ما سواه من معاني الهم لان كل واحد من ذلك يليق بحاله المعنى
ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه اختلف العلماء فيه على قولين احدهما انه لم يوجد من يوسف عم ذنب صغير ولا كبير
والآخر انه وجد من العزم القبيح ثم انصرف عنه فاما الاولون فانهم اختلفوا في تاويل الآية على وجوه احدها ان الهم في ظاهر الآية
قد تعلق بما لا يصح تعلق العزم به على الحقيقة لانه قال ولقد همت به وهم بها فعلق الهم بهما وذاتاهما لا يجوز ان يراد او يعزم
فاذا حملنا الهم في الآية على العزم فلا بد من تقدير امر محذوف يتعلق العزم به وقد امكن ان يعلق امره بغير القبيح ويجعله متناولا
لضربها او دفعها عن نفسه فكانه قال ولقد همت بالفاحشة منه وارادت ذلك وهم يوسف بضربها او دفعها عن نفسه كما يقال
هممت بفلان اى بضربه او ايقاع مكروه به وعلى هذا فيكون معنى الرؤية البرهان ان الله سبحانه اراه برهانا على انه ان قدم
على ما هم به اهلكه اهلها او قتلوه او ادعت المراودة على القبيح وقرفته بانه دعاها اليه وضربها لامتناعها منه فاخبر سبحانه انه
صرف عنه السوء والفحشاء اللذين هما القتل وظن اقتراف الفاحشة به ويكون التقدير لولا ان رأى برهان ربه لفعل ذلك ويكون
جواب لولا محذوفا كما حذف في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله غفور رحيم وقوله كلا لو تعلمون علم اليقين اى لولا فضل
الله عليكم لهلكتم ولو تعلمون علم اليقين لم يلهكم التكاثر ومنه قول امرئ القيس فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط انفسا

يريد

يريد لو انها نفس تموت سوية لنقصت وفنيت فحذف الجواب تعويلا على ان الكلام يقتضيه وعلى هذا يكون جواب لولا محذوفا يدل
عليه قوله وهم بها ولا يجوز ان يكون قوله وهم بها جوابا للولا لان جواب لا يتقدم عليه وثانيها انه يحمل الكلام على التقديم والتأخير
ويكون التقدير ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لم يهم بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا انى تداركتك وقد كنت
قتلت لولا انى خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي اياك لقتلت وان كان لم يقع هلاك وقتل ومثله قول الشاعر فلا يدعني
قوم ليوم كريهة لئن لم اعجل ضربة او اعجل وقال الآخر فلا يدعني قومي صريحا لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم عامر وفي القرآن ان كادت لتبدي
به لولا ان ربطنا على قلبها وهذا الوجه اختاره ابو مسلم وهو قريب من الاول وثالثها ان معنى قوله هم بها اشتهاها ومال طبعه الى ما
دعته اليه وقد يجوز ان تسمى الشهوة هنا على سبيل التوسع والمجاز ولا قبح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى وانما يتعلق القبيح بالمشتهى
وقد روى هذا التاويل عن الحسن قال اما همها فكان اخبث الهم واما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء وروى الضحاك عن
ابن عباس انه قال همها القصد وهمه انه تمناها ان تكون زوجة له وعلى هذا الوجه فيجب ان يكون قوله لولا ان رأى برهان ربه
يتعلق بمحذوف ايضا كانه قال لولا ان رأى برهان ربه لعزم او فعل سوال قالوا ان قوله لقد همت به وهم بها خرجا مخرجا واحدا فلم
جعلتم همها متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلق بغير القبيح وجوابه ان الظاهر لا يدل على ما تعلق به الهم فيهما جميعا وانما اثبتنا همها متعلقا
بالقبيح لشهادة القرآن والآثار به ولانها ممن يجوز عليها فعل القبيح والشاهد لذلك من الكتاب قوله وراودته التي هو في بيتها عن
نفسه وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه الى قوله انا لنراها في ضلال مبين وقوله حكاية عنها الآن حصحص الحق
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والشاهد من الآثار اجماع المفسرين على انها همت
بالمعصية والفاحشة واما يوسف عم فقد دلت الادلة العقلية التي لا يتطرق اليها الاحتمال والمجاز على انه لا يجوز ان يفعل
القبيح ولا يعزم عليه فاما الشاهد من القرآن على انه ما هم بالفاحشة فقوله سبحانه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقوله
ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب وغير ذلك من قوله قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء والعزم على الفاحشة من اكبر السوء واما الوجوه
الاخر فانهم قالوا فيه ما لا يجوز نسبته الى الانبياء فقال بعضهم انه قعد بين رجليها وحل تكة السراويل وقال بعضهم حل
السراويل حتى بلغ الثنن الثنن وجلس منها مجلس الرجل من امرأته وقد نزهه الله سبحانه عن ذلك كله بقوله كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء وامثال ذلك مما عددناه فاما البرهان الذي رآه فقد اختلف فيه على وجوه احدها انه حجة الله سبحانه في
تحريم الزنا والعلم بالعقاب الذي يستحقه الزاني عن محمد بن كعب والجبائي وثانيها انه ما آتاه الله سبحانه من آداب الانبياء واخلاق
الاصفياء في العفاف وصيانة النفس عن الادناس عن ابي مسلم وثالثها انه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش والحكمة الصارفة
عن القبائح روى ذلك عن الصادق عم ورابعها انه كان في البيت صنم فالقت المرأة عليه ثوبا فقال عم اذا كنت تستحيين من الصنم فانا
احق ان استحي من الواحد القهار عن علي بن الحسين زين العابدين عم وخامسها انه اللطف الذي لطف الله تعالى به في تلك الحال
او قبلها فاختار عنده الامتناع من المعاصي وهو ما يقتضي كونه معصوما لان العصمة هي اللطف الذي يختار عنده التنزه عن
القبائح والامتناع من فعلها ويجوز ان تكون الرؤية ههنا بمعنى العلم كما يجوز ان يكون بمعنى الادراك فاما ما ذكر في البرهان
من الاشياء البعيدة بان قيل انه سمع قائلا يقول يا ابن يعقوب لا تكن كالطير له ريش فاذا زنى ذهب ريشه وقيل انه رأى صورة
يعقوب عليه السلام عاضا على انامله وقيل انه رأى كفا بدت بينهما مكتوبا عليها النهي عن ذلك فلم ينته فارسل الله سبحانه جبرائيل عم
وقال له ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فرآه عاضا على اصبعه فكل هذا سوء ثناء على الانبياء مع ان ذلك ينافي التكليف
ويقتضي ان لا يستحق على الامتناع من القبيح مدحا ولا ثوابا وهذا من اقبح القول فيهم كذلك لنصرف عنه السوء اي كذلك اريناه البرهان
لنصرف عنه السوء اي الخيانة والفحشاء اي ركوب الفاحشة وقيل السوء الاثم والفاحشة الزنا انه من عبادنا المخلصين اي المصطفين
المختارين للنبوة وبكسر اللام المخلصين في العبادة والتوحيد اي من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة واخلصوا انفسهم لله وهذا يدل
على تنزيه يوسف عليه السلم وجلالة قدره عن ركوب القبيح والعزم عليه قوله تعالى واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر

وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ
شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ
وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۞ يُوسُفُ
أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ۞ خمس آيات القراءة في الشواذ قراءة ابن يعمر وابن ابي اسحق ونوح القاري

نصف الحزب

من قبل ومن دبر بثلث ضمات من غير تنوين الحجة قال ابن جني ينبغي ان يكونا غايتين كقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد كانه يريد
وقدت قميصه من دبره وان كان قميصه من قبله فلما حذف المضاف اليه اعنى الهاء وهى مرادة صار المضاف غاية نفسه بعد ما كان

١

المضاف اليه غاية له اللغة القد شق الشى طولا مثل قد الاديم يقال قده يقده قدا فهو مقدود اذا كان ذاهبا في الطول على استواء وفي
الحديث كانت ضربات علي بن ابي طالب ع ابكارا كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط والقد بكسر القاف السير المقطوع طولا والالفاء
المصادفة قال تعالى ومطعم الصيد هبال لبغيته الفى اباه بذاك الكسب يكتسب اى وجد اباه والكيد طلب الشى بما يكرهه كما
طلبت المراة يوسف بما يكرهه ويأباه والخطيئة العدول عما تدعو اليه الحكمة الى ما تزجر عنه ويقال لصاحبه خطى يخطى خطأ فهو خاطئ
اذا وقع ذلك منه البتة عن غير قصد وسل اخطأ القصد فهو مخطى فاصل الخطأ العدول عن الغرض الحكمي لقصد او غير قصد قال امية عبادك
يخطئون وانت رب بكفيك المنايا والحتوم الاعراب انما عطف قوله عذاب اليم على الفعل لان تقديره الا السجن او عذاب ومن قوله من
دبر ومن قبل لابتداء الغاية لان ابتداء القد كان منها ومن في قوله من الكاذبين للتبعيض لانه بعض الكاذبين ولم يقل وشهد شاهد
انه ان كان لانه ذهب مذهب القول في الحكاية كما ان قوله يوصيكم الله في اولادكم كذلك وتقديره يوصيكم الله ان المال للذكر مثل حظ
الانثيين وقوله ان كان قميصه قال ابو العباس معناه ان يكن وجاز ذلك في كان لانها ام الباب كما قال في التعجب ما كان احسن زيدا
ولم يجز ما اصبح احسنه وقال ابو بكر السراج لم يكن بمعنى ان يصح قد قميصه عن دبره وقوله فلما راى الروية يحتمل امرين احدهما ان يكون
بمعنى روية العين فلا يكون بغية للقد ويكون قوله قد من دبر في موضع الحال وانه يكون روية للقميص والاخر ان يكون بمعنى العلم
فيكون روية للقد وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لتغلب المذكر على المونث المعنى واستبقا الباب يعني تبادر الباب
اى طلب كل واحد من يوسف وامراة العزيز السبق الى الباب اما يوسف انما كان يقصد ان يهرب من ركوب الفاحشة واما هي فانما كانت
تطلب يوسف لتقضي حاجتها منه وتقصد ان تغلق الباب وتمنعه من الخروج وتراوده ثانيا عن نفسه وقدت قميصه من دبر اى جذبت
يوسف فجذبت قميصه وشقته طولا من خلفه لان يوسف ع كان هاربا وهي تعدو من خلفه وقيل ان يوسف رأى الابواب قد
انفتحت فعلم ان الصواب هو الخروج فخرج هاربا وقيل بل اخذ يفتح الابواب فادركته فتعلقت بقميصه من خلفه والفيا سيدها
لدا الباب اى فلما خرجا وجدا زوجها عند الباب وسماه سيدها لانه مالك امرها قالت ما جزاء من اراد باهلك سوء الا ان يسجن او
عذاب اليم يعني ان المراة سبقت بالكلام لتنزل الذنب على يوسف ع فقالت لزوجها ليس جزاء من اراد باهلك خيانة الا ان يحبس او
يضرب بالسياط ضربا وجيعا عن ابن عباس قالوا ولو صدق زوجها لم يقل ذلك ولا نزه على نفسها ولكن صدق زوجها اياه كان شهوة قال
هي راودتني عن نفسي لما ذكرت المراة ذلك لم يجد يوسف ع بدا من تنزيه نفسه بصدقه ولو كفت عن الكذب عليه لكف ع عن الصدق
عليها فقال هي التي طالبتني بالسوء الذى نسبتني اليه وشهد شاهد من اهلها قال ابن عباس وسعيد بن جبير انه صبي في المهد وقيل
كان الصبي ابن اخت زليخا وهو ابن ثلثة اشهر وروى عن ابن عباس ايضا في رواية اخرى وعن الحسن وقتادة وعكرمة انه شهد رجل
حكيم من اهلها تنزيه يوسف واختاره الجبائي قيل ولو كان طفلا لكان قوله معجزا لا يحتاج معه الى البيان وقيل كان الرجل ابن عم
زليخا وكان جالسا مع زوجها عند الباب عن السدى ان كان قميصه قد اي شق من قبل فصدقت المراة وهو من الكاذبين فيما قال
يعني يوسف لانه كان هو القاصد وهي الدافعة وان كان قميصه قد من دبر اي من خلف فكذبت المراة وهو اي يوسف من الصادقين
لانه الهارب وهي الطالبة وهذا امر ظاهر والاستدلال صحيح فلما رأى قميصه قد من دبر اى فلما رأى زوجها قميص يوسف ع شق من
خلف عرف خيانة المراة فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وقيل هو من قول الشاهد وانما وصف كيدهن بالعظم لانها حين فاجأت

زوجها

زوجها عند الباب لم يدخلها دهش ولم تتحير في امرها ونكبت الذنب على يوسف وان حيل النساء اسبق الى قلوبهن من كثير من قلوب
الرجال يوسف اعرض عن هذا يعني ان الشاهد قال ليوسف ع يا يوسف امسك عن هذا الحديث اي عن ذكرها حتى لا يفشو في البلد
عن ابن عباس وقيل انما قال زوجها وقيل معناه يا يوسف لا تلتفت الى هذا الحديث ولا تذكره على سبيل طلب البراءة فقد ظهر براءتك عن
ابي مسلم والجبائي ثم اقبل على زليخا وقال واستغفري لذنبك اي سلي زوجك ان لا يعاقبك على ذنبك انك كنت من الخاطئين اي من
المذنبين وقيل انه لم يكن غيورا فسلبه الله الغيرة لطفا منه بيوسف حتى يكفي شره وكذلك قال ليوسف ع اعرض عن هذا واقتصر
على هذا القدر وقيل معناه استغفري الله من ذنبك وتوبي اليه فان الذنب كان منك لا من يوسف فانهم كانوا يعبدون الله مع
عبادتهم الاصنام قوله تعالى وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ
اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ *
قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ
الصَّاغِرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ
لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ * ست آيات القراءة روى عن ابى متكا بغير همز
مشددة التاء والباقون متكأ بالهمز والتشديد وفي الشواذ قراءة مجاهد متكا خفيفة ساكنة التاء وروي ذلك عن ابن عباس
وقرأ ابو عمرو حاشا لله وروي عن علي ع وعن علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وعن الحسن بخلاف ويحيى بن يعمر وقتادة بخلاف
ومجاهد بخلاف وابن محيصن قد شعفها بالعين وقرأ ابو عمرو حاش لله وروي عن ابن مسعود وابي بن كعب حاش الله وعن الحسن
حاش الاله وفي رواية اخرى عنه حاش لله بسكون الشين وقرأ يعقوب وحده السجن احب الي بفتح السين والباقون بكسرها الحجة
قال الزجاج معنى شعفها بالعين ذهب بها كل مذهب مشتق من شعفات الجبال اي رؤس الجبال يقال فلان مشعوف بكذا اي
ذهب به الحب اقصى المذاهب وقال ابن جني معناه وصل حبه الى قلبه فكاد يحرقه لحدته واصله من البعير يهنأ بالقطران فتصل
حرارة ذلك الى قلبه قال امرؤ القيس لتقتلني وقد شعفت فؤادها كما شعف المهنوءة الرجل الطالي واما القراءة المشهورة شغفها
بالغين فمعناه انه خرق شغاف قلبها وهو غلافه فوصل الى قلبها واما المتكأ فهو ما يتكأ عليه لطعام او شراب او حديث واصله موتكأ مفتعل
من وكأت مثل موتزن من الوزن واما من قرأ متكا فيجوز ان يكون مفتعلا من قوله اذا شرب المرضة قال اوكي على ما في سقائك قد رويتا
يقال اوكيت السقاء اذا شددته واما متكا فانهم قالوا المتك الاترج واحدته متكة وقيل ايضا هو الزماورد واما حجة ابي عمرو في قوله
حاشا لله فقول الشاعر حاشا ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وقال ابو علي لا يخلو قولهم حاشا لله من ان يكون الحرف
الجار في الاستثناء كما ذكرناه في البيت او فاعل من قولهم حاشى يحاشي ولا يجوز ان يكون حرف الجر لان حرف الجر لا يدخل على مثله
ولان الحرف لا يحذف اذا لم يكن فيها تضعيف فاذا بطل ذلك ثبت انها فاعل مأخوذ من الحشا الذي هو الناحية والمعنى انه صار في
حشاء اي ناحية مما قرف به وفاعله يوسف والمعنى بعد عن هذا الذي رمي به لله اي لخوفه من الله ومراقبته امره ومن حذف الالف فكانما
حذف من لم يك ولا ادر واذا اريد به حرف الجر يقال حاشا وحاش وحشا ثلث لغات قال الشاعر حشا رهط النبي فان منهم بحورا
لا تكدرها الدلاء واما من قرأ حاش الله فعلى اصل اللغة يكون حرف جر كما جاء في البيت حاشا ابي ثوبان واما حاشا الاله فمحذوف
من حاشا تخفيفا وهو كقولك حاشى للمعبود ومنه قول الشاعر لعمر الاله وزوجها معها هند الهنود طويلة النعل واما حاش لله
فضعيف لالتقاء الساكنين فيه ولا سكان الشين بعد حذف الالف ولا موجب لذلك واما من فتح السين من السجن فجعله مصدرا
فمعناه ان السجن احب الي ومن كسر فعلى اسم المكان والمعنى نزول السجن احب الي اللغة العزيز المنيع بقدرته من غير ان
يضام في امره وسمي بذلك لانه كان ملكا ممتنعا بملكه واتساع مقدرته قال ابو داود درة غاص عليها تاجر جليت عند عزيز يوم ظل
والفتى الغلام الشاب والمرأة فتاة قال ابو مسلم والزجاج وتسمي العرب العبد فتى والمكر الفتل بالحيلة الى ما يراد من الطلبة

وجاريه مهاودة الساقين اى مفتولة الساقين واعتدت ماخوذ من العتاد ومثله اعدت والمتكاء الوسادة وهى النمرق الذى يتكا
عليه وقيل هو الاترج وانكر ذلك ابو عبيدة قال ولا يمتنع ان يقال قد كان فى ذلك المجلس فواكه واترج فاما ان يعرف ذلك من هذا
القول فلا والاكبار الاعظام والاجلال وقال قوم معنى اكبرنه انهن حضن حين راينه وانشد وانشد الشاعر ياتى النساء على اطهارهن
ولا ياتى النساء اذا اكبرن اكبارا وانكر ذلك ابو عبيده وقال لا نعرف ذلك فى اللغة ولكنه يجوز ان يكون قد حضن من شدة
اعظامهن اياه والبيت مصنوع لا يعرفه العلماء بالشعر والسجن المنع عن التصرف بالحبس سجن يسجن سجنا والاستعصام الامتناع
عن طلب المعصية والاستعصام طلب العصمة من الله تعم والصاغر من الصغار صغر يصغر صغارا وهو الذل والهوان والصبى
رقة الهوى يقال صبا يصبو صبى فهو صاب قال الى هند صبا قلبى وهند مثلها تصبى وقال صبا صبوة بالرجح وهو لجوج ودالت ام بالارتقى
حدوج الاعراب وقال نسوه وانما حذف منه حرف التانيث لانه تانيث جمع وتانيث الجمع تانيث لفظ يبطل تانيث المعنى لانه لا
يجتمع فى اسم واحد تانيثان وكذلك يبطل تذكير المعنى فى رجال واذا صار كذلك جاز فيه الحمل على اللفظ والحمل على المعنى فيؤنث
ويذكر وقوله ما هذا بشرا نصب بشرا على مذهب اهل الحجاز فى اعمال ما عمل ليس فى رفع الاسم ونصب الخبر واما بنو تميم فلا يعملونها قال
لشتان ما انوى وينوى بنو ابى جميعا فما هذان مستويان تمنوا الى الموت الذى يشعب الفتا وكل فتى والموت يلتقيان وروى عن
الحسن انه قرا ما هذا بشرى اى هو بمملوك وهو شاذ فذلكن كن للخطاب لا للضمير فلا موضع له من الاعراب والاسم ذا وهو فى
موضع رفع على الابتداء والذى لمتننى فيه موصول وصله فى موضع خبر وليكونن من الصاغرين هذه النون الخفيفة التى يتلقى
بها القسم واذا وقفت عليها وقفت بالالف وليكونا وهى بمنزلة التنوين الذى يوقف عليه بالالف نحو قولك رايت رجلا قال الاعشى
وصل على حين العشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا اى فاعبدن فابدل فى الوقف من النون الالف ثم بدا لهم فاعل بدا
مضمر على تقدير بدا لهم بداء فقد اظهره الشاعر فى قوله لعلك والموعود حق لقاءه بدا لك من تلك القلوص بداء ولا يجوز ان يكون
ليسجننه فى موضع الفاعل لان الجملة لا تكون فاعله المعنى ثم ذكر سبحانه شياع هذه القصة فقال وقال نسوة فى المدينة اى جماعة
من النساء فى المصر الذى كان فيه الملك امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه اى تدعو مملوكها الى نفسها ليجز بها قد شغفها حبا اى
احبته حبا دخل شغاف قلبها انا لنريها فى ضلال مبين اى فى خطاء بين وذهاب عن طريق الرشد بدعائها مملوكها الى الفجور بها قال
الكلبى هن اربعة نسوة امراة ساقى الملك وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وقال مقاتل كن خمسا وزاد
امراة الحاجب فلما سمعت بمكرهن اى لما سمعت المراة بتعييرهن اياها وقصدهن اشاعة امرها وسماه مكرا لان قصدهن من هذا القول
كان ان تريهن يوسف لما وصف لهن من حسنه فخالف ظاهر الكلام باطنه فسمى ذلك مكرا وقيل لانها اظهرت لهن حبها اياه
واستكتمهن ذلك فاظهرته فسمى ذلك مكرا اى ارسلت اليهن فاستضافتهن قال وهب اتخذت مائدة ودعت اربعين امراة
منهن واعتدت لهن متكا اى واعتدت لهن وسائد يتكين عليها عن ابن عباس والاتكاء الميل الى احد الشقين وقيل اراد بقوله متكا الطعام
من قول العرب اتكأنا عند فلان اى طعمنا عنده واصله ان من دعى الى طعام يعد له المتكاء فسمى الطعام متكا على الاستعارة وقال
الضحاك كان الطعام الزماورد وقال عكرمة هو ما يحز بالسكين لانه يوكل فى الغالب على متكاء وقال سعيد بن جبير هو كل طعام
وشراب على عمومه وعبر قال الحسن واما المتك فقد قيل انه الاترج على ما تقدم بيانه وقال السدى بل هو المجلس وكل ما يحز بالسكين
يقال له متك واتت كل واحدة منهن سكينا اى واعطت كل واحدة من تلك النسوة سكينا لتقطع به الفواكه والاترج على ما هو العادة
بين الناس وقالت اخرج عليهن اى قالت امراة الملك ليوسف وكانت قد اجلسته غير مجلسهن فامرته بالخروج عليهن اما للخدمة
او للسلام او ليرينه ولم يكن يتهيا له ان لا يخرج لانه بمنزلة العبد لها عن الزجاج فلما راينه اكبرنه اى اعظمنه وتحيرن فى جماله اذ كان
كالقمر ليلة البدر وقطعن ايديهن بالسكاكين على جهة الخطا بدل قطع الفواكه فما احسسن الا بالدم ولم يجدن الم القطع لاشتغال
قلوبهن بيوسف عن مجاهد والمعنى جرحن ايديهن حتى دميت وليس معناه ابن ايديهن وهذا مستعمل فى الكلام يقول الرجل
قد قطعت يدى والمعنى قد خدشتها وقيل انهن ابن ايديهن حتى القينها عن قتادة وقلن حاش لله حاشا لله اى صار يوسف فى حشاء

اي في ناحية

اى فى ناحية مما قرن به اى لم يلابسه والمعنى بعد يوسف عن هذا الذى رمى به لله اى لخوفه ومراقبته امر الله هذا قول اكثر المفسرين قالوا
قالوا تنزيها ليوسف عما رمته به امراة العزيز وقال اخرون هذا تنزيه له من شبه البشر لفرط جماله ويدل على هذا سياق الاية ما هذا بشرا
ان هذا الا ملك كريم اى نزه الله منزلته عن منزلة البشر فنعوذ بالله ان نقول انه بشر ومعناه انه منزه ان يكون بشرا فليس صورته
صورة البشر ولا خلقته خلقة البشر ولكنه ملك كريم لحسنه ولطافته وروى عن ابى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله
وهو يصف يوسف عم حين راه فى السماء الثانية رايت رجلا صورته صورة القمر ليلة البدر قلت يا جبرائيل من هذا قال اخوك
يوسف وقيل معناه ليس هذا الا ملك كريم فى عفته قال الجبائى يدل على ان الملك افضل من بنى ادم لانهن ذكرن من هو فى نهاية
الفضل ولم ينكر الله تعالى ذلك عليهن وهذا من ركيك الاستدلال لانه سبحانه انما حكى عن النساء اعظامهن ليوسف عم حين راين جماله
وبعده عن السوء فشبهنه بالملك ولم يقصدن كثرة الثواب الذى له وحقيقة الفضل وانما لم ينكره سبحانه عليهن لانه علم انهن
يقصدن فى كلامهن ما حمله عليه الجبائى على ان الظاهر يقتضى انهن نفين ان يكون يوسف من البشر وقطعن على انه ملك كريم وهذا
كذب ولم ينكره الله سبحانه عليهن لما علم من انه يقصدن بذلك تشبيه حاله بحال الملائكة قالت امراة العزيز للنسوة اللاتى عذلنها
على محبتها ليوسف عم فذلكن الذى لمتننى فيه اى هو ذاك الذى لمتننى فى امره وفى حبه وشغفى به حيث اعظمهن اياه عذرا لها
والمعنى هذا الذى اصابكن من ذهاب العقل فى مرة واحدة فكيف عذلتننى فى حبى اياه وانا انظر اليه اناء ليلى ونهارى ثم اعترفت ببراءة
يوسف عم واقرت على نفسها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم اى امتنع عنه وقيل معناه امتنع بالله وسال له العصمة من فعل
القبيح وفى هذا دلالة على ان يوسف عم لم يقع منه قبيح ثم توعدته بايقاع المكروه به ان لم فيما تدعوه اليه فقالت ولئن لم يفعل
ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين اى ان لم يجبنى الى ما ادعوه اليه ليحبس فى السجن وليكونن من الاذلاء فلما راى يوسف عم اصرارها
على ذلك وتهديدها له اختار السجن على المعصية فقال رب السجن احب الى واسهل على مما يدعوننى اليه من الفاحشة وفى هذا دلالة على
ان النسوة يدعونه الى مثل ما دعته اليه امراة العزيز وفى حديث ابى حمزة الثمالى عن على بن الحسين عليهما السلم ان النسوة لما خرجن من
عندها ارسلت كل واحدة منهن سرا الى يوسف عم سرا من صاحبتها تساله الزيارة وقيل انهن قلن له اطلع مولاتك واقض حاجتها
فانها المظلومة وانت الظالم وقيل انهن لما راين يوسف استاذن امراة العزيز بان تخلو كل واحدة منهن به وتدعوه الى ما ارادته منه والى
طاعتها فلما خلون به ذهبت كل واحدة منهن تدعوه الى نفسها فلذلك قال مما يدعوننى اليه ويسال فيقال كيف قال يوسف السجن
احب الى مما يدعوننى اليه ولا يجوز ان يراد السجن الذى هو المكان وان عنى به السجن الذى هو المصدر فان السجن معصية كما ان ما دعونه
اليه معصية فلا يجوز ان يريده فالجواب انه لم يرد المحبة التى هى الارادة وانما اراد ان ذلك اخف الى واسهل وجه اخر ان المعنى لو كان
مما اريده لكانت ارادتى له اشد وقيل ان معناه توطين النفس على السجن احب الى من توطين النفس على الزنا عن ابى على الجبائى والا تصرف
عنى كيدهن يعنى صوتكيدهن بالطاقة لان كيدهن قد تقع وتحصل اصب اليهن اى امل اليهن والى قولهن بهواى والصبوة لطافة
الهوى واكن من الجاهلين اى من المستحقين لصفة الذم بالجهل وقيل معناه اكن بمنزلة الجاهلين فى فعلى فاستجاب له ربه فصرف عنه
كيدهن اى فاجاب له ربه فيما دعاه فعصمه من مكرهن فان قيل ما معنى سوال يوسف عم اللطف من الله وهو عالم بان الله يفعله لا محالة
فالجواب انه يجوز ان تتعلق المصلحة بالالطاف عند الدعاء المجدد ومتى قيل كيف علم انه لولا اللطف لفعل الفاحشة واذا وجد
اللطف امتنع قلنا لما وجد فى نفسه من الشهوة وعلم انه لولا لطف الله لارتكب القبيح وعلم ان الله سبحانه يعصم انبياءه بالالطاف
وان من لا يكون له لطف لا يبعثه الله نبيا قال الجبائى فى الاية دلالة على جواز الدعاء بما يعلم الله سبحانه انه يكون لان يوسف عم كان
عالما بانه ان كان له لطف فلا بد ان يكون الله يفعل ذلك به ومع هذا ساله ذلك ولا تدل الاية على ما قاله لما قلناه من انه يجوز ان
يكون ساله لتجويزه ان يكون له لطف عند الدعاء ولو لم يدع لم يكن لطفا فما سال الا ما جوز ان لا يكون لو لم يدع انه هو السميع العليم
اى السميع لدعاء الداعى عليم باخلاصه فى دعائه وبما يصلحه من الاجابة او يفسده ثم بدا لهم اى ظهر لهم من بعد ما راوا الايات وانما لم
يقل رايهم مع تقدم ذكر النسوة لانه اراد به الملك وقيل اراد به زليخا واعوانها فغلب المذكر واراد بالايات العلامات الدالة على براءة

يوسف ع وهي قد القميص من دبر وحز الايدى عن قتادة وغيره وقيل يريد بالايات العلامة الدالة على الاياس منه وقوله بداء
فاعله مضمر وتقديره ثم بدا لهم بداء ليسجننه حتى حين ودل ليسجننه عليه فان السجن هو الذى بدا لهم قال السدى وذلك ان المراة قالت
لزوجها ان هذا العبد قد فضحنى فى الناس من حيث انه يخبرهم انى راودته على نفسه ولست اطيق ان اعتذر بعذر فاما ان تاذن لي
فاخرج واعتذر واما ان تحبسه كما حبستنى فحبسه بعد علمه براءته وقيل ان الغرض من الحبس ان يظهر للناس ان الذنب كان له
لانه انما يحبس المجرم وقيل كان الحبس قريبا منها فارادت ان يكون بقربها حتى اذا اشرفت عليه راته وقوله حتى حين قيل الى سبع سنين
عن عكرمه وقيل الى خمس سنين عن الكلبي وقيل الى وقت ينسى حديث المراة معه وينقطع عن الناس خبره عن الجبائى قوله تعالى
وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا
بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ
شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * ثلث آيات اللغة قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى
فجاز ان يكون الفتيان حدثين او شيخين وقال غيره يقال للعبد فتى وللامة فتاه وفى الحديث لا يقولن احدكم عبدى وامتى لكن
فتاى وفتاتى والتاويل الخبر عما حضر بما يؤل اليه امره فيما غاب ولذلك قال قبل ان ياتيكما وتاويل القرآن ما يؤل اليه من المعنى اى يرجع
اليه والتعليم تفهيم الدلالة المؤدية الى العلم بالمعنى وقد يكون الاعلام بالمعنى فى القلب والاتباع اقتفاء الاثر وهو طلب اللحاق
بالاول الاعراب هم الثانية دخل للتوكيد لانه لما دخل بينهما قوله بالآخرة صارت الاولى كالملغاة وصار الاعتماد على الثانية كما
قال وهم بالآخرة هم يوقنون وكما قال ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف
فى السجن فقال ودخل معه السجن فتيان والتقدير فحبس يوسف ودخل معه السجن شابان حدثان وقيل انهما مملوكان لملك مصر الاكبر
واسمه الوليد بن ريان وكان احدهما صاحب شرابه والآخر صاحب طعامه فنمى اليه ان صاحب طعامه يريد ان يسمه فظن ان
الآخر ساعده على ذلك ومالاه عليه عن قتادة والسدى قال احدهما انى ارانى اعصر خمرا من رؤيا المنام كان يوسف ع لما دخل
السجن قال لاهله انى اعبر الرؤيا فقال احد العبدين لصاحبه هلم فلنجربه فسالاه من غير ان يكونا رايا شيا عن ابن مسعود وقيل بل
رايا على صحة وحقيقة ولكنهما كذبا فى الانكار عن مجاهد والجبائى وقيل ان المصلوب منهما كان كاذبا والآخر صادقا عن ابى جعفر
ورواه على بن ابرهيم ايضا فى تفسيره عنهم والمعنى قال احدهما وهو الساقى رايت اصل كرم عليها ثلثة عناقيد من عنب فجنيتها وعصرتها
فى كاس الملك وسقيته اياها وتقديره اعصر عنب خمر اى العنب الذي يكون عصيره خمرا فحذف المضاف قال الزجاج وابن
الانبارى العرب تسمى الشي باسم ما يؤل اليه اذا وضح المعنى ولم يلتبس يقال فلان يطبخ الآجر ويطبخ الدبس وانما يطبخ اللبن
والعصير وقال قوم ان بعض العرب يسمون العنب خمرا حكى الاصمعى عن المعتمر بن سليمن انه لقى اعرابيا ومعه عنب فقال ما
معك فقال خمر وهو قول الضحاك فيكون معناه انى اعصر عنبا وروى فى قراءة عبد الله وابى جميعا انى ارانى اعصر عنبا وقال
الآخر انى ارانى احمل فوق راسى خبزا تاكل الطير منه اى وقال صاحب الطعام انى رايت كان فوق راسى ثلث سلال فيها الخبز والوان
الاطعمة وسباع الطير تنهش فيه نبئنا بتاويله اى اخبرنا بتفسيره وما يؤل اليه امره انا نراك من المحسنين اى توثر الاحسان
والافعال الجميلة قال الضحاك كان اذا ضاق على رجل مكانه وسع له وان احتاج جمع له وان مرض قام عليه وهو المروى عن ابى
عبد الله ع وقال الزجاج جاء فى التفسير انه كان يعين المظلوم وينصر الضعيف ويعود العليل قال وقيل من المحسنين اى ممن يحسن
تاويل الرؤيا قال وهذا دليل على ان امر الرؤيا صحيح وانها لم تزل فى الامم السالفة وفى الحديث ان الرؤيا جزء من ستة واربعين جزء
من النبوة وتاويله ان الانبياء يخبرون بما سيكون فيكون المعنى انا نراك ونظنك ممن يعرف تعبير الرؤيا ومن ذلك قول امير
المؤمنين ع قيمة كل امرء ما يحسنه وقال ابو مسلم نراك من المحسنين الينا ان فسرت لنا الرؤيا وهو قول ابن اسحق ثم ذكر لهما يوسف
ما يدل على انه علم بتعبير الرؤيا فقال لا ياتيكما طعام ترزقانه فى منامكما الا نباتكما بتاويله فى اليقظة قبل ان ياتيكما التاويل فذلك

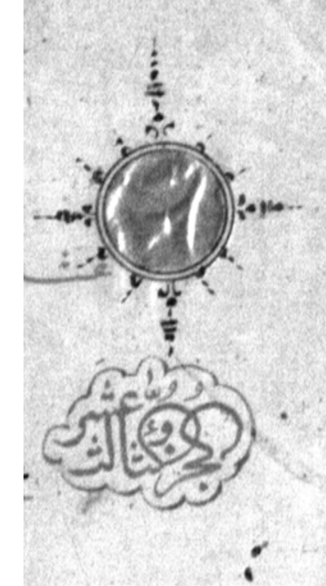
انه

انه كره ان يخبرهما بالتاويل لما على احدهما فيه من البلاء فاعرض عن سوالهما واخذ في غيره عن السدى وابن اسحق وقيل انه انما قدم هذا ليعلما ما
خصه الله تعـ به من النبوة وليقبلا عليه فقال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بصفة ذلك الطعام وكيفيته قبل ان ياتيكما كما قال عيسى
بن مريم وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم عن الحسن والجبائي ذلكما مما علمني ربي كانهما قالا له كيف عرفت تاويل الرؤيا ولست
بكاهن ولا عراف فاخبرهما انه رسول الله وان الله تعـ علمه ذلك وتعليمه تعـ قد يكون بان يفعل العلم في قلبه وقد يكون بالوحي وقد
يكون بنصب الادلة التي يدرك بها العلم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون معناه انه لا يستحق هذه الرتبة
الخطيرة الا المؤمنون المخلصون واني تركت طريقة قوم لا يؤمنون فلذلك خصني بهذه الكرامة واتبعت ملة آبائي اى شريعة آبائي
ابرهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء اى لا ينبغي لنا ونحن معدن النبوة واهل بيت الرسالة ان نَدين بغير التوحيد
ذلك اى التمسك بالتوحيد والبراءة من الشرك وقيل النبوة والعلم من فضل الله علينا بان خصنا بها وعلى الناس ايضا بارسالنا
اليهم وانباعهم ايانا واهتدائهم بنا ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعم الله تعـ وقد كان يوسف عم اقام فيما بينهم زمانا فلم يحك الله
سبحانه عنه انه دعا الى الدين وكانوا يعبدون الاصنام لانه لم يطمع منهم في الاستماع والقبول فلما رآهم عارفين باحسانه مقبلين
عليه رجا منهم القبول ودعاهم الى التوحيد على ما امره الله سبحانه به في قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقد روى ان
صاحبي السجن قالا له لقد احببناك حين رايناك فقال لا تحباني فوالله ما احبني احد الا دخل علي من حبه بلاء احبتني عمتي فنسبت الى
السرقة واحبني ابي فالقيت في الجب واحبتني امرأة العزيز فالقيت في السجن قوله تعالى يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ
اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۞ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ
إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا
وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۞ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ
فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۞ اربع آيات اللغة الصاحب الملازم لغيره على وجه
الاختصاص وهو خلاف ملازمة الاتصال ومنه اصحاب الشافعي واصحاب ابي حنيفه واصحاب النبي صلى الله عليه وآله لملازمتهم
وكونهم معه في حروبهم صاحبا السجن هما الملازمان له بالكون فيه القيم المستقيم واصله من قام يقوم والاستفتاء طلب الفتيا والبضع
القطعة من الدهر واصله من القطع والبضعة القطعة من اللحم ومنه الحديث فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها المعنى يا صاحبي السجن
هذا حكاية يوسف عم للمستفتيين له عن رؤياهما اي يا ملازمي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار اي ءاملاك متباينون
من حجر وخشب لا تضر ولا تنفع خير لمن عبدها ام الله الواحد القهار الذي اليه الخير والشر والنفع والضر وهذا ظاهره الاستفهام
والمراد به التقرير والزام الحجة والقهار هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل
الله بها من سلطان ابتداء الخطاب اثنين ثم خاطب بلفظ الجمع لانه قصد جميع من هو في مثل حالهما وقيل انه خطاب لجميع من في الحبس
ومعناه ان هذه الاصنام التي تعبدونها من دون الله وسميتموها باسماء الارباب والالهة هي اسماء فارغة عن المعاني لا حقيقة لها
ما انزل الله من حجة بعبادتها ان الحكم الا لله اى ما الحكم والامر الا لله فلا يجوز العبادة والخضوع والتذلل الا لله امر ان لا تعبدوا
الا اياه اى وقد امركم ان لا تعبدوا غيره ذلك اى ذلك الذي بينت لكم من توحيده وعبادته وترك عبادة غيره الدين القيم اى الدين
المستقيم الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون قال ابن عباس ما للمطيعين من الثواب والعاصين من العقاب وقيل
لا يعلمون صحة ما اقوله لعدولهم عن النظر والاستدلال ثم عبر عم رؤياهما فقال يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا بدا بما هو الاهم
وهو الدعاء الى توحيد الله وعبادته واظهار معجزته ثم بتعبير رؤيا الساقي فروى انه قال اما العناقيد الثلثة فانها ثلثة ايام تبقى في السجن
ثم يخرجك الملك اليوم الرابع فتعود الى ما كنت عليه واجرى على مالكه صفة الرب لانه عبده فاضافه اليه كما يقال رب الدار ورب
الضيعة واما الآخر فيصلب فتاكل الطير من راسه يريد بالآخر صاحب الطعام روي انه قال له بئس ما رايت اما السلال الثلاث
فانها ثلثة ايام تبقى في السجن ثم يخرجك الملك فيصلبك فتاكل الطير من راسك فقال عند ذلك ما رايت شيئا وكنت العب فقال يوسف

قضى الامر الذي فيه تستفتيان اى فرغ من الامر الذي تسألان وتطلبان معرفته وما قلته لكما فانه نازل بكما هو الكاين لا محالة وفي
ذلك دلالة على انه كان يقول ذلك على وجه الاخبار عن الغيب بما يوحي اليه لا كما يعبر احدنا الروية على جهة التاويل وقال يوسف للذي
ظن انه ناج منهما معناه للذي علم من طريق الوحي انه ناج اى متخلص كما فى قوله ظننت انى ملاق حسابيه هذا قول الاكثرين واختيار
الجبائى وقال قتادة للذى ظنه ناجيا لم يحكم بصدقه فيما قصه من الرؤيا والقول الاول اصح اذكرنى عند ربك اى اذكرنى عند سيدك بانى محبوس
ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه يعنى انسى الشيطان يوسف ع ذكر الله تعالى فى تلك الحال حتى استغاث بمخلوق فالتمس من الناجي
منهما ان يذكره عند سيده وكان من حقه ان يتوكل فى ذلك على الله تع فلبث فى السجن بضع سنين اى سبع سنين عن ابن عباس وروى
ذلك عن على بن الحسين وابى عبد الله عليهم السلم وقيل معناه فانسى الشيطان الساقى ذكر يوسف عند الملك فلم يذكره حتى لبث فى السجن
عن الحسن ومحمد بن اسحق والجبائى وابى مسلم وعلى هذا فتقديره فانساه الشيطان ذكر يوسف عند ربه وقد روى عن النبى صلى الله عليه
واله انه قال عجبت من اخى يوسف كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق وروى انه عليه السلم قال لولا كلمته ما لبث فى السجن طول ما
لبث يعنى قوله اذكرنى عند ربك ثم قال الحسن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الله وروى عن ابى عبد الله ع قال جاء جبرائيل ع فقال يا يوسف من جعلك
احسن الناس قال ربى قال فمن حببك الى ابيك دون اخوتك قال ربى قال فمن ساق اليك السيارة قال ربى قال فمن صرف
عنك الحجارة قال ربى قال فمن انقذك من الجب قال ربى قال فمن صرف عنك كيد النسوة قال ربى قال فان ربك يقول فما دعاك الى
ان تنزل حاجتك بمخلوق دونى البث فى السجن بما قلت بضع سنين وعنه فى رواية اخرى قال فبكى يوسف ع عند ذلك حتى بكى لبكائه
الحيطان فتأذى ببكائه اهل السجن فصالحهم على ان يبكى يوما ويسكت يوما فكان فى اليوم الذي يسكت فيه اسوء حالا والقول فى ذلك
ان الاستعانة بالعباد فى دفع المضار والتخلص من المكاره جائز غير منكر ولا قبيح بل ربما يجب وكان نبينا ص يستعين فيما ينوبه بالمهاجرين
والانصار وغيرهم ولو كان قبيحا لم يفعله فلو صحت هذه الروايات فانما عوتب عليه فى ترك عادته الجميلة فى الصبر والتوكل
على الله فى كل اموره دون غيره وقتاما ابتلى وتشديدا للمحنة وانما كان قبيحا لو ترك التوكل على الله سبحانه واقتصر على غيره وفى هذا
ترغيب فى الاعتصام بالله تعالى والاستعانة به دون غيره عند نزول الشدايد وان جاز ايضا ان يستعان بغيره واختلف فى البضع
فقال بعضهم ان البضع ما بين الثلث والخمس عن ابى عبيدة وقيل الى السبع عن قطرب وقيل الى السبع عن الاصمعى ذكره الزجاج
وقول قطرب مروى عن مجاهد وقول الاصمعى مروى عن قتادة وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع
فى الآية سبع سنين قال الكلبى وهذه السبع سوى الخمس التى كان قبل ذلك وروى عن ابى عبد الله ع قال علم جبرائيل ع يوسف فى
محبسه فقال قل فى دبر كل فريضة اللهم اجعل لى فرجا ومخرجا وارزقنى من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب وروى شعيب العقرقوفى
عنه ع قال لما انقضت المدة واذن الله له فى دعاء الفرج وضع خده على الارض ثم قال اللهم ان كانت ذنوبى قد اخلقت وجهى
عندك فانى اتوجه اليك بوجه ابائى الصالحين ابرهيم واسحق ويعقوب ففرج الله عنه فقال قلت جعلت فداك اندعوا نحن بهذا
الدعاء فقال ادعوا بمثله اللهم ان كانت ذنوبى قد اخلقت وجهى عندك فانى اتوجه اليك بنبيك نبى الرحمة وعلى وفاطمة والحسن
والحسين والائمة عليهم السلم قوله تعالى وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ
الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ * وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ
بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ
سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ * سبع ايات القراءة
قرا حفص دأبا بفتح الهمزة والباقون بسكونها وقرا تعصرون بالتاء اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وفى الشواذ قراءة ابن عباس
وابن عمر غلاف والضحاك وقتادة وزيد بن علي ع ادكر بعد امه بالهاء وقراءة الاشهب العقيلى بعد امة بكسر الهمزة وقرا جعفر بن محمد ع

وسبع سنابل وقرا ايضا ما قربتم لهن وقرا هو والاعرج وعيسى بن عمر وفيه يعصرون بياء مضمومة وصاد مفتوحة الحجة قال ابو علي انتصب دابا
بما دل عليه تزرعون وفيه علاج وذوب فكانه قال يذابون فانتصب دابا لانه المصدر ولعل الفتح لغة فيه فيكون كسمع وسمع ونهر ونهر
يعصرون يحتمل امرين احدهما ان يكون من العصر الذي يراد به الضغط الذي يلحق ما فيه دهن او ماء نحو الزيتون والسمسم والعنب ليخرج
ذلك منه وهذا يمكن ان يكون تاويل الاية من المتاولين ومن يحكى انهم لم يعصروا اربع عشرة سنة زيتا ولا عنبا فيكون المعنى يعصرون للخصب
الذي اتاكم كما كنتم تعصرون ايام الخصب من قبل الجدب الذي دفعتم اليه ويكون تعصرون من العصر الذي هو الالتجاء الى ما يقدر به النجاة
قال ابن مقبل وصاحبتي ذهوب مستهل رحيل يحول بين حمار الوحش والعصر اي يحول بينه وبين الملجأ الذي يقدر به النجاة وقال ابو زبيد
الطائي صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود وقال ابو عبيدة يعصرون ينجون وانشد للبيد فبات واسرى القوم اخر ليلهم
وما كان وقافا بغير معصر فاما من قال يعصرون فانه جعل الفاعلين الناس لان ذكرهم قد تقدم ومن قرا تعصرون بالتاء وجه الخطاب
الى المستفتين الذين قالوا افتنا ويجوز ان يريدهم وغيرهم الا انه غلب الخطاب في الغيبة كما يغلب التذكير على التانيث واما الامه فهو
النسيان يقال امه يامه امها اذا نسي انشد ابو عبيدة امهت وكنت لا انسى حديثا كذاك الدهر يودي بالعقول والامه النعمة فيكون المراد
بعد ان انعم الله عليه بالنجاة واما يعصرون بضم الياء فانه يجوز ان يكون من العصرة والعصر للنجاة ويجوز ان يكون من عصرت السحاب
ماءها عليهم وفي كتاب علي بن ابرهيم عن ابي عبد الله ع قال قرا رجل على امير المومنين ع هذه الاية فقال يعصرون بالياء وكسر الصاد فقال
ويحك واي شيء يعصرون ايعصرون الخمر فقال الرجل يا امير المؤمنين كيف اقراها قال عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون مضمومة
الياء مفتوحة الصاد اي يمطرون بعد سني المجاعة ويدل عليه قوله وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا اللغة الملك الواسع المقدور الذي
اليه السياسة والتدبير الرؤيا ما يراه النايم ويرجع الى الاعتقاد ثم تكون على وجوه منها ما يكون من الله تعالى وملائكته وهو الذي له تعبير
وتاويل ومنها ما يكون من الشيطان لا تاويل له ومنها ما يكون من جهة النايم او اعتقاد اثر او يكون بقية اعتقاد كان اعتقده والعجف ذهاب
السمن والذكر اعجف والانثى عجفاء وجمعهما عجاف ولا يجمع افعل على فعال الا هذا والعبر والتعبير تفسير الرؤيا وهو من عبر النهر يعبره
والاضغاث الاحلام الملتبسة والضغث الحزمة من كل شيء قال الزبيدي الضغث ملء اليد من حشيش ومنه خذ بيدك ضغثا اي
قبضة والفعل منه اضغث وقيل الضغث خلط قش اليد وهو غير متشاكل ولا متلايم فشبهوا به تخليط المنام والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا
في النوم ويقال حلم يحلم حلما واحتلم فهو حالم والحلم بكسر الحاء ضد الطيش وهو الاناة وكان اصله حلم النوم من هذه الاية حال اناة
وسكون وتاويل الرؤيا تفسير ما يؤول اليه معناه وتاويل كل شيء تفسيره ما يؤول اليه معنى الكلام والادكار افتعال من الذكر واصله اذتكار
فلكن التاء ابدل منها الذال وادغمت الذال في الدال ويجوز اذكر بالذال ايضا الا ان الاجود الدال وهو طلب الذكر ونظيره الاستذكار
والتذكر والامة الجماعة يؤم امرا والامة المدة وهي الجملة من الحين والصديق الكثير الصدق للحق وقيل هو الكثير الصدق وفعيل بناء المبالغة
والكثرة والفتيا جواب عن حكم المعنى وقد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا يكون فتيا والزرع القاء البذر في الارض للنبات ومنه المزارعة
بالثلث او الربع وتسمى المخابرة ايضا وهي ماخوذة من فعل اهل خيبر والداب العادة يقال داب يداب دابا ويقال داب في عمله يداب دوبا
اجتهد وادابته انا ادابا وذر ودع بمعنى لم يجئ منها لفظة الماضي استغني عن ذلك بترك والشدة والصلابة والصعوبة نظاير وقيل
الشدة تكون في سبعة اصناف في العقد والمد والزمان والغضب والالم والشراب والبدن والاحصان مثل الاحراز حصنه احصانا
جعله في حرز والغوث هو نفع ياتي على شدة حاجة ينفي المضرة ومنه الغيث المطر الذي ياتي في وقت الحاجة قال الازهري غاث الله
البلاد يغيثها وقد غيثت الارض فهي مغيثة ومغيوثة والغيث الكلاء ينبت من ماء السماء وجمعه غيوث والغياث اصله الواو ومنه
الغوث وغوث تغويثا اذا قال واغوثاه ومنه يغيثني ويغاث يحتمل ان يكون من الواو ويحتمل ان يكون من الياء الاعراب ان كنتم
للرؤيا تعبرون هذه اللام دخلت لتبين المعنى ان كنتم تعبرون ثم بين باللام فقال للرؤيا عن الزجاج وهذه اللام تزاد في المفعول به
اذا تقدم على الفعل تقول عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت وقد جاء مثله في قوله للذين هم لربهم يرهبون وقد جاء فيما ليس بمقدم من المفعول نحو
قوله ردف لكم واخر لا ينصرف لانه صرف عن جهة صواحبها التي جاءت بالالف واللام وهذه جاءت خاصة بغير الف ولام فكانها عدلت

عن وجهها تقول هذه النسوة الوسط والكبر ولا تقول وسط ولا كبر فيقال نسوة آخر فلما فارقت اخواتها ترك صرفها وموضعه في الآية الرابعة
جر وتقديره في آخر اضغاث احلام تقديره هي اضغاث احلام يوسف المراد به يا يوسف ويجوز حذف حرف النداء في المنادى المفرد العلم تقول
يا زيد اقبل وزيدا اقبل قال محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من نفس وبالا اراد يا محمد المعنى ثم اخبر سبحانه عن سبب نجاة يوسف ع
من السجن وهو انه لما قرب الفرج رأى الملك رؤيا هالته واشكل تعبيرها على قومه حتى عبرها يوسف ع فقال سبحانه وقال الملك اني ارى
سبع بقرات سمان يعني وقال ملك مصر وهو الوليد بن ريان والعزيز وزيره فيما رواه الاكثرون اني ارى في منامي سبع بقرات سمان
ياكلهن سبع اي سبع بقرات اخر عجاف اي مهازيل فدخلت السمان في بطون المهازيل حتى لم ار منهن شيئا وسبع سنبلات خضر اي
وارى في منامي سبع سنبلات قد انعقد حبها واخرى وسبعا اخر يابسات قد استحصدن فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن
عليها يا ايها الملأ اي جمع الاشراف وقيل جمع السحرة والكهنة وقص رؤياه عليهم وقال يا ايها الاشراف اي الجماعة افتوني في رؤياي اي عبر
وا ما رايت في منامي وبينوا لي الفتوى فيه وهو حكم الحادثة ان كنتم للرؤيا تعبرون معناه ان كنتم عابرين للرؤيا وقيل ان اللام تفيد
معنى الى اي ان كنتم توجهون العبارة الى الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اباطيل احلام عن الكلبي وقيل تخاليط احلام عن قتادة
والمعنى هذه منامات كاذبة لا يصح تاويلها وما نحن بتاويل الاحلام التي هذه صفتها بعالمين وانما نعلم بتاويل ما يصح وكان جهل الملأ
بتاويل رؤيا الملك سبب نجاة يوسف ع لان الساقي تذكر حديث يوسف ع فجثا بين يديه وقال يا ايها الملك اني قصصت انا وصاحب
الطعام على رجل في السجن منامين وصدق في جميع ما وصف فان اذنت مضيت اليه واتيتك من قبله بتفسير هذه الرؤيا فذلك
قوله وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون عن الكلبي وقوله وادكر بعد امة معناه تذكر شان يوسف
وما وصاه به بعد حين من الدهر وزمان طويل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وههنا حذف يدل الكلام عليه وهو فارسلوه
الى يوسف فارسل فاتى يوسف في السجن فقال له يوسف ايها الصديق اي الكثير الصدق فيما يخبر به افتنا في سبع بقرات سمان الى
قوله يابسات فان الملك رأى هذه الرؤيا واستبهم تاويلها لعلي ارجع الى الناس يعني الملك واصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير
رؤياه لعلهم يعلمون فضلك وعلمك فيخرجوك من السجن وقيل لعلهم يعرفون تاويل رؤيا الملك قال يوسف في جوابه معبرا ومعلما اما البقرات
السبع العجاف والسنابل السبع اليابسات فالسنون المجدبة واما السبع السمان والسبع السنابل الخضر فانهن سبع سنين مخصبات
ذات نعمة وانتم تزرعون فيها فذلك قوله قال تزرعون سبع سنين دابا اي فازرعوا سبع سنين متواليه عن ابن عباس اي ازرعوا على
في هذه السنين على عادتكم في الزراعة ساير السنين وقيل دابا اي بجد واجتهاد في الزراعة ويجوز ان يكون حالا فيكون معناه تزرعون دائبين
فما حصدتم من الزرع فذروه اي فاتركوه في سنبله لا تدوسوه ولا تذروه الا قليلا مما تاكلون وانما امرهم بذلك ليكون ابقى وابعد من الفساد
يعني ان ما اردتم اكله فدوسوه واتركوا الباقي في السنبل وقيل انما امرهم بذلك لان السنبل لا يقع فيه سوس ولا يهلك وان بقي مدة من
الزمان واذا صفي اسرع اليه الهلاك ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد اي سبع سنين مجدبات صعاب تشتد على الناس ياكلن ما
قدمتم لهن معناه ياكلون فيها ما قدمتم في السنين المخصبة لتلك السنين وانما اضاف الاكل الى السنين لانه يقع فيها كما قال الشاعر
نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم وسعيك فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهايم وقيل اراد
بالاكل الافناء والاهلاك كما يقال اكل السير لحم الناقة اي ذهب به قال زيد بن اسلم كان يوسف ع يصنع طعام اثنين فيقربه الى رجل
فياكل نصفه حتى اذا كان ذات يوم قربه اليه فاكله كله فقال هذا اول يوم من السبع الشداد الا قليلا مما تحصنون معناه الا شيئا
قليلا مما تحرزون وتدخرون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس معناه ثم ياتي من بعد هذه السنين الشداد عام فيه يمطر الناس
من الغيث وقيل يغاثون من الغوث والغياث اي ينقذون وينجون من القحط وفيه يعصرون الثمار التي تعتصر في الخصب كالعنب
والزبيب والسمسم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه ينجون من الجدب من العصرة والعصر والاعتصار الالتجاء قال عدي
بن زيد لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري وهذا القول من يوسف ع اخبار بما لم يسأل عنه ولم يكن في رؤيا
الملك بل هو مما اطلعه الله عليه من علم الغيب ليكون من آيات نبوته ع قال البلخي وهذا التاويل من يوسف م يدل على بطلان قول من يقول



ان الرؤيا على ما عبرت اولا لانهم كانوا قالوا اضغاث احلام فلو كان ما قالوه صحيحا لكان لا يتأولها قوله تعالى وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ

اربع آيات القراءة قرا ما بال النسوة بضم النون الاعشى والبرجمي عن ابي بكر عن عاصم والباقون بكسر النون وهما لغتان وقد تقدم ذكر قراءة ابي عمرو حاشا لله بالالف وقد مر بيانه اللغة الخطب الامر الذي يعظم شانه فيخاطب الانسان فيه صاحبه يقال هذا خطب جليل قال الزجاج حصحص الحق اشتقاقه من الحصة اي بانت حصة الحق وخفية حصة الباطل وقال غيره هو مكرر من قولهم حص شعره اذا استاصل قطعه وازاله عن الراس فيكون معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه ومثله قوله كبوا وكبكبوا وكف الدمع وكفكفه فهو زيادة تضعيف دل عليه الاشتقاق قال حصت البيضة راسي فما اطعم نوما غير تهجاع وحصحص البعير ثفناته في الارض اذا حركها حتى تستبين آثارها فيه قال حميد وحصحص في صم الحصى ثفناته ورام القيام ساعة ثم صمما والكيد الاحتيال سرا لايصال الضرر الى الغير الاعراب ذلك مرفوع على الابتداء وان شئت على خبر الابتداء كانه قال امري ذلك وموضع ما رحم ربي نصب على الاستثناء المعنى ثم اخبر سبحانه عن اخراج يوسف عم فقال وقال الملك ائتوني به وفي الكلام حذف يدل لظاهره عليه وهو فلما رجع صاحب الشراب وهو رسول الملك الى الملك بجواب يوسف وتعبيره رؤياه قال الملك ائتوني به اي بيوسف الذي عبر رؤياي فلما جاءه الرسول اي لما جاء يوسف عم رسول الملك فقال له اجب الملك فابى يوسف ان يخرج مع الرسول حتى يبين انه بري مما قرف به وقال للرسول ارجع الى ربك اي سيدك وهو الملك فسئله ما بال النسوة اي ما حالهن وشانهن والمعنى قل للملك ان يتعرف حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ليعلم صحة براءتي ولم يفرد امراة العزيز بالذكر حسن عشرة منه ورعاية ادب لكونها زوجة الملك او زوجة خليفة الملك فخلطها بالنسوة وقيل انه انما لم يذكرها دونها لانهن الشاهدات له عليها الا ترى انها قالت الآن حصحص الحق وهذا يدل على ان النسوة قد كن ادعين عليه نحو ما ادعته امراة العزيز قال ابن عباس لو خرج يومئذ قبل ان يعلم الملك حاله ما زالت في نفس العزيز منه حاكة كلما رآه قال هذا الذي راود امراتي وقيل اشفق يوسف من ان يراه الملك بعين مشكوك في امره متهم بفاحشة فاحب ان يراه بعد ان يزول من قلبه ما كان فيه وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه وقد لبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر انه كان حليما ذا اناة ان ربي بكيدهن عليم اي ان الله عالم بكيدهن قادر على اظهار براءتي وقيل ان سيدي العزيز عليم بكيدهن استشهده فيما علم من حاله عن ابي مسلم والاول هو الوجه قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه معناها ان الرسول رجع الى الملك واخبره بما قال يوسف فارسل الى النسوة ودعاهن وقال لهن ما شانكن وما امركن اذ طلبتن يوسف من نفسه ودعوتنه الى انفسكن قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء هذه كلمة تنزيه اي نزهن يوسف مما اتهم ولا كان منه خيانة ولا فعل شيئا مما نسب اليه واعترفن ببراءته وبانه حبس مظلوما قالت امراة العزيز الآن حصحص اي ظهر وتبين وحصل على امكن وجوهه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وكان معناه انقطع الحق عن الباطل لظهوره وبيانه انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي اعترفت بالكذب على نفسها فيما اتهم به يوسف وانما حملها على الصدق انقطاع طمعها منه وجمع الله ليوسف عم في اظهار براءته ونزاهته عما قرف به بين الشهادة والاقرار حتى لا يبقى موضع شك ذلك ليعلم هذا من كلام يوسف عم اي ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك اليه في شان النسوة ليعلم الملك او العزيز اني لم اخنه بالغيب في حال غيبته عن الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وابي مسلم واتصل كلام يوسف عم بكلام امراة العزيز اني لم اخنه بالغيب لظهور الدلالة على المعنى ونظيره قوله تعم وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وهو من كلام الملا

ثم قال فماذا تأمرون وهو حكاية قول فرعون قال الفراء وهذا من اغمض ما يأتي في الكلام ان يحكي عن واحد ثم يعدل الى قول آخر لم يجر له
ذكر وقيل بل هو من كلام امرأة العزيز اي ذلك الاقرار ليعلم يوسف اني لم اخنه في غيبته بتوريك الذنب عليه وان خنته بحضرته
وعند مشاهدته عن الجبائي وان الله لا يهدي كيد الخائنين اي لا يهديهم في كيدهم ومكرهم وما ابرئ نفسي هذا كلام يوسف عند اكثر
المفسرين وقيل هو من كلام المرأة عن الجبائي اي وما ابرئ النفس عن السوء والخيانة في امر يوسف ان النفس لامارة بالسوء اي كثيرة
الامر بالسوء والشهوة قد تدعو الانسان الى المعصية والالف واللام للجنس فيكون المعنى ان نفسي بهذه الصفة الا ما رحم ربي اي الا من
رحمه الله تعالى فعصمه بان لطف له فيكون ما بمعنى من كقوله ما طاب لكم ويجوز ان يكون معناه الا مدة ما عصم ربي ومن قال انه من
كلام يوسف قال انه اراد الدعاء والمنازعة والشهوة ولم يرد العزم على المعصية اي لا ابرئ نفسي مما لا يعرى منه طباع البشر وانما
امتنعت من الفاحشة بعون الله ولطفه وهدايته لا بنفسي قال الحسن وانما قال وما ابرئ نفسي لانه كره ان يكون قد زكى نفسه ان
ربي غفور لعباده رحيم بهم قوله تعالى وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين • قال
اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم • وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا
من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين • ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون • اربع آيات القراءة
قرا ابن كثير نشاء بالنون والباقون بالياء الحجة قال ابو علي من قرأ بالياء فيشاء مسند الى الغائب كما كان يتبوأ كذلك ويقوي ذلك
قوله واورثنا الجنة نتبوأ منها حيث نشاء فكما ان قوله نشاء وفق لفعل المتبوئين كذلك قوله حيث يشاء وفق لقوله يتبوأ ومن قرأ بالنون
فانه على احد وجهين اما ان يكون اسند المشية اليه وهي ليوسف في المعنى لان مشيته لما كانت بقوته واقداره عليها جاز ان ينسب
الى الله وان كانت ليوسف في المعنى كما قال سبحانه وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاضيف الرمي الى الله لما كان بقوته وان كان الرمي
للنبي صلى الله عليه وآله او ان يكون الموضع المتبوأ موضع نسك وقرب فالمكث فيه قربة الى الله تعالى فهو يشاؤه فاما اللام في قوله مكنا ليوسف
وقوله انا مكنا له في الارض فيجوز ان يكون على حد التي في قوله ردف لكم وللرؤيا تعبرون يدل على ذلك قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه
وقوله يتبوأ في موضع نصب على الحال تقديره ومكناه متبوأ حيث يشاء واما قوله حيث نشاء فيحتمل معه امرين احدهما ان يكون في موضع
نصب بانه ظرف والآخر ان يكون في موضع نصب بانه مفعول به ويدل على جواز هذا الوجه قول الشماخ وحلاها عن ذي الاراكة عامر اخو
الخضر يرمي حيث تكوى النواجر اللغة الاستخلاص طلب خلوص الشيء من شائب الاشتراك كانه يريد ان يكون خالصا له وفي حديث سلمان
الفارسي انه كاتب اهله على اربعين اوقية خلاصا اي ما اخلصته النار من الذهب وكذلك الخلاصة والمكين من المكانة واصله التمكن في الامر
يقال مكن مكانة فهو مكين اذا كان له قدرة وجاه يتمكن بهما مما يروم والتبوء اتخاذ منزل يرجع اليه واصله من باء يبوء اذا رجع المعنى
وقال الملك ائتوني معناه ان الملك لما تبين له امانة يوسف ع وبراءته من السوء امر باحضاره فقال ائتوني به استخلصه لنفسي اي ارجع اليه
في تدبير مملكتي واعمل على اشارته في مهمات اموري فلما كلمه ههنا حذف معناه فلما جاءه الرسول ودعاه وخرج من السجن ودخل على الملك
وكلمه وعرف فضله وامانته وعقله لانه استدل بكلامه على عقله وبعفته على امانته قال انك اليوم لدينا مكين امين اي انك عندنا ذو
مكانة في المنزلة والقدر نافذ القول والامر ظاهر الامانة مأمون ثقة قال ابن عباس يريد مكنتك من ملكي وجعلت سلطانك فيه كسلطاني
وائتمنتك فيه قال الكلبي ان رسول الملك جاءه فقال له قم فان الملك يدعوك والق ثياب السجن عنك والبس ثيابا جددا فاقبل
يوسف ع وتنظف من درن السجن ولبس ثيابه واتى الملك وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما رآه الملك شابا حدث السن قال يا غلام
هذا تأويل رؤياي ولم يعلمه السحرة ولا الكهنة قال فاقعده قدامه وقص عليه رؤياه وروي ان يوسف ع لما خرج من السجن دعا لاهله
وقال اللهم اعطف عليهم بقلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فلذلك يكون اصحاب السجن اعرف الناس بالاخبار في كل بلدة وكتب
على باب السجن هذا قبور الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء قال وهب ولما وقف بباب الملك قال حسبي
ديني من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره ولما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ
بك من شره وشر غيره ولما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف ع بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل عليه السلم

ثم

ثم دعا بالعبرانية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان آبائي قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان
اجابه بذلك اللسان فاعجب الملك ما رأى منه فقال له اني احب ان اسمع رؤياي منك شفاها فقال يوسف ع نعم ايها الملك رأيت
سبع بقرات سمان شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل وخرجن عليك من شاطيه تشخب اخلافهن لبنا فبينا انت تنظر اليهن وتعجبك
حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وخرج من حمأته ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف
ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسهن افتراس السباع فاكلن لحومهن
ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينا انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنابل خضر وسبع اخر سود في منبت واحد
عروقهن في الثرى والماء فبينا انت تقول في نفسك اني هذا وهؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن
في الماء اذ هبت ريح فذرت الاوراق من اليابسات السود على المثمرات الخضر فاشتعلت فيهن النار واحرقتهن وصرن سودا متغيرات
فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انتبهت من نومك مذعورا فقال الملك والله ما شان هذه الرؤيا وان كانت عجيبا باعجب مما سمعته
منك فما ترى في رؤياي ايها الصديق فقال يوسف ارى ان تجمع الطعام فتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتبني الاهراء والخزائن
فتجمع الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام
الذي جمعته لاهل البلدة ومن حولها ويأتيك الخلق من النواحي فيمتارون منك بحكمك ويجتمع عندك من الكنوز ما لا يجتمع لاحد
سواك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفيني الشغل فيه فعند ذلك قال يوسف اجعلني على خزائن الارض الالف
واللام للعهد دون الجنس يعني اجعلني على خزائن ارضك حافظا وواليا واجعل تدبيرها الي اني حفيظ اي حافظ لما استودعتني احفظه عن
ان يجري فيه خيانة عليم بمن يستحق منها شيئا ومن لا يستحق واضعها مواضعها عن قتادة وابن اسحق والجبائي وقيل حفيظ اي كاتب حاسب عن
وهب وقيل حفيظ لتقديره في هذه السنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع عن الكلبي وقيل حفيظ الحساب عليم بالالسن وذلك ان الناس
يفدون من كل ناحية يتكلمون بلغات مختلفة عن السدي وفي هذا دلالة على انه يجوز للانسان ان يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه فانه
ع عرف الملك حاله ليقيمه في الامور التي في ايالتها صلاح العباد والبلاد ولم يدخل بذلك تحت قوله سبحانه ولا تزكوا انفسكم فقال الملك ومن
احق به منك فولاه ذلك وقيل ان الملك الاكبر فوض اليه امر مصر ودخل بيته وعزل قطفير وجعل يوسف مكانه وقيل ان قطفير هلك في تلك
الليالي فزوج الملك يوسف راعيل امرأة العزيز فدخل بها يوسف ع فوجدها عذراء وقيل انه لم يزوجها يوسف وانها لما رأته في موكبه بكت وقالت
الحمد لله الذي جعل الملوك بالمعصية عبيدا وجعل العبيد بالطاعة ملوكا فضمها اليه فكانت من عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها وفي تفسير
علي بن ابرهيم بن هاشم قال لما مات العزيز وذلك في السنين المجدبة افتقرت امرأة العزيز واحتاجت حتى سألت الناس فقالوا لها ما يضرك لو
قعدت للعزيز وكان يوسف يسمى العزيز وكل ملك ملكهم سموه بهذا الاسم فقالت استحيي منه فلم يزالوا بها حتى قعدت له على الطريق فاقبل
يوسف ع في موكبه فقامت اليه زليخا وقالت سبحان من جعل الملوك بالمعصية عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فقال لها يوسف انت تيك
قالت نعم وكان اسمها زليخا فقال لها هل لك في النكاح قالت دعني بعد ما يئست اتهزأ بي قال لا قالت نعم قال فامر بها فحولت الى منزله وكانت
هرمة فقال لها يوسف ع الست فعلت بي كذا وكذا قالت يا نبي الله لا تلمني فاني بليت ببلاء لم يبل به احد قال وما هو قالت بليت بحبك
ولم يخلق الله لك نظيرا وبليت بانه لم يكن بمصر امرأة اجمل مني ولا اكثر مالا مني وبليت بزوج عنين فقال لها يوسف ع فما حاجتك قالت تسأل
الله ان يرد علي شبابي فسأل الله فرد عليها شبابها فتزوجها وهي بكر وروى عن ابن عباس عن رسول الله ص انه قال رحم الله اخي يوسف لو لم
يقل اجعلني على خزائن الارض لولاه من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة قال ابن عباس فاقام في بيت المال سنة فلما انقضت السنة من يوم سأل
الامارة دعاه الامير فتوجه ورداه بسيفه وامر بان يوضع له سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ويضرب عليه كلة من استبرق ثم امره
ان يخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك فعدل بين
الناس ناحية الرجال والنساء فذلك قوله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا عليه اقدرنا يوسف
على ما يريد في الارض يعني ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء اي يتصرف فيها وينزل منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء اي نخص بنعم

الدين والدنيا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين اى المطيعين وقيل الصابرين عن ابن عباس وقيل انه دعا الملك الى الاسلام فاسلم عن
مجاهد وغيره قالوا واسلم ايضا كثير من الناس فهذا فى الدنيا ولاجر الآخرة اى ثواب الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون لخلوصه عن
الشوايب والاقذار وفى هذا اشارة الى انه سبحانه يرى يوسف عم فى الاخرة من الثواب والدرجات ما هو خير مما اتاه الله فى الدنيا من
الملك والنعم سوال قالوا كيف جاز ليوسف عم ان يطلب الولاية من قبل الكفرة والظلمة وجوابه لانه علم انه يتمكن بذلك من الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر ووضع الحقوق مواضعها وقد جعل الله سبحانه جميع ذلك له من كونه نبيا اماما وكان يفعل ذلك من قبل الله تعالى
فانما سال الولاية ليتمكن من الامور التى يريد ان يفعلها وايضا فانه علم انه سبب يتوصل به الى الدعاء الى الخير والى رد اخوته والدبير
وفى الآية دلالة على ان ذلك التمكين والملك كان بلطف الله سبحانه وبفضله وفيها دلالة ايضا على جواز تولى القضاء من جهة الباغى والظالم
اذا كان يتمكن بذلك من اقامة احكام الدين وفى قوله يتبوأ منها حيث يشاء دلالة على ان تصرفه كان باختياره من غير رجوع الى الملك
وانه صار حيث لا امر عليه وفى كتاب النبوة بالاسناد عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن على بن بنت الياس قال سمعت الرضا عليه
واقبل يوسف عم على جمع الطعام فجمع فى السبع السنين المخصبة ما ملأ الخزاين فلما مضت تلك السنون واقبلت السنون المجدبة اقبل
يوسف على بيع الطعام فباعهم فى السنة الاولى بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم الا صار فى مملكة يوسف عم
وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلى ولا جوهر الا صار فى ملكية يوسف عم وباعهم فى السنة الثالثة بالدواب
والمواشى حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية الا صارت فى ملكته وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق بمصر ولا حولها
عبد ولا امة الا صار فى ملكته وباعهم فى السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار الا صار فى ملكته وباعهم
فى السنة السادسة بالمزارع والانهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة الا صار فى ملكته وباعهم فى السنة السابعة برقابهم حتى لم
يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر الا صار عبدا ليوسف عم فملك احرارهم وعبيدهم واموالهم وقال الناس ما رأينا ولا سمعنا بملك اعطاه الله
من الملك مثل ما اعطى هذا الملك حكما وعلما وتدبيرا ثم قال يوسف للملك ايها الملك ما ترى فيما خولنى ربى من ملك مصر واهلها اشر علينا
برايك فانى لم اصلحهم لافسدهم ولم انجهم من البلاء لاكون عليهم بلاء ولكن الله انجاهم على يدى قال له الملك الراى رايك قال يوسف انى
اشهد الله واشهدك ايها الملك انى اعتقت اهل مصر كلهم ورددت عليهم اموالهم وعبيدهم ورددت عليك ملكك وخاتمك وسريرك
وتاجك على ان لا تسير الا بسيرتى ولا تحكم الا بحكمى قال له الملك ان ذلك لشرفى وفخرى ان لا اسير الا بسيرتك وان لا احكم الا بحكمك ولولاك
ما قويت عليه ولا اهتديت له ولقد جعلت سلطانى عزيزا ما يرام وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك رسوله فاقم على ما
وليتك فانك لدينا مكين امين وقيل ان يوسف عم لم يمتلى من الطعام فى تلك الايام المجدبة فقيل له تجوع وبيدك خزاين الارض فقال
اخاف ان اشبع فانسى الجياع قوله تعالى وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ
بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ * فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي
وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ * وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا
إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * خمس آيات القراءة قرا اهل الكوفة غير ابى بكر لفتيانه والباقون لفتيته الحجة قال ابو على
الفتية جمع فتى فى العدد القليل والفتيان فى الكثير ومثله فى نسيه اخوه وولدة فى جمع اخ وولد وغيره ورتيعه فى جمع نار وقاع ومثل فتيان
برقان وخربان فى جمع برق وخرب وجيران وتيجان فى جمع جار وتاج وقد يقوم البناء الذى للقليل مقام الذى للكثير وكذلك يقوم الكثير
مقام القليل حيث لا قلب ولا اعلال وذلك نحو ارجل واقدام وارسان وفى الكثير قولهم ثلثة شسوع فاذا فعل ذلك فيما لا اعلال فيه فان
رفض ما يؤدى الى الاعلال والقلب اولى اللغة جهاز البيت متاعه وجهزت فلانا هيأت جهاز سفره ومنه جهاز المرأة والرحال اراد بها
الاوعية واحدها رحل وجمعه القليل ارحل قال ابن الانبارى يقال للوعاء رحل وللمسكن رحل واصله للشئ المعد للرحيل من وعاء المتاع
مركب البعير وحلس ورسن المعنى قيل انه لما تمكن يوسف بمصر واصاب الناس ما اصابهم من القحط وقصدوا مصر نزل بآل يعقوب
ما نزل بالناس فجمع يعقوب بنيه وقال لهم بلغنى انه يباع الطعام بمصر وان صاحبه رجل صالح فاذهبوا اليه فانه سيحسن بكم ان شاء الله تعالى

عشر

فجهزوا

فتجهزوا وساروا حتى وردوا مصر فدخلوا على يوسف ع فذلك قوله وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اى جاؤه
ليمتاروا من مصر كما امتار غيرهم فدخلوا عليه وهم عشرة وامسك يعقوب ع ابن يامين اخا يوسف ع فعرفهم يوسف وانكروه قال ابن
عباس وكان بين ان قذفوه فى الجب وبين ان دخلوا عليه اربعون سنة فلذلك انكروه ولانهم راوه ملكا جالسا على السرير عليه ثياب الملوك
ولم يكن يخطر ببالهم انه يصير الى مثل تلك الحالة وكان يوسف ع ينتظر قدومهم عليه فكان اثبت لهم فلما نظر اليهم وكلموه بالعبرانية قال
لهم من انتم وما امركم فانى انكرت شانكم وفى تفسير على بن ابرهيم فلما جهزهم واعطاهم واحسن اليهم فى الكيل قال لهم من انتم قالوا نحن قوم
من ارض الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادى فقالوا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن
اخوة بنوا اب واحد وهو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم خليل الرحمن ولو تعلم بابينا لاكرمتنا فانه نبى الله وابن انبياء وانه لمحزون فقال وما
الذى احزنه فلعل حزنه انما كان من قبل سفهكم وجهلكم عليه قالوا يا ايها الملك لسنا بسفهاء ولا جهال ولا اتاه الحزن من قبلنا ولكنه كان
له ابن اصغرنا سنا وانه خرج معنا يوما الى الصيد فاكله الذيب فلم يزل بعده حزينا كئيبا باكيا فقال لهم يوسف كلكم من اب وام قالوا
ابونا واحد وامهاتنا شتى قال فما حمل اباكم على ان سرحكم كلكم الاحبس واحدا منكم يستانس به قالوا قد فعل حبس منا واحدا وهو اصغرنا
سنا لانه اخ الذى هلك من امه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذى تقولون حق قالوا يا ايها الملك انا ببلاد لا يعرفنا احد فقال فاتونى
باخيكم الذى من ابيكم ان كنتم صادقين فانا ارضا بذلك قالوا ان ابانا يحزنه لفراقه وسنراوده عنه قال فدعوا عندى رهينة حتى تأتونى باخيكم
فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وقيل ان يوسف اختار شمعون لانه كان احسنهم رايا فيه فخلفوه عنده فذلك قوله ولما جهزهم
بجهازهم يعنى حمل لكل رجل منهم بعيرا بعدتهم قال ايتونى باخ لكم من ابيكم يعنى ابن يامين الا ترون انى اوفى الكيل اى لا ابخس الناس شيئا
واتم لهم كيلهم وانا خير المنزلين اى المضيفين ماخوذ من النزل وهو الطعام وقيل خير المنزلين للامور منازلها فدخل فيه الضيافة وغيرها
ماخوذ من المنزل وهو الدار فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى اى ليس لكم عندى طعام اكيله عليكم بالكيل المكيل ولا تقربون اى لا تقربوا
دارى وبلادى خلط عليهم الوعد بالوعيد قالوا سنراود عنه اباه اى نطلبه ونسأله ان يرسله معنا قال ابن عباس سنخدعه حتى نخرجه
معنا وانا لفاعلون ما امرتنا به قال وكان يوسف ع امر ترجمانا يعرف العبرانية ان يكلمهم وكان لا يكلمهم بنفسه ليشتبه عليهم فانهم لو
عرفوه ربما كانوا يهيمون فى الارض حياء من ابيهم ويتركون خدمته فكان فى معرفتهم اياه مفسدة وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم
فى رحالهم اى قال يوسف لعبيده وغلمانه الذين يكيلون الطعام عن قتادة وغيره وقيل لاعوانه اجعلوا ثمن طعامهم وما كانوا جاؤا
به فى اوعيتهم قيل كانت بضاعتهم النعال والادم وقيل كانت الورق عن قتادة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم اى يعرفون ثمنهم
اذا رجعوا الى اهلهم لعلهم يرجعون بعد ذلك لطلب الميرة مرة اخرى وانما فعل ذلك ليعلموا ان يوسف انما فعل ذلك اكراما لهم ليرجعوا
اليه وقيل انه خشى ان لا يكون معهم من الورق ما يرجعون به مرة اخرى عن الكلبى وقيل انه رأى لؤما اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته مع
حاجتهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تفضلا وكرما وقيل فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملهم على رد البضاعة اذا وجدوها فى
رحالهم ولا يعرفون ان الملك امر بذلك فيرجعون ليردوا ذلك عليه ومتى قيل كيف لم يعرفهم يوسف ع نفسه مع علمه بشدة حزن ابيه وقلقه
واحتراقه على الم فراقه فالجواب انه لم يؤذن له فى التعريف امتحانا للمحنة عليه وعلى يعقوب لما علم الله سبحانه من الحكمة والصلاح فى تشديد
البلية تعريضا للمنزلة السنية وقيل انما لم يعرفهم نفسه لانهم لو عرفوه ربما لم يرجعوا ولم يحملوا اخاه اليه والاول هو الوجه الصحيح قوله تعالى
فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ● قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ
عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ● وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ
رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ●
قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ●
اربع آيات القراءة قرا يكتل بالياء اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالنون وقرا خير حافظا بالالف اهل الكوفة غير ابى بكر والباقون حفظا بغير
الف وفى الشواذ قراءة علقمة ويحيى ردت الينا بكسر الراء الحجة قال ابو على يدل على النون فى نكتل قوله ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد

كيل بعير الا ترى انهم انما يميرون اهلهم بما يكتالون فيكون نكتل مثل نمير ولنفض فاذا قالوا نكتل جاز ان يكون اخوهم داخلا معهم واذا كان بالياء
لم يدخلوا هم فيه وزعموا ان قراءة عبد الله نكتل بالنون وكان النون لتن لهم منع منا الكيل لغيبة اخينا فارسله نكتل ما منعنا لغيبته ووجه
الياء ان يكتل حمله كما يكتال غيره احمالنا ووجه من قرا خير حفظا انه قد ثبت من قوله ونحفظ اخانا وقوله وانا له لحافظون انهم قد اضافوا
الى انفسهم حفظا فالمعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان منهم تفريط في حفظهم ليوسف كما ان قوله اين شركائي لم يثبت لله شريكا
وانما المعنى على الشركاء الذين نسبتموهم الي فكذلك المعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان منهم تفريط فيه فاذا كان كذلك
المعنى فالله خير حفظا من حفظكم ومن قرا حافظا فيكون حافظا منتصبا على التمييز دون الحال كما كان حفظا كذلك ولا يستحيل الاضافة
فالله خير حافظ وخير الحافظين كما يستحيل في خير حفظا فان قلت فهلا كان ثم حافظ كما ثبت انه كان حفظ بما تقدمه فالقول انه قد ثبت
انه كان حفظه خيرا من حفظكم ونقول هو احفظ حافظ كما نقول هو ارحم راحم لانه سبحانه من الحافظين كما كان من الراحمين واما
قوله ردت فان فعل من المضاعف والمعتل العين يجيء على ثلثة اوجه عندهم لغة فاشية واخرى تليها وثالثة قليلة فاقوى اللغات
في المضاعف ضم اوله كشد وعد ورد ثم يليه الاشمام وهو بين ضم الاول وكسره ثم قولهم شد ورد باخلاص الكسرة وهو الاقل واقوى
اللغات في المعتل العين كسر اوله نحو قيل وبيع ثم يليه الاشمام بين الضم والكسرة والثالثة اخلاص الضمة نحو قول وبوع وانشد لذي الرمة
دنا البين من مي فردت جمالها وهاج الهوى تقويضها واحتمالها اللغة يقال كلت فلانا اي اعطيته الشيء كيلا واكتلت عليه اخذت منه
والامن اطمينان القلب الى سلامة الامر يقال امنه يأمنه امنا والميرة الاطعمة التي تحمل من بلد الى بلد ويقال مرتهم ميرا اذا اتيتهم بالميرة
ومثله امترتهم امتيارا قال بغيتك مايرا فمكثت حولا متى ياتي غياثك من تغيث الاعراب قال الزجاج حفظا منصوب على التمييز وحافظا
على الحال ويجوز ان يكون حافظا على التمييز وما في ما نبغي استفهام موضعه النصب والمعنى اي شيء نريد ويكون المراد به الجحد ويجوز ان
يكون ما ايضا نفيا كانهم قالوا ما نبغي شيئا وموضع ان يحاط بكم نصب المعنى الا الاحاطة بكم اي لا تمتنعوا من الاتيان به الا لهذا وهذا يسمى
مفعولا له قال الزجاج والا هذه بمعنى تحقيق الجزاء يقول ما تأتي الا لاخذ الدراهم والا ان تأخذ الدراهم المعنى فلما رجعوا الى
ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل قيل انهم لما دخلوا على يعقوب وسلموا عليه سلاما ضعيفا فقال لهم يا بني ما لكم تسلمون سلاما ضعيفا
وما لي لا اسمع فيكم صوت شمعون قالوا يا ابانا انا جئناك من عند اعظم الناس ملكا ولم ير الناس مثله حكما وعلما وخشوعا وسكينة
ولئن كان لك شبيه انه شبيهك وكنا اهل بيت خلقنا للبلاء انه اتهمنا وزعم انه لا يصدقنا حتى ترسل معنا بابن يامين برسالة
تخبره عن حزنك وما الذي احزنك وعن سرعة الشيب اليك وذهاب بصرك وقوله منع منا الكيل معناه منع منا فيما يستقبل ان لم نأته
باخينا بقوله فلا كيل لكم عندي فارسل معنا اخانا ابن يامين نكتل اي نأخذ الطعام بالكيل اي ان ارسلته اكتلنا والا منعنا الكيل ومن
قرا يكتل بالياء فالمعنى يأخذ اخونا ابن يامين وقر بعير يكال له وانا له لحافظون من ان يصيبه سوء او مكروه قال يعقوب هل امنكم عليه الا
كما امنتكم على اخيه من قبل اي لا امنكم على ابن يامين في الذهاب به الا كامني على يوسف ضمنتم لي حفظه ثم ضيعتموه واهلكتموه وغيبتموه
عني وانما قرعهم بحديث والا فقد كان يعلم انهم في هذه الحال لا يفعلون ما لا يجوز فالله خير حافظا اي حفظ الله خير من حفظكم وهو
ارحم الراحمين يرحم ضعفي وكبر سني ويرده علي وعدد في الخبر ان الله سبحانه قال فوعزتي لاردنهما عليك بعد ما توكلت علي ولما فتحوا متاعهم
يعني اوعية الطعام وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي اي ما نطلب في منع اخينا منه وقيل معناه ما نطلب منه بما اخبرناك
عن ملك مصر الكذب وقيل معناه اي شيء نطلب وراء هذا اوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن عن قتادة ارادوا ان تطيب نفس يعقوب
فيبعث ابنه معهم وتم الكلام ثم قالوا ابتداء هذه بضاعتنا ردت الينا اي فلا ينبغي ان نخاف على اخينا ممن قد احسن الينا هذا
الاحسان وقيل المراد ما نريد دراهم تعطيناه نرجع بها اليه بل تكفينا في الرجوع اليه بضاعتنا هذه فان الملك اذا فعلنا ما امرنا به
في اخينا يفي بوعدنا فارسله معنا ونمير اهلنا اي نجلب اليهم الطعام ونحفظ اخانا في السفر حتى نرده اليك ونزداد كيل بعير لاجله
لانه كان لكل رجل وقر بعير ذلك كيل يسير اي ذلك كيل سهل اي يسهل على الذي يمضي اليه عن الزجاج والمعنى انه هين على الملك
لا يصعب عليه ولا يظهر في ماله وقيل معناه ان الذي جئناك به كيل قليل لا يقنعنا فنحتاج ان نضيف اليه كيل بعير اخينا عن الجبائي

وقيل يسير على من يكتاله لا مؤنة فيه ولا مشقة عن الحسن وهذا كله تنبيه منهم على وجه الصواب في ارساله معهم فلما رأى يعقوب ع رد
البضاعة وتحقق عنده اكرام الملك اياهم وعزم على ارسال ابن يامين معهم قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله اى تعطوني
ما اتوثق به من يمين او عهد من الله لتأتنني به اى لتردونه الي قال ابن عباس يعني حتى تحلفوا لي بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ان لا
تغدروا باخيكم ولتأتنني به اللام فيه جواب القسم الا ان يحاط بكم اى الا ان تهلكوا جميعا عن مجاهد وقيل الا ان تغلبوا حتى لا تطيقوا
ذلك عن قتادة والمعنى الا ان يحال بينكم وبينه حتى لا تقدروا على الاتيان به عن الزجاج فلما اتوه موثقهم اى اعطوه عهودهم وحلفوا
له بحق محمد ومنزلته من ربه عن ابن عباس قال يعقوب الله على ما نقول وكيل اى شاهد حافظ اى ان اخلفتم انتصف لي منكم وفي هذا دلالة
على وجوب التوكل على الله سبحانه في جميع المهمات والتفويض اليه في كل الامور وفيها دلالة ايضا على ان يعقوب ع انما ارسل ابن يامين معهم
لانه علم انهم لما كبروا ندموا على ما كان فرط منهم في امر يوسف ع ولم يصروا على ذلك ولهذا وثق بهم وانما غيرهم بحديث يوسف ع حالهم على
حفظ اخيهم قوله تعالى وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من
شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ۰ ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني
عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۰ آيتان اللغة
الغنى اصله الكفاية ومنه الغنى في المال لانه اكتفى به وبالمد لضرب من الشعر والغناء بكسر الغين والمد من الصوت يقال غني يغني غنا والغنا
بالفتح والمد الكفاية وغني عن كذا فهو غان وغني القوم في دارهم اقاموا والمغاني المنازل لانهم اكتفوا بها والغانية المرأة تكتفي بزوجها
عن غيره او بجمالها عن الزين المعنى ولما تجهزوا للمسير قال يعقوب يا بني لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة اخاف
عليهم العين لانهم كانوا ذوي جمال وهيئة وكمال وهم اخوة اولاد رجل واحد عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك والسدي وابي مسلم
وقيل خاف عليهم حسد الناس اياهم وان يبلغ الملك قوتهم وبطشهم فيحبسهم او يقتلهم خوفا على ملكه عن الجبائي وانكر العين وذكر
انه لم يثبت بحجة وجوزه كثير من المحققين ورووا فيه الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله ان العين حق والعين تستنزل الحالق والحالق
المكان المرتفع من الجبل وغيره فجعل ع العين كانها تحط ذروة الجبل من قوة اخذها وشدة بطشها وورد في الخبر انه ع كان يعوذ
الحسن والحسين عليهما السلم بان يقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وروى ان ابرهيم عليه السلم
عوذ ابنيه وان موسى ع عوذ ابني هارون بهذه العوذة وروى ان بني عبد الله بن جعفر كانوا غلمانا بيضا فقالت اسماء بنت عميس
يا رسول الله ان العين اليهم سريعة فاسترقي لهم من العين فقال ص نعم وروى ان جبرئيل ع رقى رسول الله ص وعلمه الرقية وهي
بسم الله ارقيك من كل عين حاسد الله يشفيك وروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين ثم
اختلفوا في وجه الاصابة بالعين فروي عن عمرو بن بحر الجاحظ انه قال لا ينكر ان ينفصل من العين الصائبة الى الشيء المستحسن اجزاء
لطيفة فتتصل به وتؤثر فيه فيكون هذا المعنى خاصة في بعض الاعين كالخواص في بعض الاشياء وقد اعترض على ذلك بانه لو كان
كذلك لما اختص ذلك ببعض الاشياء دون بعض ولان الاجزاء تكون جواهر والجواهر متماثلة ولا يؤثر بعضها في بعض وقال ابو هاشم انه فعل
الله تع بالعادة لضرب من المصلحة وهو قول القاضي ورأيت في شرح الشريف الاجل الرضي الموسوي قدس الله روحه كلاما اعجبت
وضعه في هذا الموضع قال ان الله تعالى يفعل المصالح بعباده على حسب ما يعلمه من صلاحهم في تلك الافعال التي يفعلها فغير ممتنع
ان يكون تغيير نعمة زيد مصلحة لعمرو واذا كان الله تع يعلم من حال عمرو انه لو لم يسلب زيدا نعمته اقبل على الدنيا بوجهه ونأى عن
الآخرة بعطفه واذا سلب نعمة زيد للعلة التي ذكرناها عوضه فيها واعطاه بدلا منها عاجلا او آجلا فيمكن ان يتأول قوله ع العين
حق من هذا الوجه على انه قد روى عنه ع ما يدل على ان الشيء اذا عظم في صدور العباد وضع الله تع قدره وصغر امره واذا كان على هذا
فلا ينكر تغيير بعض الناظرين اليه واستحسانه له وعظمه في صدره وفخامته في عينه كما روى انه قال لما سبقت العضباء وكانت اذا سوبق
بها لم تسبق ما رفع العباد من شيء الا وضع الله منه ويجوز ان يكون ما امر به المستحسن للشيء عند رؤيته من تعويذه بالله والصلوة على
رسول الله فانما في المصلحة بتغيير حال الشيء المستحسن فلا يغير عند ذلك لان الرائي لذلك قد اظهر الرجوع الى الله تع والاعادة فكانه غير راجع

ع ۲

الى الدنيا ولا معتبر بها انتهى كلامه رضى الله عنه وما اغنى عنكم من الله من شئ ان كان قد قضى عليكم بالاصابة بالعين او غير ذلك ان
الحكم الا لله اي ما الحكم الا لله عليه توكلت فهو القادر على ان يحفظكم من العين والحسد ويردكم على سالمين وعليه فليتوكل المتوكلون اي
ليفوضوا امورهم اليه وليثقوا به ولما دخلوا مصر من حيث امرهم ابوهم اى من ابواب متفرقة كما امرهم يعقوب عم وقيل كان لمصر اربعة ابواب
فدخلوها من ابوابها الاربعة متفرقين ماكان يغني عنهم من الله من شئ الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها اى لم يكن دخولهم مصر كذلك يغني
عنهم او يدفع عنهم ما اراد الله بهم تقاعه بهم من حسد او اصابة عين وهو عم كان عالما انه لا ينفع حذر من قدر لكن كان ما قاله لبنيه
حاجه فى قلبه فقضى يعقوب تلك الحاجه اى ازال بها اضطراب قلبه لان لا يحال على العين مكروه يصيبهم وقيل معناه ان العين لو قدر
ان تصيبهم لاصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم مجتمعين عن الزجاج قال حاجه استثناء ليس من الاول بمعنى لكن حاجه وانه لذو علم اي
انه لذو يقين ومعرفة بالله لما علمناه اى من اجل تعليمنا اياه عن مجاهد مدحه الله سبحانه بالعلم والمعنى انه حصل له العلم بتعليمنا اياه
وقيل وانه لذو علم لما علمناه اى تعلم ما علمناه فيعمل به لان من علم شيئا ولم يعمل به كان كمن لا يعلم فعلى هذا يكون اللام فى قوله لما علمناه كاللام فى قوله
للرؤيا تعبرون ولكن اكثر الناس لا يعلمون مرتبة يعقوب فى العلم عن الجبائى وقيل لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياءه عن ابن عباس
قوله تعالى فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ
السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ
وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ. قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ
كَاذِبِينَ. قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ
ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ
مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ثماني آيات القراءة فى الشواذ قراءة ابى رجا صوع الملك بفتح الصاد وقراءة عبد الله بن
عوف صوع بضم الصاد بغير الف وقراءة يحيى بن يعمر صوغ بفتح الصاد والغين معجمة وقراءة ابى هريرة ومجاهد صاع الملك والقراءة
المشهورة صواع وقراءة الحسن من وعاء اخيه بضم الواو وقراءة سعيد بن جبير اعاء اخيه وقراءة يعقوب وسهل يرفع ويشاء بالياء والباقون
بالنون وقرا اهل الكوفة درجات بالتنوين والباقون بغير التنوين وفى الشواذ قراءة ابن مسعود وفوق كل ذى عالم عليم الحجة الصواع والصاع
والصوع والصوع واحد وهو مكيال اما الصوغ فمصدر وضع موضع اسم المفعول اى المصوغ وهو مثل الخلق والصيد بمعنى المخلوق والمصيد
ومن قرا اعاء اخيه فاصله وعاء ابدلت الواو المكسورة همزة كما قالوا فى وسادة اسادة وفى وجاع للسير اجاع ومن قرا وعاء بالضم فانه يكون
لغة والهمزة فيه انيس كما قالوا اعده فى وعده واجوه فى وجوه ومن قرا درجات بالتنوين فان من يكون فى موضع نصب على معنى نرفع من نشاء
درجات ومن قراها بغير تنوين فان فى موضع جر بالاضافة وقال ابن جنى ان قراءة من قرا وفوق كل ذى عالم عليم يحتمل ثلثة اوجه احدها
ان يكون من باب اضافة المسمى الى الاسم اى وفوق كل شخص يسمى عالما او يقال له عالم عليم مثل قول الكميت اليكم بنى آل النبى تطلعت نوازع
من قلبى ظماء والباب اى اليكم يا آل النبى اى يا اصحاب هذا الاسم الذي هو آل النبى وعليه قول الاعشى فكذبوها بما قالت فصبحهم ذو آل حسان
يزجي الموت والشرعا اى صبحهم الجيش الذي يقال له آل حسان والوجه الثانى ان يكون عالم مصدرا اى كالباطل وغيره والثالث ان يكون على
مذهب من اعتقد زيادة ذي فكانه قال وفوق كل عالم عليم اللغة يقال آوى الى منزله يأوى اويا اذا صار اليه وآويته انا ايواء والابتئاس الاغتمام
واجتلاب البوس والحزن والسقاية الاناء التى يسقى بها وهو من السقى وقيل السقاية والصواع واحد والاذان والتأذين واحد وهو النداء
يسمع بالاذن ويقال اذنته بالشئ اى اعلمته واذنته اكثرت اعلامه والعير القافلة من الحمير وقيل هى القافلة التى فيها الاحمال والاصل
الحمير ثم كثر فسمى كل قافلة عيرا وقيل العير الابل السائرة المركبة والجمع عيرات والحمل بالكسر لما انفصل وبالفتح لما اتصل وجمعه احمال وحمول
والزعيم والكفيل والضمين نظائر والزعيم ايضا القائم بامر القوم وهو الرئيس قالت ليلى الاخيلية حتى اذا رفع اللواء رايته تحت اللواء
على الخميس زعيما الاعراب تالله معناه الله الا ان التاء تختص باسم الله لا يجوز تالرحمن وتربى وهو بدل من الواو كما ابدل من الواو فى تراث
وتجاه وتخمه قالوا جزاؤه من وجد فى رحله ذكر فى اعرابه وجهان احدهما ان يكون جزاؤه مبتدا ومن وجد فى رحله خبره ويكون المعنى جزاء

عشر

خمس

نصف الحزب

السرقة الانسان الموجود فی رحله السرقة ویکون قوله فهو جزاؤه جمله اخری ذکرت زیادة فی الابانة کما یقال جزاء السارق القطع فهو جزاؤه زاید
فی البیان وعلی هذا یکون من موصوله ویکون تقدیره واسترقاق الذی وجد فی رحله السرق فحذف المضاف والآخران یکون جزاؤه مبتداء
ومن وجد فی رحله فهو جزاؤه جملة شرطیة فی موضع الخبر والعاید علی المبتداء الاول من الجملة جزاؤه من قوله فهو جزاؤه کانه قال فهو هو ای
فهو الجزاء الا ان الاظهار ههنا احسن لئلا یقع فی الکلام لبس قال الزجاج ان العرب اذا فخمت امر الشئ جعلت العاید علیه اعادة اللفظ بعینه
وانشد لا اری الموت یسبق الموت شئ نغص الموت ذا الغنی والفقیرا وعلی هذا فیکون المعنی قالوا جزاء السرق ان وجد فی رحل رجل فالموجود
فی رحله السرق جزاؤه استرقاق وقال صاحب الکشاف تقدیره جزاؤ المسروق من وجد فی رحله ای انسان وجد الصاع فی رحله فمن نکرة
وهو مبتداء ثان وقوله وجد فی رحله صفه لمن وقوله فهو جزاؤه خبران والجملة خبر قوله جزاؤه والتقدیر جزاؤه انسان وجد فی رحله الصاع
فهو هو الا انه وضع الظاهر موضع المضمر قال ولیس فی التنزیل من نکرة الا هذا الموضع وموضع الکاف من کذلک کذا نصب بانه صفة مصدر
محذوف وموضع ان یشاء الله نصب لما سقطت الباء افضی الفعل الیها فنصب والتقدیر الا بمشیة الله المعنی ثم اخبر سبحانه عن دخولهم
علیه فقال ولما دخلوا علی یوسف آوی الیه اخاه ای لما دخل اولاد یعقوب ع علی یوسف ع ضم الیه اخاه من ابیه وامه ابن یامین وانزله
معه عن الحسن وقتاده وقیل انهم لما دخلوا علیه قالوا هذا اخونا الذی امرتنا ان ناتیک به فقال احسنتم ثم انزلهم واکرمهم ثم اضافهم
وقال لیجلس کل بنی ام علی مائدة فجلسوا فبقی ابن یامین قایما فردا فقال له یوسف ع ما لک لا تجلس قال انک قلت لیجلس کل بنی ام علی مائدة ولیس
لی فیهم ابن ام فقال یوسف اما کان لک ابن ام قال بلی قال یوسف فما فعل قال زعم هؤلاء ان الذیب اکله قال فما بلغ من حزنک علیه قال
ولد لی احد عشر ابنا کلهم اشتققت له اسما من اسمه فقال له یوسف اراک قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده قال ابن یامین ان لی
ابا صالحا وقد قال لی تزوج لعل الله یخرج منک ذریة تثقل الارض بالتسبیح فقال له یوسف ع تعال اجلس معی علی مائدتی فقالوا
لقد فضل الله یوسف واخاه حتی ان الملک اجلسه علی مائدته وروی ذلک عن الص ع قال انی انا اخوک ای اطلعه علی انه
اخوه وقیل انه قال له انا اخوک مکان اخیک الهالک ولم یعترف له بالنسبة ولم یطلعه علی انه اخوه ولکنه اراد ان یطیب نفسه فلا
تبتئس بما کانوا یعملون ای فلا تذکره ولا تحزن لشئ سلف من اخوتک الیک عن وهب والشعبی فلما جهزهم بجهازهم ای فلما اعطاهم ما جاءوا
له والطلبة من المیرة وکال لهم الطعام الذی جاءوا لاجله وجعل لکل واحد منهم حمل بعیر وهو حمل التاجر جعل ای جعل السقایة فی رحل
اخیه معناه امر حتی جعل الصاع فی متاع اخیه وانما اضافه الله تعم ذلک الیه لوقوعه بامره وقیل ان السقایة هی المشربة التی کان یشرب منها
الملک ثم جعل صاعا فی السنین الشداد القحط یکال به الطعام وقیل کان من ذهب عن ابن زید وروی ذلک عن ابی عبد الله ع وقیل کان من
فضة عن ابن عباس والحسن وقیل کان من فضة مرصع بجواهر عن عکرمة ثم ارتحلوا وانطلقوا ثم اذن مؤذن ای نادی منادی مسمعا معلنا
ایتها العیر القافلة والتقدیر یا اهل العیر وقیل کانت القافلة من الحمیر عن مجاهد انکم لسارقون قیل انما قال ذلک بعض من فقد الصاع
من قومه من غیر امره ولم یعلم بامر یوسف من جعل الصاع فی رحالهم عن الجبائی وقیل ان یوسف امر المنادی بان ینادی به ولم یرد سرقة
الصاع وانما عنی بذلک انکم سرقتم یوسف من ابیه والقیتموه فی الجب عن ابی مسلم وقیل ان الکلام یجوز ان یکون خارجا مخرج الاستفهام
کانه قال انکم لسارقون فاسقط همزة الاستفهام کما فی قول الشاعر کذبتک عینک ام رایت بواسط غلس الظلام من الرباب خیالا
وروی عن هشام بن الحکم عن ابی عبد الله ع انه قال ما سرقوا وما کذب ومتی قیل کیف جاز لیوسف ع ان یحزن والده واخوته بهذا الصنع
ویجعلهم متهمین بالسرقة فالجواب ان الغرض فیه التسبب الی احتباس اخیه عنده ویجوز ان یکون ذلک بامر من الله تعالی وروی
انه اعلم اخاه بذلک لیجعله طریقا الی التمسک به واذا کان ادخال هذا الحزن سببا مؤدیا الی ازالة غموم کثیرة عن الجمیع ولا شک انه
یتعلق به المصلحة فقد ثبت جوازه واما التعریض للتهمة بالسرقة فغیر صحیح لان وجود السقایة فی رحله یحتمل امورا کثیرة غیر السرقة مع علمه
بانهم اولاد الانبیاء توجهت اللائمة الیه قالوا ای قال اصحاب العیر واقبلوا علیهم ای علی اصحاب یوسف ماذا تفقدون ای ما الذی
تفقدونه من متاعکم قالوا نفقد صواع الملک ای صاعه وسقایته ولمن جاء به حمل بعیر ای قال المنادی من جاء بالصاع فله حمل بعیر من
الطعام وانا به زعیم ای کفیل ضامن قالوا ای اخوة یوسف ع تالله لقد علمتم ایها القوم ما جئنا لنفسد فی الارض وما کنا سارقین قط وانما اضافوا

العلم اليهم بذلك مع انهم لم يعلموه لان معنى هذا القول انكم قد ظهر لكم من حسن سيرتنا ومعاملتنا معكم مرة بعد اخرى ما تعلمون به انه ليس
من شاننا السرقة وقيل انهم قالوا ذلك لانهم ردوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم مخافة ان يكون قد وضع ذلك بغير اذن يوسف عليه
اى فاذا كنا تحرجنا عن هذا فقد علمتم انا لا نسرق الا من رد ما وجد لا يكون سارقا عن الكلبى وقيل انهم لما دخلوا مصر وجدوهم قد شدوا
افواه دوابهم كى لا تتناول الحرث والزرع وفى هذا دلالة على ان ما فعله اخوة يوسف ع به انما كان فى حال الصغر وعدم كمال العقل
لنفيهم عن انفسهم الفساد الذي هو ضد الصلاح قالوا فما جزاؤه اى قال الذين نادوهم فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين فى قولكم انا لم نسرق
وظهرت السرقة وقيل فما جزاء من سرق قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه اى قالوا اخوة يوسف جزاء السرق السارق وهو الانسان
الذي وجد المسروق فى رحله وقد بينا تفسيره فيما قبل ومعناه ان السنة فى بنى اسرائيل وعند الملك كان استرقاق السارق عن الحسن
والسدى وابن اسحق والجبائى وكان يسترق سنه وقيل كان حكم السارق فى آل يعقوب ان يستخدم ويسترق على قدر سرقته وفى دين
الملك الضرب والضمان عن الضحاك وقيل ان يوسف ع سالهم ما جزاء السارق عندكم قالوا ان يوخذ بسرقته كذلك نجزي الظالمين
اى مثل ما ذكرنا من الجزاء نجزي السارقين يعنى اذا سرق استرق وقيل ان ذلك جواب يوسف لقول اخوته ان جزاء السارق استرقاقه
فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه لانه لو بدأ بوعاء اخيه لعلموا انه هو الذى جعلها فيه وانما قال استخرجها
لانه اراد السقاية وحيث قال ولمن جاء به اراد به الصاع وقيل ان الصاع يذكر ويؤنث قالوا فاقبلوا على ابن يامين وقالوا له فضحتنا
وسودت وجوهنا متى اخذت هذا الصاع فقال وضع هذا الصاع فى رحلى الذي وضع الدراهم فى رحالكم كذلك كدنا ليوسف اي
مثل ذلك الكيد امرنا يوسف ليكيد بما يتهيا لان يحبس اخاه ليكون ذلك سبب الوصول خبره الى ابيه اى الهمنا يوسف هذا الكيد والحيلة
مجازيناهم على كيدهم بيوسف اى كما فعلوا فى الابتداء فعلنا بهم وقيل ان معنى كدنا صنعنا ليوسف عن ابن عباس وقيل الهمنا عن الربيع
وقيل دبرنا ليوسف بدلالة قوله وفوق كل ذي علم عليم على انه سبحانه علم من اصلاح هذا التدبير ما لم يعلمه غيره عن القتيبي ما كان لياخذ اخاه
فى دين الملك الا ان يشاء الله اى ما كان يمكنه ان ياخذ اخاه فى حكم الملك وقضائه ويحبسه اذ لم يكن فى حكم ملك مصر واهله عن قتادة
وقيل فى دين الملك فى سلطانه عن ابن عباس وقيل فى عادته فى جزاء من سرق ان يستعبد وقيل انه كان عادلا ولولا هذه الحيلة لما كان
يمكنه من اخذ اخيه الا ان يشاء الله ان يجعل ليوسف ع عذرا فيما فعل وقيل الا ان يشاء الله ان يامره بذلك لانه كان لا يمكنه ان يقول
هذا اخى وكان لا يمكنه حبسه من غير حيلة لانه كان يكون فعله ظلما وكان من سنة آل يعقوب ان يسترق وفى حكم الملك واهل مصر
ان يضرب ويغرم فحبسه يوسف على قولهم والتزم حكمهم الذي جرى على لسانهم مبالغة فى نفى السرقة عن انفسهم وكان ذلك [illegible]
وقد شاء الله لانه يامره عن الحبس وانما سماه كيدا لانه لولا هذا السبب لم يتهيا له اخذه والكيد ما يفعله فاعله ليوصل به الى غيره من
حيث لا يعلمه او لينال منه شيئا من غير ان يعلمه نرفع درجات من نشاء بالعلم والنبوة كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وقيل بالتوفيق
والتوفيق والعصمة والالطاف الجميلة وفوق كل ذى علم عليم يعنى ان كل عالما فان فوقه عالما اعلم منه حتى ينتهى الى الله تعالى العالم بجميع المعلومات
لذاته فيقف عليه ولا يتعداه وفى هذا دلالة على بطلان قول من يقول ان الله سبحانه عالم بعلم قديم لانه لو كان كذلك لكان فوقه عليم
على ما يقتضيه الظاهر قوله تعالى قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۞ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۞ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ
نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ۞ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ
أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۞ اربع آيات
اللغة اليأس قطع الطمع من الامر يقال يئس ييأس وآيس يأيس لغة واستفعل منه استيأس واستايس وروى ابو ربيعة عن
البزى عن ابن كثير فلما استايسوا واستايس الرسل ويأس واستيأس بمعنى مثل سخر واستسخر وعجب واستعجب وانتجى القوم يتناجون الواحد
والجميع منه سواء قال سبحانه وقربناه نجيا وانما جاز ذلك لانه مصدر وصف به والمناجاة المسارة واصله من النجوة وهو المرتفع من
الارض فكانه رفع السر من كل واحد الى صاحبه فى خفية والنجوى يكون اسما ومصدرا قال سبحانه واذ هم نجوى اي متناجون قال فى المصدر

ع ٣ عشر

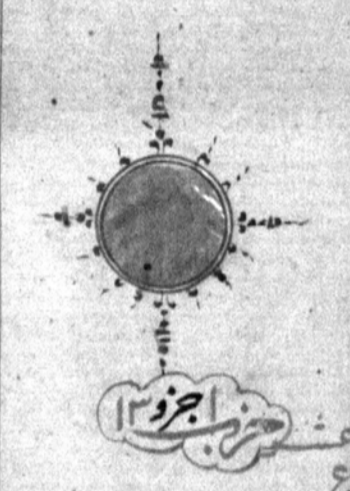
انما النجوى

انما النجوی من الشیطان وجمع النجی انجیه قال الی القوم کانوا انجیه وبرح الرجل براحا اذا تنحی عن موضعه الاعراب فاسرها یوسف
فی نفسه ولم یبدها لهم قال الزجاج هذا اضمار علی شریطة التفسیر لان قوله قال انتم شر مکانا بدل من ها فی فاسرها والمعنی فاسر یوسف فی نفسه
قوله انتم شر مکانا قال ابو علی ان الاضمار علی شریطة التفسیر یکون علی ضربین احدهما ان یفسر بمفرد نحو نعم رجلا زید فتق لک رجلا تفسیر للرجل
الذی هو فاعل نعم وقد اضمر والآخر ان یفسر بجملة واصل هذا یقع فی الابتداء کقوله فاذا هی شاخصة ابصار الذین کفروا وقل هو الله احد
القصة ابصار الذین کفروا شاخصة والامر الله احد ثم یدخل عوامل المبتداء علیه نحو کان وان واخواتهما فینتقل هذا الضمیر من الابتداء بها
کما ینتقل سایر المبتداءات کقوله انه من یات ربه مجرما فانها لا تعمی الابصار وقول الشاعر ولیس منها شفاء الداء مبذول والذی ذهب ابو
اسحق فیه الی انه مضمر علی شریطة التفسیر لیس مبتداء فیلزمه التفسیر بالجملة الا تری انه فصله مذکور بعد فعل فاعل وهو قوله اسر
فاذا کان مباینا لما اصله المبتداء لم یجز ان یفسر تفسیره ولا یکون منقطعا عنها ولا متعلقا بجملة غیرها واما ما ذکره ابو اسحق فالتفسیر فیه منفصل
عن الجملة التی فیها الضمیر الذی زعم انها اضمار علی شریطة التفسیر فخرج بذلک عما یکون علیه الاضمار قبل التفسیر فان قلت فعلام یحمل
الضمیر فی اسرها قلنا یحتمل ان یکون اضمار الاجابة کانهم قالوا ان یسرق فقد سرق اخ له من قبل اسر یوسف اجابتهم فی نفسه ولم یبدها
فی الحال وجاز اضمار ذلک ما تقدم لانه دل من مقالتهم علیه وجاز ان یکون اضمار المقالة کانه اضمر یوسف مقالتهم لان القول والمقالة
واحد ویکون معنی المقالة للقول کان الخلق عبارة عن المخلوق ای اکنها یوسف واوعاها ولم یطرحها ارادة للتوبیخ علیها والمجازاة بها
انتهی تلخیص کلام ابی علی وقوله شیخا صفة للاب وکبیرا صفة لشیخ ومعاذ الله منصوب علی المصدر والعرب تقول معاذ الله ومعاذة
الله وعوذ الله وعوذة الله وعیاذ الله ویقولون اللهم عایذا بک ای اعوذ عایذا بک وان ناخذ فی موضع نصب والمعنی اعوذ بالله
من اخذ احد الا من وجدنا متاعنا عنده فلما سقطت من افضی الفعل فنصب عن الزجاج وقوله انا اذا لظالمون فیه معنی الجزاء ای
ان اخذنا غیره فنحن ظالمون ونجیا نصب علی الحال وما فی قوله ما فرطتم فی لغوای ومن قبل فرطتم ویجوز ان تکون مصدریة فی موضع رفع
بمعنی تفریطکم واقع من قبل فیکون ما فرطتم فی یوسف فی موضع رفع بالابتداء ومن قبل خبره ویجوز ان یکون فی موضع نصب عطفا علی
انه فیکون المعنی الم تعلموا ان اباکم قد اخذ علیکم موثقا من الله وتفریطکم فی یوسف ویحکم عطف علی یاذن ویجوز ان یکون بمعنی الا ان
ای لن ابرح الارض الا ان یحکم الله لی المعنی ثم اخبر سبحانه عن اخوة یوسف انهم قالوا لیوسف ان یسرق ابن یامین فقد سرق اخ له
من امه من قبل فلیست سرقته بامر بدیع فانه اقتدی باخیه یوسف واختلف فیما وصفوه به من السرقة علی اقوال فقیل ان عمة یوسف
کانت تحضنه بعد وفاة امه وتحبه حبا شدیدا فلما ترعرع اراد یعقوب ع ان یسترده منها وکانت اکبر ولد اسحق وکانت لها منطقة
اسحق ع وکانوا یتوارثونها بالکبر فاحتالت وجاءت بالمنطقة وشدتها علی وسط یوسف ع وادعت انه سرقها وکان من سنتهم
استرقاق السارق فحبسته بذلک السبب عندها عن ابن عباس والضحاک والجبائی وقد ورد ذلک عن ائمتنا علیهم السلم وقیل انه سرق صنما
لجده من قبل امه فکسره والقاه علی الطریق عن سعید بن جبیر وقتادة وابن زید وقیل انه سرق دجاجة کانت فی بیت یعقوب علیه السلم
واعطاها سایلا فعابوه بها عن سفین بن عیینه ومجاهد فاسرها یوسف فی نفسه ای فاخفی یوسف تلک الکلمة التی قالوها ولم یبدها
لهم ای لم یظهرها قال انتم شر مکانا فی السرق لانکم سرقتم اخاکم من ابیکم والله اعلم بما تصفون ای الله اعلم اسرق اخ له ام لا عن الزجاج و
یکون المعنی انتم اسوء حالا من یوسف فانه لم یکن له صنیع فی المنطقة وکان یتصدق باذن ابیه ولم تکونوا براء مما عاملتموه به وقیل
معناه انتم اشر صنیعا بما اقدمتم علیه من ظلم اخیکم وعقوق ابیکم فانتم شر مکانا عند الله منه ای اسر هذه المقالة فی نفسه ثم جهر بقوله
والله اعلم بما تصفون قال الحسن لم یکونوا انبیاء فی ذلک الوقت وانما اعطوا النبوة بعد ذلک والصحیح عندنا انهم لم یکونوا انبیاء لان
النبی عندنا لا یجوز ان یقع منه فعل القبیح اصلا وقال البلخی انهم کذبوا فی هذا القول ولم یصح انهم کانوا انبیاء وجوز ان یکون الاسباط
غیرهم او ان یکونوا من اولادهم قالوا یا ایها العزیز ان له ابا شیخا کبیرا فخذ احدنا مکانه ای بدلا عنه انما قالوا هذا لما علموا انه استحقه
فسالوه ان یاخذ عنه بدلا شفقة علی والدهم وتقولوا فی القول علی وجه الاسترحام ومعناه کبیرا فی السن وقیل کبیرا فی القدر لا یحبس
بلد مثله انا نریک من المحسنین الی الناس وقیل من المحسنین الینا فی الکیل ورد البضاعة وفی الضیافة فنحن نامل هذا منک

لاحسانك الينا وقيل ان فعلت هذا فقد احسنت الينا فاجابهم يوسف ع بان قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل
من سرق تحرزا من الكذب انا اذا لظالمون اى لو فعلنا ذلك لكنا ظالمين وفى هذا دلالة على ان اخذ البرى بالجرم ظلم ومن فعله كان ظالما والله
يتعالى ويجل عن ذلك علوا كبيرا فلما استياسوا منه اى فلما يأس اخوة يوسف ع من يوسف ان يجيبهم الى ما سالوه من تخلية سبيل
ابن يامين معهم خلصوا نجيا اى انفردوا عن الناس من غير ان يكون معهم من ليس منهم يتناجون فيما يعملون من ذهابهم الى ابيهم من
غير اخيهم ويتدبرون فى انهم يرجعون ام يقيمون وتلخيصه اعتزلوا عن الناس متناجين وهذا من الفاظ القرآن التى هى فى الغاية
القصوى من الفصاحة ولا يجازى فى اللفظ مع كثرة المعنى قال كبيرهم وهو روبيل وكان اسنهم وهو ابن خالة يوسف ع وهو الذي
نهى اخوته عن قتله عن قتادة والضحاك وكعب وقيل شمعون وهو كبيرهم فى العقل والعلم لا فى السن وكان رئيسهم عن مجاهد وقيل
يهوذا وكان اعقلهم عن وهب والكلبي وقيل لاوي عن محمد بن اسحق وعلى بن ابرهيم بن هاشم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من
الله يعنى الوثيقة التى طلبها منهم يعقوب ع حين قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به فذكرهم ذلك ومن قبل
ما فرطتم فى يوسف اى قصرتم فى امره وكنتم قد عاهدتم اباكم ان تردوه اليه سالما فنقضتم العهد فلن ابرح الارض اى لا ازال بهذه
الارض ولا اتحول عنها وهى ارض مصر حتى ياذن لى ابى فى البراح والرجوع اليه او يحكم الله لى بالخروج وترك اخى هٰهنا وقيل بالموت
وقيل بما يكون لنا عذرا عند ابينا عن ابى مسلم وقيل بالسيف حتى احارب من حبس اخى عن الجبائى وهو خير الحاكمين لا يحكم الا بالحق
قالوا انه قال لهم انا اكون هٰهنا واحملوا انتم الطعام اليهم واخبروهم بالواقعة قوله تعالى ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ
ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ • وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ •
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ • وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ
يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ • قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ
مِنَ الْهَالِكِينَ • قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ • يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ
وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ • سبع آيات القراءة
فى الشواذ قراءة ابن عباس سُرِّق بضم السين وتشديد الراء وكسرها وقراءة الحسن وقتادة وعمر بن عبد العزيز من رُوح الله بضم الراء
الحجة معنى سرق نسب الى السرقة فيكون من فسقه وفجره وشجعه اذا نسبه الى هذه الخلال واما روح الله فيمكن ان يكون من الروح
الذى هو من عند الله وتلطفه وهدايته ونعمته اللغة القرية الارض الجامعة لمساكن كثيرة واصله من القرى وهو الجمع يقال قريت
الماء فى الحوض ونظيره البلدة والمدينة والعير قد مضى ذكر معناه والكظم اجتراع الحزن وهو ان يمسكه فى قلبه ولا يبثه الى غيره و
يقال ما زلت افعل كذا وما فتئت افعله افتأ فتأ قال اوس بن حجر فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق ويقطع والحرض
المشرف على الهلاك يقال رجل حرض وحارض اى فاسد فى جسمه وعقله ومنه حرضته على كذا اى امرته به لانه اذا خالف الامر فكانه
هلك واحرضه اى اهلكه قال العرجي انى امرؤ لج بي حب فاحرضني حتى بليت وحتى شفني السقم والحرض لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر و
الشكوى صفة ما عنده من البلوى يقال شكوت الى فلان شكوى وشكاية وشكوا فاشكاني اى اغناني من شكواى واشكاني ايضا احوجني
الى الشكوى والبث الحزن والهم الذى لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثه اى يفرقه وكل شىء فرقته فقد بثثته ومنه قوله تعالى وبث فيهما
من كل دابة والتحسس طلب الشىء بالحاسة والتجسس نظيره وفى الحديث لا تجسسوا ولا تحسسوا وقيل ان معناهما واحد ونسق احدهما
على الآخر لاختلاف اللفظين كقول الشاعر متى ادن منه ينأ عنى ويبعد وقيل التجسس بالجيم البحث عن عورات الناس وبالحاء الاستماع
لحديث القوم وسئل ابن عباس عن الفرق بينهما قال لا يبعد احدهما عن الآخر التحسس فى الخير والتجسس فى الشر والروح الراحة
والروح الرحمة واصل الباب من الريح التى تأتى بالرحمة الاعراب واسئل القرية اى اهل القرية واهل العير فحذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه يا اسفى معناه يا حزنى والاصل يا اسفى الا ان ياء الاضافة يجوز ان تبدل الفا لخفة الالف والفتحة ويجوز ان
يكون الف الندبة ويكون معناه البيان ان الحال حال حزن فكانه قال يا اسف هذا من اوانك وقوله على يوسف من صلة المصدر

تفتؤ معناه لا تفتؤ حذف حرف النفي لعلم السامع به كما في قول امرء القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي
وانما جاز ذلك لانه لا يجوز في القسم بالله تفعل حتى تقول بالله لتفعلن او تقول لا تفعل المعنى ثم اخبر سبحانه انه قال لهم كبيرهم في السن
او في العلم ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق في الظاهر وما شهدنا عندك الا بما علمنا اي الا بما شاهدنا من ان الصاع استخرج من
رحله في الظاهر وبين بهذا انهم لم يكونوا قاطعين على انه سرق وقيل معناه ما شهدنا عند يوسف ان السارق يسترق الا بما علمنا ان الحكم
ذلك ولم نعلم ان ابنك سرق ام لا الا انه وجد الصاع عنده فحكم بانه السارق في الظاهر وانما قالوا ذلك لان يعقوب ع قال لهم ما يدري
الرجل انه السارق يؤخذ برقبته ويسترق وانما علم ذلك بقولكم وما كنا للغيب حافظين اي انا لم نعلم الغيب حين سالناك ان تبعث
ابن يامين معنا ولم ندر ان امره يؤول الى هذا وانما قصدنا به الخير ولو علمناه ذلك ما ذهبنا به عن مجاهد وقتادة والحسن وقال علي
بن عيسى علم الغيب هو علم من لو شاهد هذا الشيء لشاهده بنفسه لا بامر يستفيده والعالم لهذا المعنى هو الله وحده جل اسمه وقيل معناه
ما كنا لسر هذا الامر حافظين وبه عالمين فلا ندري انه سرق ام كذبوا عليه وانما اخبرناك بما شاهدنا عن عكرمة وقيل معناه ما كنا لغيب
ابنك حافظين اي انا كنا نحفظه في محضره واذا غاب عنا ذهب عن حفظنا يعنون انه سرق ليلا وهم نيام والغيب هو الليل بلغة
حمير عن ابن عباس قال انا لم نعلم ما كان يصنع في ليله ونهاره ومجيئه وذهابه واسئل القرية اي اهل القرية التي كنا فيها والقرية مصر
عن ابن عباس والحسن وقتادة ومعناه واسئل من شئت من اهل مصر عن هذا الامر فان هذا امر شايع فيهم يخبرك به من سألته وانما
قالوا ذلك لان بعض اهلها كانوا تصاروا الى الناحية التي فيها ابرهيم والعرب تسمي الامصار والمداين قرى والعير التي اقبلنا فيها
اي واسئل اهل القافلة التي قدمنا فيها وكانوا من ارض كنعان من جيران يعقوب ع وانما حذف المضاف للايجاز لان المعنى
مفهوم وقيل انه ليس في الكلام حذف لان يعقوب ع نبي صاحب معجز يجوز ان تكلمه القرية والعير على وجه العادة وانما قالوا ذلك
لانهم كانوا اهل تهمة عند يعقوب ع وانا لصادقون فيما اخبرناك به قال بل سولت لكم انفسكم امرا ههنا حذف كثير تدل الحال عليه
تقديره فلما رجعوا الى ابيهم وقصوا عليه القصة قال لهم ما عندي ان الامر على ما تقولونه بل سولت لكم انفسكم امرا فيما اظن فصبر جميل
اي فامري صبر جميل لا جزع معه عسى الله ان ياتيني بهم جميعا اي عسى الله ان ياتيني بيوسف وابن يامين وروبيل او شمعون او لاوي
انه هو العليم بعباده الحكيم في تدبير الخلق وتولى عنهم اي انصرف واعرض عنهم لشدة الحزن لما بلغه خبر حبس ابن يامين
وهاج ذلك وجده بيوسف لانه كان يتسلى به وقال يا اسفى على يوسف اي يا طول حزني على يوسف عن ابن عباس وروي عن سعيد
بن جبير انه قال لقد اعطيت هذه الامة عند . مالم يعط الانبياء قبلهم انا لله وانا اليه راجعون ولو اعطيها الانبياء لاعطيها
يعقوب اذ يقول يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن والبكاء من اجل الحزن اضاف بياض البصر اليه وسئل الصادق ع ما بلغ
من حزن يعقوب على يوسف قال حزن سبعين حرى ثكلى قيل كيف وقد اخبر انه يرده فقال انسي ذلك وقيل انه عمي ست سنين عن مقاتل
وقيل انه اشرف على العمى فكان لا يرى الا شيئا يسيرا فهو كظيم الكظيم ههنا بمعنى الكاظم وهو المملوء من الهم والحزن الممسك الغيظ لا
يشكوه لاهل زمانه ولا يظهره بلسانه ولذلك لقب موسى بن جعفر الكاظم ع لكثرة ما كان يتجرع من الغيظ والغم طول ايام خلافته
لابيه في ذات الله وقال ابن عباس هو المغموم المكروب قالوا اي قال ولد يعقوب لابيهم تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تزال تذكر يوسف
حتى تكون حرضا اي دنفا فاسد العقل عن ابن عباس وابن اسحق وقيل قريبا من الموت عن مجاهد وقيل هرما باليا عن قتادة والضحاك
او تكون من الهالكين اي من الميتين وانما قالوا ذلك اشفاقا عليه وتعطفا ورحمة له وقيل انما قالوا ذلك من اجل بكائه لانهم تنغص
عيشهم بذلك قال يعقوب في جوابهم انما اشكو بثي اي حاجتي عن ابن عباس وقيل حاجتي عن الحسن وحزني الى الله المعنى انما اشكو حزني
وحاجتي واختلال حالي وانتشارها الى الله في ظلم الليالي واوقات الصلوات لا اليكم وقيل البث ما ابداه والحزن ما اخفاه وروي
عن النبي صلى الله عليه وآله ان جبرائيل ع اتاه فقال يا يعقوب ان الله يقرء عليك السلام ويقول ابشر وليفرح قلبك فوعزتي لو كانا
ميتين لنشرتهما لك اصنع طعاما للمساكين فان احب عبادي الي المساكين اوتدري لم اذهبت بصرك وقوست ظهرك لانكم
ذبحتم شاة واتاكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئا فكان يعقوب ع بعد ذلك اذا اراد الغذاء امر مناديا فنادى الا من اراد

الغداء من المساكين فليتغذ مع يعقوب واذا كان صائما امر مناديا فنادى الا من كان صائما فليفطر مع يعقوب ع رواه الحاكم ابو عبد الله
في صحيحه واعلم من الله ما لا تعلمون اى اعلم صدق رؤيا يوسف واعلم انه حي وانكم ستجدونه كما اقتضاه رؤياه عن الجبائى ابن عباس وقيل واعلم
من رحمة الله وقدرته ما لا تعلمون عن عطاء وفى كتاب النبوة بالاسناد عن سدير الصيرفي عن ابى جعفر الباقر ع قال ان يعقوب ع دعا
الله سبحانه فى ان يهبط عليه ملك الموت فاجابه فقال ما حاجتك فقال اخبرني هل مر بك روح يوسف فى الارواح قال لا قال فعلم انه حي
فقال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وقيل انهم لما اخبروه بسيرة الملك قال لعله يوسف عن السدي فلذلك قال يا بني اذهبوا
فتحسسوا من يوسف واخيه ابن يامين اى استخبروا من شانهما واطلبوا خبرهما وانظروا ان ملك مصر ما اسمه وعلى اى دين هو فانه
القى فى روعي ان الذى حبس ابن يامين هو يوسف وانه انما طلبه منكم وجعل الصاع فى رحله احتيالا فى حبس اخيه عنده ولا تياسوا
من روح الله اى لا تقنطوا من رحمته عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل من الفرج من قبل الله عن ابن زيد والمعنى لا تياسوا
من الروح الذي ياتى به الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال ابن عباس يريد ان المؤمن من يرجو الله فى الشدائد
والبلاء ويشكره ويحمده فى الرخاء والكافر ليس كذلك وفى هذا دلالة على ان الفاسق الملي لا ييأس عليه من رحمة الله بخلاف ما يقوله
اهل الوعيد سؤال كيف خفي اخبار يوسف ع عن يعقوب ع فى المدة الطويلة مع قرب المسافة ولم يعلمه يوسف بخبره لتسكن
نفسه ويزول وجده قال الجبائى العلة فى ذلك انه حمل الى مصر فبيع من العزيز فالزمه فى داره ثم لبث فى السجن بضع سنين فانقطعت
اخبار الناس عنه فلم يمكن احتياله فى ايصال خبره الى ابيه على الوجه الذى امكنه وكان لا يأمن لو بعث رسولا الى ابيه ان لا يمكنه اخوته
من الوصول اليه وقال المرتضى قدس الله روحه يجوز ان يكون ذلك ممكنا وكان عليه قادرا ولكن الله سبحانه اوحى اليه بان يعدل
عن اطلاعه على خبره تشديدا للمحنة عليه ولله سبحانه ان يصعب التكليف وان يسهله قوله تعالى فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا
الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ۞ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ
مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ۞ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۞ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ
لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ ست آيات القراءة
قرا ابو جعفر وابن كثير انك لانت يوسف بكسر الهمزة وقرا نافع ويعقوب غير زيد وسهل اينك بفتح الهمزة وغير مد وقرا ابو عمرو وقالون
عن نافع وزيد عن يعقوب آينك بالمد وقرا الباقون ائنك بهمزتين وفى الشواذ قراءة ابي او انت يوسف وقرا ابن كثير وحده من
يتقي بياء فى الوصل والوقف والباقون بغير ياء فيهما الحجة يدل على الاستفهام قوله انا يوسف وانما اجابهم عما استفهموا عنه قال
ابو الحسن فى قوله وتلك نعمة تمنها على انه على الاستفهام كانه قال اوتلك نعمة فيجوز ان يكون من قرا انك على هذا فتكون القراءتان
متفقتين ومما يحذف حرف الاستفهام فاما باقي القراء فانه يجري على مذاهبهم فى اجتماع الهمزتين وقد تقدم القول فى ذلك فاما
قراءة ابي فتكون على حذف خبر ان كانه قال انك لغير يوسف او انت يوسف وقال ابن جني فكانه قال بل انت يوسف فلما خرج
مخرج التوقف قال انا يوسف وقد جاء عنهم حذف خبر ان قال الاعشي ان محلا وان مرتحلا وان فى السفر اذ مضى مهلا اراد لنا محلا وان
لنا مرتحلا قال ابو علي من يتقي فلا يحمل على قول الشاعر الم ياتيك والانباء تنمي لان هذا ونحوه انما يجيء فى الشعر ولكن يجعل من موصولة
فيكون بمنزلة الذي يتقي ويحمل المعطوف على المعنى لان من يتقي اذا كانت من بمنزلة الذي بمنزلة الجزاء الجازم بدلالة ان كل واحد منهما
يصلح دخول الفاء فى جوابه فاذا اجتمعتا فى ذلك جاز ان يعطف عليه كما يعطف على الشرط المجزوم لكونه بمنزلته فيما ذكرناه ومثل ذلك
قوله فاصدق واكن وحملت واكن على موضع الفاء ومثله قول من قرا ونذرهم فى طغيانهم جزما ويجوز ان تقدر الضمة فى قوله ويصبر
ويحذفها للاستخفاف كما يخفف نحو عضد وسبع وجاز هذا فى حركة الاعراب كجوازه فى حركة البناء وزعم ابو الحسن انه سمع رسلنا لديهم
يكتبون باسكان اللام من رسلنا ويقوي ذلك من قرا وبعولتهن الا ترى انه جعل بعه كبقت وعلم فاسكن فكذلك يسكن على هذا ويصبر فان الله
اللغة الازجاء فى اللغة السوق والدفع قليلا ومنه قوله يزجي سحابا قال النابغة وهبت الريح من تلقاء ذي ارك تزجي مع الليل



من برادها مرما وفلان يزجي العيش اى يدفع بالقليل ويكتفى به قال الاعشى الواهب المائة الهجان وعبدها عوذا تزجي خلفها اطفالها اي
تدافع وقال آخر وحاجة غير مزجاة من الحاج وانما قيل للبضاعة مزجاة لانها يسيرة ناقصة وانما يجوز ذلك على دفع من اخذها والمن النعمة و
اصله القطع لانها تقطع المنعم عليه من حال بؤسه والايثار تفضيل احد الشيئين على الآخر ونقيضه الاجتبا ونقيضه الايثار عليه واصله
من الاثر فانما يؤثر له اثر جميل والاثر الاخبار يقال اثره يأثره والمأثرة المكرمة لانها تؤثر والخطأ ضد الصواب يقال خطئ الرجل يخطأ خطاء
وخطاء فهو خاطئ واخطأ يخطئ اخطاء وقال امرؤ القيس يا لهف هند اذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلاحلا التثريب التوبيخ يقال
ثرب واثرب وثرب عن ابن الاعرابي وقيل التثريب اللوم والافساد والتعيير بالذنب قال ابو عبيدة واصله الافساد وانشد فعفوت
عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد وقال تغلب ثرب فلان على فلان اى عدد عليه ذنوبه وقال ابو مسلم هو ماخوذ من الثرب
وهو شحم الجوف فكانه موضوع للمبالغة فى اللوم والتعنيف والبلوغ فى ذلك الى اقصى غاياته الاعراب هل علمتم استفهام والمراد به التقرير
مافعلتم بيوسف اى شئ فعلتم بيوسف فيكون ما فى موضع نصب والجملة متعلقة بعلمتم وقوله فان الله لا يضيع اجر المحسنين فى موضع
الجزم بانه جواب الشرط وذكر المحسنين نائب عن الضمير العائد الى من لان الاتقاء والصبر فى معنى الاحسان فكانه قال لا يضيع جزاءه
ولانت يوسف هذه لام الابتداء وانت مبتداء ويوسف خبره والجملة خبر ان ويجوز ان يكون انت فصلا كما علمت فيما تقدم وقوله لا
تثريب عليكم تثريب نكرة مفردة مبنية مع لا على الفتح ولا يجوز ان يتعلق عليكم اذ لو كان كذلك لكان مشبها بالمضاف من حيث يكون عاملا
فيما بعده ويكون عليكم من تمامه فكان يجب ان يكون منصوبا منونا كما يقول لا مرورا بزيد عندك اذا عرفت هذا فان عليكم ههنا فيه وجهان
احدهما ان يكون فى موضع الجزم على تقدير لا تثريب يثبت عليكم اى ثابت عليكم ثم حذف ذلك وانتقل الضمير منه الى عليكم حيث سد مسده و
الآخر ان يتعلق بمضمر ذلك وصف لتثريب وعلى هذا فيجوز فيه وجهان احدهما ان يكون فى محل الرفع تقديره لا تثريب ثابت عليكم كما تقول
لا رجل ظريف والآخر ان يكون فى محل نصب تقديره لا تثريب ثابتا عليكم كما تقول لا رجل ظريفا ثم حذف الصفة وقام الظرف مقامه
ويكون اليوم على هذا الوجه خبر لا وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون متعلقا بالضمير الذي فى الخبر ويجوز ان
يكون قد تم الكلام عند قوله عليكم وتعلق اليوم بما بعده فيكون تقديره اليوم يغفر الله لكم وهذا اختيار الاخفش وهكذا الكلام فى
قوله لا ريب فيه المعنى فلما قال يعقوب لبنيه اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه خرجوا الى مصر فلما دخلوا عليه اى على يوسف
قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر اى اصابنا ومن يختص بنا الجوع والحاجة والشدة من السنين الشدائد القحاط وقيل انهم شكوا ما نالهم
من هلاك مواشيهم والبلاء الذي اصابهم وجئنا ببضاعة مزجاة اى ندافع بها الايام ونتقوت وليست مما يتسع به وقيل رديئة لا تؤخذ
الا بوكس عن ابن عباس والجبائى وقيل قليلة عن الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد وابى مسلم واختلف فى تلك البضاعة فقيل كانت دراهم
رديئة زيوفا لا تنفق فى ثمن الطعام عن عكرمة عن ابن عباس وقيل كانت خلق الغرائر والحبال ورث المتاع عن ابن ابى مليكة وقيل كانت متاع
الاعراب الصوف والسمن عن عبد الله بن الحارث وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وعنه ايضا انها سويق المقل فاوف لنا الكيل كما كنت توفى فى
السنين الماضية ولا تنظر الى قلة بضاعتنا فى هذه السنة وتصدق علينا اى سامحنا بما بين النقدين وسعر لنا بالردى كما تسعر بالجيد وقيل
معناه تصدق علينا برد اخينا عن ابن جريج والضحاك ان الله يجزى المتصدقين اى يثيبهم على صدقاتهم بافضل منها وفى كتاب النبوة بالاسناد
عن الحسن بن محبوب عن اسمعيل الفراء عن طربال عن ابى عبد الله ع فى خبر طويل ان يعقوب ع كتب الى يوسف ع بسم الله الرحمن الرحيم الى عزيز مصر
مظهر العدل وموفى الكيل من يعقوب بن اسحق بن ابرهيم خليل الرحمن صاحب نمرود الذى جمع له النار ليحرقه بها فجعلها الله عليه بردا وسلاما
وانجاه منها اخبرك ايها العزيز انه لم يزل البلاء الينا سريعا من الله ليبلونا عند السراء والضراء وان مصائب تتابعت علي منذ عشرين سنة
اولها انه كان لى ابن سميته يوسف وكان سروري من بين ولدي وقرة عيني وثمرة فؤادي وان اخوته من غير امه سالوني ان ابعثه معهم يرتع و
يلعب فبعثته معهم بكرة فجاؤني عشاء يبكون وجاؤا على قميصه بدم كذب وزعموا ان الذيب اكله فاشتد لفقده حزني وكثر على فراقه بكائى
حتى ابيضت عيناي من الحزن وانه كان له اخ وكنت به معجبا وكان لى انيسا وكنت اذا ذكرت يوسف ضممته الى صدري فبعثته معهم
ليمتاروا لنا قمحا فرجعوا الى وليس هو معهم فذكروا انه سرق مكيال الملك ونحن اهل بيت لا نسرق وقد حبسته عنى وفجعتني به وقد اشتد

لغزاقه حزني حتى تقوس ظهري وعظمت به مصيبتي مع مصايب تتابعت علي فانعم لي بتخلية سبيله واطلاقه من حبسك وطيب لنا الكيل و
داسمح لنا في السعر واوف لنا الكيل وعجل سراح آل ابرهيم قال فمضوا بكتابه حتى دخلوا على يوسف في دار الملك وقالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا
الضر الى اخر الآية وتصدق علينا باخينا بنيامين وهذا كتاب يعقوب ارسله اليك في امره يسالك تخليه سبيله فمن علينا به فاخذ يوسف
كتاب يعقوب ع وقبله ووضعه على عينيه وبكى وانتحب حتى بل دموعه القميص الذي عليه ثم اقبل عليهم وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف
من اذلالكم وابعاده من ابيه والقايه في البير والاجتماع على قتله وبيعه بثمن وكس وما فعلتم باخيه من افراده عن يوسف والتفريق
بينهما حتى صار ذليلا فيما بينكم لا يكلمكم الا كما يكلم العزيز الذليل وانما لم يذكر اباه يعقوب ع مع عظم ما دخل عليه من الغم لفراقه تعظيما له و
رفعا من قدره وعلما ان ذلك كان بلاء له ليزداد به علو الدرجة ورفعة المنزلة عند الله تعالى قال ابن الانباري هذا استفهام يعني به
تعظيم القصة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم وما اقبح ما اتيتم من قطيعة رحمه وتضييع حقه كما يقول الرجل هل تدري من عصيت وفي
هذه الاية مصداق قوله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وقوله اذ انتم جاهلون اي صبيان عن ابن عباس وقيل شبان عن الحسن
ومعناه فعلتم ذلك حين كنتم جاهلين جاهلية الصبا في عنفوان الشباب حال ما يغلب على الانسان الجهل ولم ينسبهم الى الجهل في حال الخطاب
لانهم كانوا تائبين نادمين في تلك الحال وكان هذا تلقينا لهم لما يعتذرون به اليه وهذا هو الغاية في الكرم اذ صفح عنهم ولقنهم
وجه العذر قالوا ائنك لانت يوسف قيل ان يوسف ع لما قال لهم هل علمتم الآية تبسم فلما ابصروا ثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه
بيوسف وقالوا له ائنك لانت يوسف عن ابن عباس وقيل رفع التاج عن راسه فعرفوه وقال انا يوسف اظهر الاسم ولم يقل انا هو تعظيما
لما وقع به من ظلم اخوته فكانه قال انا المظلوم المستحل منه المحرم المراد قتله فكفى ظهور الاسم عن هذه المعاني عن ابن الانباري قال وهذا
قال وهذا اخي لان قصده وهذا المظلوم كظلمي قد من الله علينا بالاجتماع بعد طول الفرقة وقيل من الله علينا بكل خير في الدنيا والآخرة
انه من يتق اي يتق الله ويصبر على المصايب وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجر من كان هذا حاله والضياع ذهاب
الشيء من غير عوض قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اي فضلك واختارك علينا بالحلم والعلم والعقل والحسن والملك وان كنا لخاطئين
اي ما كنا الا مخطئين آثمين فيما فعلنا وهذا يدل على انهم ندموا على ما فعلوا ولم يصروا عليه قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم اي لا
تعيير ولا توبيخ ولا تقريع عليكم الآن فيما فعلتم يغفر الله لكم ذنوبكم فاني استغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين في عفوه عنكم لما تقدم
وقيل في صنيعه حتى جعلني ملكا وقيل اراد باليوم الزمان فيدخل فيه الاوقات كلها كما قال الشاعر فاليوم يرحمنا من كان يغبطنا
نتبع من كانوا لنا تبعا وقيل ان الكلام قد تم عند قوله لا تثريب عليكم ثم ابتدا بقوله اليوم يغفر الله لكم وهو دعا لهم اذهبوا بقميصي هذا
فالقوه على وجه ابي يات بصيرا قيل انه ع لما عرفهم نفسه سالهم عن ابيهم فقال ما فعل بعدي قالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي
هذا واطرحوه على وجهه يعد مبصرا كما كان من قبل قال ابن عباس يات بصيرا اي يذهب البياض الذي على عينيه واتوني باهلكم اجمعين
اذا عاد بصيرا وهذا كان معجزا منه ع اذ لا يعرف انه يعود بصيرا بالقاء القميص على وجهه الا بالوحي وقيل ان يوسف ع قال انما يذهب
بقميصي من ذهب به اولا فقال يهوذا انا ذهبت به وهو ملطخ بالدم فاخبرته انه اكله الذيب فقال اذهب بهذا ايضا واخبره انه حي
وافرحه كما احزنته فحمل القميص وخرج حافيا حاسرا حتى اتاه وكانت مسافة ما بينهما ثمانين فرسخا فلم يستوف الارغفة في الطريق و
قد ذكرنا قبل شان القميص وروى الواحدي ايضا باسناده يرفعه الى انس بن مالك عن رسول الله صلعم قال ان نمرود الجبار عليه
اللعنة لما القى ابرهيم ع في النار نزل عليه جبرائيل ع بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فالبسه القميص واجلسه على الطنفسة
وقعد معه يحدثه فكسى ابرهيم ذلك القميص اسحق وكساه اسحق يعقوب ع وكساه يعقوب يوسف ع فجعله في قصبة من فضة
وعلقها في عنقه فالقي في الجب والقميص في عنقه فذلك قوله اذهبوا بقميصي وقال ابن عباس اخرج لهم قصبة من فضة كانت في
عنقه لم يعلم بها اخوته فيها قميص وهو الذي نزل به جبرائيل ع على ابراهيم ع وذكر القصة وقال مجاهد امره جبرائيل ع ان ارسل اليه
قميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا صح وعوفي قوله تعالى ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف
لولا ان تفندون ۞ قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم ۞ فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم

خمس

إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ *
خمس آيات اللغة الفصل اصله القطع ومنه قيل للحاكم فيصل لانه يقطع الامور والتفنيد تضعيف الراي قال يا صاحبي دعا لومي
وتفنيدي فليس ما فات من امري بمردود والفند ضعف الراي وقيل ان اصله الفساد قال النابغة الاسليمان اذ قال المليك له
قم في البرية فاحددها عن الفند اي امنعها عن الفساد المعنى ولما فصلت العير اي لما خرجت القافلة وانفصلت من مصر متوجهة نحو
الشام قال ابوهم يعقوب لاولاده الذين كانوا عنده اني لاجد ريح يوسف وروي عن ابي عبد الله ع قال وجد يعقوب ع ريح قميص
يوسف حين فصلت العير من مصر وهو بفلسطين من مسيرة عشر ليال وقيل من مسيرة ثماني ليال عن ابن عباس وقيل ثمانين فرسخا عن الحسن الاصم
وقيل مسيرة شهر عن الاصم قال ابن عباس هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف الى يعقوب وذكر في القصة ان الصبا استاذنت ربها في ان
تاتي يعقوب ع بريح يوسف قبل ان ياتيه البشير بالقميص فاذن لها فاتته بها ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا وقد اكثر الشعراء
من ذكرها فمن ذلك قولهم فان الصبا ريح اذا ما تنسمت على نفس مهموم تجلت همومها وقول ابي صخر الهذلي اذا قيل هذا حين اسلوا
يهيجني نسيم الصبا من حين يطلع الفجر وقوله لولا ان تفندون معناه لولا ان تستهجنوني عن ابن عباس ومجاهد وقيل لولا ان
تستهوني في الراي عن ابن عباس وقيل لولا ان تكذبون والفند الكذب عن سعيد بن جبير والسدي والضحاك وروي ذلك ايضا عن ابن
عباس وقيل لولا ان تهرمون عن الحسن وقتادة اي تقولون انه شيخ قد هرم وخرف وذهب عقله وتقديره اني اقطع انها ريح يوسف
لولا ان تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم اي قالوا له اشفاقا عليه وترحما انك لفي ذهابك القديم عن الصواب في حب يوسف
فانه كان عندهم ان يوسف ع قد مات منذ سنين ولم يريدوا بذلك الضلال عن الدين وانما ارادوا به المبالغة في حب يوسف
والاماني الفاسدة فيما كان يرجوا من عوده بعد موته عن قتادة والحسن وقيل معناه انك في سقامك القديم عن مقاتل وفي هذا دلالة على
ان لفظ القديم قد يطلق في اللغة على المتقدم في الوجود فلما ان جاء البشير وهو يهوذا عن ابن عباس وفي رواية اخرى عنه انه مالك
بن ذعر القاه على وجهه فارتد بصيرا اي القى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب فعاد بصيرا قال الضحاك عاد اليه بصره بعد العمى
وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن فقال للبشير ما ادري ما اثيبك به هون الله عليك سكرات الموت قال يعقوب
لهم الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون اي كنت اعلم ان الله يصدق رؤيا يوسف ويكشف الشدائد بالصبر عن انبيائه وكنتم لا تعلمون
ذلك قال الحسن كان الله سبحانه الرحيم اعلم يستغفر لهم في الحال لانه اخرهم الى السحر ليلة الجمعة عن ابن عباس وطاوس وروي ذلك عن
ابي عبد الله ع وقيل اخرهم الى وقت السحر لانه اقرب الى اجابة الدعاء عن ابن مسعود وابراهيم التيمي وابن جريج وروي ايضا عن ابي عبد الله
وقيل انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة عن وهب وقيل انه كان يقوم ويصف اولاده خلفه عشرين سنة يدعو و
يؤمنون على دعائه واستغفاره لهم حتى نزل قبول توبتهم وروي ان جبرائيل ع علم يعقوب ع هذا الدعاء يا رجاء المؤمنين يا من لا يخيب
رجائي ويا غوث المؤمنين اغثني ويا عون المؤمنين اعني ويا حبيب التوابين تب علي فاستجيب لهم قوله تعالى فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ
آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ
رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ
بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي
مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ *
ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ * اربع آيات الاعراب دخل من
في قوله من الملك ومن تاويل الاحاديث جاز ان يكون للتبعيض فيكون المراد آتيتني بعض الملك وعلمتني بعض تاويل الاحاديث و
جاز ان يكون هذا لتبيين الجنس من سائر الاجناس فيكون المعنى آتيتني الملك وعلمتني التاويل عن الزجاج قال ومثله قوله تؤتي الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء على ان من ههنا لتبعيض الجنس ومثله قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي الجنس الذي هو وثن فاطر السموات
منصوب على وجهين احدهما على الصفة لقوله رب لان المعنى يا ربي فهو نداء مضاف في موضع نصب فيكون فاطر السموات صفة له و

اعلم بحوتر ولم يعلم بمكانه قالوا يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين فيما
فعلنا ٦ ليعقوب سوف استغفر لكم
ربي انه هو الغفور الرحيم

عشر

جاز ان ينتصب على انه نداء ثان على تقدير يا فاطر السموات فذلك في موضع رفع بالابتداء ويكون نوحيه خبرا ثانيا وان شئت جعلت نوحيه هو الخبر
وجعلت ذلك في معنى الذي وقوله من انباء الغيب صلته المعنى فلما دخلوا على يوسف ههنا حذف تقديره فلما خرج يعقوب واهله من
ارضهم واتوا مصر دخلوا على يوسف وفي حديث ابن محبوب باسناده عن ابي جعفر ع ان يعقوب قال لولده تحملوا الى يوسف من يومكم هذا
باهلكم اجمعين فساروا اليه ويعقوب معهم وخالة يوسف ام ابن يامين فحثوا السير فرحا وسرورا تسعة ايام الى مصر فلما دخلوا على يوسف في دار
الملك اعتنق اباه فقبله وبكى ورفع خالته الى سرير الملك ثم دخل منزله واكتحل وادهن ولبس ثياب العز والملك فلما راوه سجدوا جميعا اعظاما
وشكرا لله عند ذلك ولم يكن يوسف في تلك العشرين سنة يدهن ولا يكتحل ولا يتطيب حتى جمع الله بينه وبين ابيه واخوته وقيل ان يوسف ع
بعث مع البشير مائتي راحلة مع ما يحتاج اليه في السفر وسالهم ان ياتوه باهلهم اجمعين فلما دنا يعقوب ع من مصر تلقاه يوسف ع
في الجند واهل مصر فقال يعقوب ع يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك ثم تلاقيا قال الكلبي على يوم من مصر فلما دنا كل واحد منهما
من صاحبه بدا يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان وفي كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن ابي عمير عن هشام بن سالم
عن ابي عبد الله ع قال لما اقبل يعقوب الى مصر خرج يوسف ليستقبله فلما راه يوسف هم بان يترجل ثم نظر الى ما هو فيه من الملك فلم يفعل
فلما سلم على يعقوب نزل عليه جبرائيل ع فقال يا يوسف ان الله جل جلاله يقول ما منعك ان تنزل الى عبدي الصالح الا ما انت فيه من الملك
ابسط يدك فبسطها فخرج من بين اصابعه نور فقال ما هذا يا جبرائيل قال هذا انه لا يخرج من صلبك نبي ابدا عقوبة بما صنعت بيعقوب
اذ لم تنزل اليه فعلموا اوى اليه ابويه اي ضمهما اليه وانزلهما عنده وقال اكثر المفسرين انه يعني بابويه اباه وخالته فسمى الخالة اما كما سمى العم ابا في قوله
اباءك ابرهيم واسمعيل واسحق وذلك ان امه كانت قد ماتت في نفاسها بابن يامين فتزوجها ابوه وقيل يريد اباه وامه وكانا حيين عن ابن
اسحق والجبائي وقيل ان راحيل امه نشرت من قبرها حتى سجدت له تحقيقا للرؤيا عن الحسن وقال لهم قبل دخولهم مصر ادخلوا مصر ان شاء الله
آمنين والاستثناء يعود الى الامن لانهم كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها الا بجوازهم قال وهب انهم دخلوا مصر وهم ثلثة
وسبعون انسانا وخرجوا مع موسى وهم ستمائة الف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا ورفع ابويه على العرش اي رفعهما على سرير ملكه اعظاما
لهما واراد بالعرش السرير الرفيع عن ابن عباس والحسن وقتادة وخروا له سجدا اي انحطوا على وجوههم وكان تحية الناس يومئذ بعضهم لبعض
السجود والانحناء والتكفير عن قتادة ولم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله في شريعتهم فاعطى الله هذه الامة السلام وهي تحية اهل الجنة كما قال
قال اعشى بني ثعلبة فلما اتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا وكان من سنة التعظيم يومئذ ان يسجد للمعظم عن الزجاج وقيل كان
سجودهم كهيئة الركوع كما يفعل الاعاجم عن الكلبي وقال ان السجود كان لله تعالى شكرا له كما يفعله الصالحون عند تجدد النعم والهاء في
قوله له عائدة الى الله تعالى اي سجدوا لله تعالى على هذه النعم وتوجهوا الى السجود له كما يقال صلى للقبلة ويراد به استقبالها عن ابن عباس وهو
المروي عن ابي عبد الله ع قال علي بن ابرهيم وحدثني محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين ان يحيى بن اكثم سال موسى بن محمد بن علي بن موسى مسائل
فعرضها على ابي الحسن علي بن محمد عليهما السلام فكان احدها ان قال اخبرني اسجد يعقوب وولده ليوسف ع وهم انبياء فاجاب ابو الحسن ع
اما سجود يعقوب وولده فانه لم يكن ليوسف ع وانما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية لادم ع فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكرا لله تعالى
لاجتماع شملهم الا ترى انه يقول في شكره في ذلك الوقت رب قد آتيتني من الملك الاية الخبر بتمامه وقال يوسف يا ابت هذا تاويل رؤياي اي
هذا تفسير رؤياي او تصديق رؤياي التي رايتها من قبل قد جعلها ربي حقا اي صدقا في اليقظة وقيل كان بين الرؤيا وتاويلها ثمانون سنة
عن الحسن وقيل سبعون سنة عن عبد الله بن شوذب وقيل اربعون سنة عن سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد وقيل اثنان وعشرون سنة
عن الكلبي وقيل ثماني عشرة سنة عن ابن اسحق قال ابن اسحق وولد ليوسف من امراة العزيز افرائيم وميشا ورحمة امراة ايوب ع وكان بين يوسف
وبين موسى ع اربعمائة سنة وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن اي وقد احسن ربي الي حيث اخرجني من السجن واتى بكم من البدو اي من
البادية فانهم كانوا يسكنون البادية يرعون اغنامهم فيها وكانت مواشيهم قد هلكت في تلك السنين بالقحط فاغناهم الله تعالى بمصيرهم
الى يوسف ع وانما بدا بالسجن في تعداد نعم الله دون اخراجه من الجب كرما لئلا يبدا بصنيع اخوته به وقيل لان نعم الله في اخراجه من السجن
كان اكثر ولان السجن طالت مدته وكثرت محنته من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي من بعد ان افسد الشيطان

مابين اخوتي وبيني قال ابن عباس معناه دخل بيننا بالحسد ان ربي لطيف لما يشاء في تدبير عباده يدبرهم على ما يشاء ويسهل لهم العسر وبلطفه
حصلت هذه النعم علينا من الاجتماع وغيره وقال الازهري اللطيف من اسماء الله تعالى معناه الرفيق بعباده يقال لطف فلان لطفا اذا رفق و
قال غيره اللطيف الذي يوصل اليك في رفق وقيل اللطيف العالم بدقايق الامور انه هو العليم بجميع الاشياء الحكيم في كل التدابير وفي كتاب النبوة
بالاسناد عن ابي عبد الله ع قال قال يعقوب ع ليوسف يا بني حدثني كيف صنع بك اخوتك قال يا ابة دعني فقال اقسمت عليك الا اخبرتني
فقال له اخذوني واقعدوني على راس الجب ثم قالوا الي انزع قميصك فقلت لهم اني اسئلكم بوجه يعقوب ان لا تنزعوا قميصي ولا تبدوا عورتي
فرفع فلان علي السكين وقال انزع فصاح يعقوب وسقط مغشيا عليه ثم افاق فقال له يا بني كيف صنعوا بك فقال له يوسف اني اسالك
بالله ابرهيم واسمعيل واسحق الا اعفيتني قال فتركه وروى ايضا ان يوسف ع قال ليعقوب ع يا ابة لا تسألني عن صنع اخوتي بي واسئل عن
صنيع الله بي قال ابو حمزة الثمالي بلغنا ان يعقوب ع عاش مايه وسبعة واربعين سنه ودخل مصر على يوسف وهو ابن ثلثين ومايه سنه
وكان عند يوسف بمصر سبع عشرة سنه وقال ابن اسحق اقام يعقوب بمصر اربعا وعشرين سنه ثم توفي ودفن بالشام وقال سعيد
بن جبير نقل يعقوب ع الى بيت المقدس في تابوت من ساج ووافق ذلك يوم مات عيص فدفنا في قبر واحد فمن ثم تنقل اليهود موتاهم
الى بيت المقدس وولد يعقوب وعيص في بطن واحد ودفنا في قبر واحد وكان عمرهما جميعا سبعة ومايه واربعين سنة ثم رجع الى مصر
بعد ان دفن اباه ببيت المقدس عن وصية منه اليه وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنه وكان اول رسول في بني اسرائيل ثم مات واوصى
ان يدفن عند قبور آبائه وقيل دفن بمصر ثم اخرج موسى ع عظامه وحمله حتى دفنه عند ابيه وقيل انصت النبوة بعده الى يعجيل ثم الى يهوذا
وفي كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر ع قال قلت له كم عاش يعقوب ع مع يوسف بمصر قال عاش حولين قلت فمن كان
الحجة في الارض يعقوب ام يوسف قال كان الحجة يعقوب وكان الملك ليوسف فلما مات يعقوب ع حمله يوسف في تابوت الى ارض
الشام فدفن في بيت المقدس وكان يوسف ع الحجة بعد يعقوب ع قلت فكان يوسف رسولا نبيا قال نعم اما تسمع قوله عز وجل ولقد
جاءكم يوسف من قبل بالبينات وبالاسناد عن ابي خالد عن ابي عبد الله ع قال دخل السجن وهو ابن اثني عشرة سنة ومكث فيه ثماني عشرة سنة
وبقي بعد خروجه ثمانين سنة فذلك مائة سنة وعشر سنين قالوا ولما جمع الله سبحانه ليوسف شمله واقر له عينه واتم له رؤياه ووسع
عليه في ملك الدنيا ونعيمها علم ان ذلك لا يبقى ولا يدوم فطلب من الله سبحانه نعيما لا يفنى وتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به
ولم يتمن ذلك نبي قبله ولا بعده احد يتمنى الموت فقال رب قد اتيتني من الملك اي اعطيتني ملك النبوة وملك مصر وعلمتني من تاويل
الاحاديث اي تعبير الرؤيا يا فاطر السموات والارض اي يا خالق السموات والارض ومنشيهما لا على مثال سبق انت وليي اي ناصري و
مدبري وحافظي في الدنيا والآخرة تتولى فيهما اصلاح معاشي ومعادي توفني مسلما قال ابن عباس ما تمنى نبي تعجيل الممات الا يوسف ع
لما انتظمت اسباب مملكته اشتاق الى ربه وقيل معناه ثبتني على الايمان الى وقت الممات وامتني مسلما والحقني بالصالحين اي باهل الجنة
من الانبياء والاولياء والصديقين وقيل لما جمع الله سبحانه بينه وبين ابويه واخوته احب ان يجتمع مع آبائه في الجنة فدعا بهذا
الدعاء والمعنى الحقني بهم في ثوابهم ودرجاتهم فتوفاه الله تعالى بمصر وهو نبي فدفن في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح
الناس عليه كل يحب ان يدفن في محلته لما كانوا يرجون من بركته فرأوا ان يدفنوه في النيل فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونوا كلهم فيه
شركاء وفي بركته شرعا سواء فكان قبره في النيل الى ان حمله موسى ع حين خرج من مصر ثم عاد سبحانه بعد تمام القصة الى الخطاب النبي ص فقال
ذلك اي الذي قصصت عليك من قصة يوسف يا محمد من انباء الغيب نوحيه اليك على السنة الملائكه لتخبر به قومك ويكون دلالة على
اثبات نبوتك ومعجزة دالة على صدقك وما كنت لديهم اي وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب اذ اجمعوا امرهم اي عزموا على القائه في الجب و
اجتمع آراؤهم عليه وهم يمكرون اي يحتالون في امر يوسف حين القوه في الجب عن الجبائي وقيل يمكرون بيوسف عن ابن عباس والحسن وقتادة
قوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ۞ وما تسئلهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين ۞ وكاين من آية في السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ۞ وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ۞ افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او
تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ۞ خمس آيات القراءة في الشواذ قراءة عكرمة وعمرو بن فايد والارض يمرون عليها بالرفع وقراءة

ع ٥ حس

السري والارض نصبا والقرآءة المشهورة بالجر الحجة من رفع او نصب وقف على السموات ثم ابتداء والارض فالرفع على الابتداء والجملة بعدها
خبره والعايد الى المبتداء بما عليها والضمير في عنها عايد الى الاية واما النصب فبفعل مضمر تقديره ويطؤن الارض ويؤيد ذلك قرآءة ابن مسعود
يمشون عليها فلما اضمر الفعل الناصب فسره بقوله يمرون عليها ومن جر الارض على قرآءة القرآء فان شاء وقف على الارض وان شاء وقف على
آخر الاية اللغة الحرص طلب الشيء باجتهاد في اصابته والعالم الجماعة من الحيوان التي من شانها ان تعلم ماخوذ من العلم وقيل لما حواه الفلك
عالم على سبيل التبعية للحيوان الذي ينتفع به وهو مخلوق لاجله والغاشية المجللة للشيء بانبساطها عليه وغشاه يغشيه اذا غطاه و
الغشاء الغطاء والبغتة الفجاءة وهو مجيء الشيء من غير توقع الاعراب وكاين في معنى كم واصلها اي دخلت عليها الكاف وبغتة مصدر وضع
موضع الحال تقول بغتة بغتة وفجاءة المعنى لما تقدم ذكر الايات والمعجزات التي لو تفكروا فيها عرفوا الحق من جهتها ولم يتفكروا بين
عقبها ان التقصير من جهتهم حيث رضوا بالجهل وليس من جهته سبحانه لانه نصب الادلة والبينات لا من جهتك لانك دعوتهم فقال
وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اي وليس اكثر الناس مصدقين ولو حرصت على ايمانهم وتصديقهم واجتهدت في دعائهم اليه و
ارشادهم اليه لان حرص الداعي لا يغني شيئا اذا كان المدعو لا يجيب وما تسالهم عليه اي على تبليغ الرسالة من اجر فيصدهم ذلك
عن القبول ويمنعهم من الايمان ويثقله عليهم بما يلزمهم من الغرامة فاعذارهم منقطعة ان هو الا ذكر للعالمين اي وما القرآن الا موعظة و
عبرة وتذكير للخلق اجمعين فلست بنذير لهم لا خاصة وكاين من آية اي كم من حجة ودلالة في السموات والارض تدل على وحدانية الله تعالى
من الشمس والقمر والنجوم في السماء ومن الجبال والشجر والوان النبات واحوال المتقدمين واثار الامم السالفة في الارض يمرون عليها ويعرفونها
ويشاهدونها وهم عنها معرضون اي هم عن التفكر فيها والاعتبار بها معرضون لا يتفكرون فيها يعني الكفار وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون اختلف في معناه على اقوال احدها انهم مشركوا قريش كانوا يقرون بالله خالقا ومحييا ومميتا ويعبدون الاصنام ويدعونها الهة
مع انهم كانوا يقولون الله ربنا والهنا يرزقنا فكانوا مشركين بذلك عن ابن عباس والجبائي وثانيها انها نزلت في مشركي العرب اذا سئلوا
من خلق السموات والارض وينزل القطر قالوا الله ثم هم يشركون وكانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه
وما ملك عن الضحاك وثالثها انهم اهل الكتاب آمنوا بالله واليوم الاخر والتورية والانجيل ثم اشركوا بانكار القرآن وانكار نبوة نبينا صلى الله عليه وآله
عن الحسن وهذا القول مع ما تقدمه رواه دارم بن قبيصه عن علي بن موسى الرضا عم عن ابيه عن جده عن ابي عبد الله عم ورابعها انهم المنافقون
يظهرون الايمان ويشركون في السر عن البلخي وخامسها انهم المشبهة امنوا في الجملة واشركوا في التفصيل روي ذلك عن ابن عباس وسادسها
ان المراد بالاشراك شرك الطاعة لا شرك العبادة اطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها مما اوجب الله عليها النار فاشركوا بالله في
طاعته ولم يشركوا بالله شرك عبادة فيعبدون معه غيره عن ابي جعفر عم وروي عن ابي عبد الله عم انه قال قول الرجل لولا فلان لهلكت
ولولا فلان لضاع عيالي جعل لله شريكا في ملكه يرزقه ويدفع عنه فقيل له لو قال لولا ان من الله علي بفلان لهلكت فقال لا باس بهذا وفي
رواية زرارة ومحمد بن مسلم وحمران عنهما عليهما السلم انه شرك النعم وروى محمد بن الفضيل عن الرضا عم قال انه شرك لا يبلغ به الكفر افامنوا
ان ياتيهم غاشية من عذاب الله اي افامن هؤلاء الكفار ان ياتيهم عذاب من الله سبحانه يعمهم ويحيط بهم ومنه غاشية السرج لانها تعمه بالستر
وانما اتى بلفظ التانيث على العقوبة اي عقوبة مجللة لجميعهم عن ابن عباس وقيل هو عذاب الاستيصال عن مجاهد وابي مسلم وقيل هي
الصواعق والقوارع عن الضحاك او ياتيهم الساعة يعني القيمة بغتة اي فجاءة على غفلة منهم وهم لا يشعرون بقيامها قال ابن عباس تهجم
الصيحة بالناس وهم في اسواقهم قوله تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون آيتان القرآءة قرأ حفص عن عاصم الا رجالا نوحي اليهم بالنون
حيث كان وقرا الباقون يوحي بالياء وفتح الحاء افلا تعقلون ذكرنا الخلاف فيه في سورة الانعام الحجة قال ابو علي الوجه في النون قوله
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والوجه في الياء قوله واوحي الى نوح وقل اوحي الي اللغة السبيل الطريق وهو المكان المهيأ للسلوك
ودين الاسلام طريقا يؤدي الى الجنة والسبيل يذكر ويؤنث قال فلا تبعد فكل فتى اناس سيصبح سالكا تلك السبيلا والبصيرة ما يبصر به

الشيء اى يعرفه والسير المرور الممتد فى جهة ومنه السير واحد السيور لامتداده فى جهة المعنى ثم امر سبحانه نبيه صم ان يبين للمشركين ما يدعوا اليه فقال قل لهم يا محمد هذه سبيلي اى طريقي وسنتي ومنهاجي عن ابن زيد وقيل معناه هذه الدعوة التى ادعوا اليها ديني وطريقتي عن مقاتل والجبائي ثم فسر ذلك بقوله ادعوا الى الله على بصيرة اى ادعوا الى توحيد الله وعدله ودينه على يقين ومعرفة وحجة قاطعة لا على وجه التقليد انا ومن اتبعني اي ادعوكم انا ويدعوكم ايضا اليه من آمن بي ويذكر بالقرآن والموعظة وينهى عن معاصي الله قال ابن الانباري ويجوز ان يتم الكلام عند قوله الله ثم ابتداء فقال على بصيرة انا ومن اتبعني وهذا معنى قول ابن عباس انه يعني اصحاب محمد صم كانوا على احسن طريقة وسبحان الله وقيل انه اعتراض بين الكلامين والواو فيه مثل قولك قال الله وهو منزه عن الشركاء سبحان الله وما انا من المشركين الذين اتخذوا مع الله ندا وكفوا وولدا وفي هذه الآية دلالة على فضل الدعاء الى الله سبحانه والى توحيده وعدله ويعضد ذلك الحديث عنه صم انه قال العلماء امناء الرسل على عباده وفيها ايضا دلالة على انه عم كان يدعوا الى الله فى كل اوقاته وان كان بين الشرايع فى اوقات ما وفيها دلالة ايضا على ان الواجب فى الداعي ان يكون على ثقة وبصيرة ودلالة قاطعة وذلك يوجب فساد التقليد وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى بين سبحانه انه انما ارسل الرسل من اهل الامصار لانهم ارجح عقلا وعلما من اهل البوادي لبعد اهل البوادي عن العلم واهله عن قتادة وقال الحسن لم يبعث الله نبيا قط من اهل البادية ولا من الجن ولا من النساء وذلك ان اهل البادية تغلب عليهم القسوة والجفاء واهل الامصار احرى فطنا افلم يسيروا فى الارض اي افلم يسير هؤلاء المشركون المنكرون لنبوتك يا محمد فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبين لرسلهم وكيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال فيعتبروا بهم ويحذروا مثل ما اصابهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا يقول هذا صنيعنا باهل الايمان والطاعة فى دار الدنيا اذا اهلكنا اعداهم ونجيناهم من شرهم ولدار الآخرة خير لهم من دار الدنيا ونعيمها وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صم قال اشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها قال الزجاج قال الله تعالى فى غير هذا الموضع والدار الآخرة فالآخرة نعت للدار لان لجميع الخلق دارين الدار التى خلقوا فيها وهى الدنيا والدار الآخرة وهى التى يعادون فيها خلقا جديدا فاذا قال دار الآخرة فكانه قال دار الحال الآخرة لان للناس حالين حال الدنيا وحال الآخرة ومثل هذا فى الكلام الصلوة الاولى وصلوة الاولى فمن قال الصلوة الاولى جعل الاولى نعتا للصلوة ومن قال صلوة الاولى اراد صلوة الفريضة الاولى والساعة الاولى افلا يعقلون اى افلا يفهمون ما يتلى عليهم فيعلمون

قوله تعالى حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ آيتان

عشر

ع٦

القراءة قرا اهل الكوفة وابو جعفر كذبوا بالتخفيف وهي قراءة على زين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وزيد بن على وابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك والاعمش وغيرهم وقرا الباقون كذبوا بالتشديد وهى قراءة عايشة والحسن والزهري وقتادة وروي عن ابن عباس بخلاف كذبوا بالتخفيف وفتح الذال والكاف وقرا عاصم وابن عامر وابن يعقوب وسهل فنجي من نشاء بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء وقرا الباقون فننجي من نشاء بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء وفى الشواذ عن ابن محيصن فنجا بفتح النون والجيم والتخفيف وعن عيسى الثقفي ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة برفع الاحرف الثلثة والقراءة بنصبها الحجة قال ابو علي الضمير فى ظنوا فى قول من شدد كذبوا للرسل تقديره ظن الرسل اى تيقنوا وظن الظن الذي حسبان والمعنى كذبوا تلقوا بالتكذيب كقولهم حسره وخطاه وتكذيبهم اياهم يكون بان تلقوا بذلك كقولهم له وان نظنك لمن الكاذبين ومما يدل عليه وان خالفه فى اللفظ من جهة التثقيل قوله فقد كذبت رسل من قبلك وقوله فكذبوا رسلي وقوله ان كل الا كذب الرسل واما من خفف فقال كذبوا فهو من قولهم كذبتك الحديث اى لم اصدقك وفى التنزيل وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وقياسه اذا اعتبر بالخلاف يتعدى الى مفعولين كما تعدى صدق فى قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الاعشى فصدقته وكذبته والمرء ينفعه كذابه قال سيبويه كذب يكذب كذبا وقالوا كذابا فجاء دابه على فعال وقد خففه الاعشى وقال نعالر مه لقد حلفت بالله مي فما الذي اقول لها الا الذي انا كاذب والضمير الذي في قوله وظنوا انهم كذبوا للمرسل اليهم وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من انهم ان لم يؤمنوا انزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم واملائه لهم فان قلت كيف يجوز ان يحمل الضمير فى ظنوا على انه للمرسل اليهم الرسل

والذين قد تقدم ذكرهم الرسل دون المرسل اليهم قيل ان ذلك لا يمتنع لان ذكر الرسل يدل على المرسل اليهم لمقارنة احد الاسمين للاخر ولما
فى لفظ الرسل من الدلالة على المرسل وقد قال الشاعر امنك البرق ارقبه فهاجا فبت اخاله دهما خلاجا اى بت اخال الرعد صوت دهم فاضمر
الرعد ولم يجر له ذكر لدلالة البرق عليه لمقارنة لفظ كل واحد منهما للاخر وفى التنزيل سرابيل تقيكم الحر واستغنى عن ذكر البرد لدلالة الحر عليه وان شئت
قلت ان ذكرهم قد جرى فى قوله افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيكون الضمير للذين من قبلهم من مكذبى رسل
الله فان ذهب ذاهب الى ان المعنى ظن الرسل ان الذى وعدا لله سبحانه اممهم على لسانهم قد كذبوا به فقد اتى عظيما لا يجوز ان ينسب مثله الى
الانبياء ولا الى صالحى عباد الله وكذلك من زعم ان ابن عباس ذهب الى ان الرسل قد ضعفوا وظنوا انهم قد اخلفوا لان الله تعالى لا يخلف
الميعاد وحدثنا احمد بن محمد قال حدثنا المؤمل قال حدثنا اسمعيل بن علية عن ابى المعلى عن سعيد بن جبير فى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا
انهم قد كذبوا قال ان الرسل يئسوا من قومهم ان يؤمنوا وان قومهم ظنوا ان الرسل قد كذبوا فيما قالوا لهم اتاهم نصر الله عند ذلك واما
قوله فنجى من نشاء فان نجى حكاية حال لان القصة مما قد مضى وانما حكى فعل الحال كما كانت عليه كما ان قوله ان ربك ليحكم بينهم حكاية الحال
الكائنه وكان قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين جارٍ على الحكاية للحال الكائنة ومن ذلك قوله وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فلولا
حكاية الحال لم يعمل اسم الفاعل لانه اذا مضى اختص وصار معهودا فخرج بذلك من شبهة الفعل الا ترى ان الفعل لا يكون معهودا فكما ان
اسم الفاعل اذا وصف او حقر لم يعمل العمل لزوال شبهة الفعل عنه بالاختصاص الذى يحدثه فيه التحقير والوصف كذلك اذا كان ماضيا
والنون الثانيه من نجى فهو مخفاة مع الجيم وكذلك النون مع ساير حروف الفم لا تكون الا مخفاة قال ابو عثمن بيانها معها لحن وللنون مع
الحروف ثلث احوال الادغام والاخفاء والبيان وانما تدغم اذا كانت مع مقاربها كما يدغم ساير المقاربة فيما يقاربه والاخفاء فيها مع حروف الفم
التى لا تقاربها والبيان فيها مع حروف الحلق فاما حذف النون الساكنه من الخط فيشبه ان يكون لكراهة اجتماع المثلين فيه الا ترى انهم
كتبوا مثل العليا والدنيا والحيا ونحو ذلك بالالف فلولا اجتماعها مع الياء لكتب كما كتب حبلى ويحيى وما لم يكن فيه ياء من هذا النحو بالياء
فكانهم لما كرهوا اجتماع المثلين فى الخط حذفوا النون ويقوى ذلك انه لا يجوز فيها الا الاخفاء ولا يجوز فيها البيان فاشبه بذلك الادغام لان الاخفاء
لا يبين فيه الحرف المخفى كما ان الادغام لا يبين فيها الحرف المدغم بيانه فى غير الادغام فلما وافق النون المدغم فى هذا الوجه استجيز حذفه من الخط
ومن ذهب الى ان النون الثانيه مدغمه فى الجيم فقد غلط لانها ليس مثل الجيم ولا مقاربة له واذا خلا الحرف من هذين الوجهين لم يدغم
فيما اجتمع معه ومن قرا نجى فانه اتى على لفظ الماضى لان القصة ماضيه ويقوى ذلك انه عطف عليه فعل مسند الى المفعول به وهو قوله ولا
يرد باسنا عن القوم المجرمين ولو كان نجى مسندا الى الفاعل كقول من خالفه لكان لا نرد باسنا اشبه ليكون مثل المعطوف عليه ومن قرا تصديق
الذى بين يديه وما بعده بالرفع فتقديره ولكن هو تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ فحذف المبتداء وبقى الخبر اللغة استيأس
فى معنى يئس كانه طلب الياس لتعلقه باتساع الامر والبأس الشدة وهو شدة الامر على النفس ومنه البؤس الفقر ومنه لا بأس
عليك والقصص الخبر يتلو بعضه بعضا من اخبار ما تقدم والعبرة الدلالة التى يعبر الى العقه والالباب العقول واحدها لب وسمى
بذلك لانه انفس الشئ فى الانسان ولب كل شئ خياره المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال الرسل مع اممهم تسليه للنبى صلعم فقال حتى اذا استيأس
الرسل وههنا حذف يدل الكلام عليه تقديره انا اخرنا العقاب عن الامم السالفة المكذبة لرسلنا كما اخرناه عن امتك يا محمد حتى اذا
بلغوا الى حالة يأس الرسل عن ايمانهم وتحقق يأسهم باخبار الله تعالى اياهم وظنوا انهم قد كذبوا اى تيقن الرسل ان قومهم كذبوهم تكذيبا
عاما حتى انه لا يصلح واحد منهم عن عايشة والحسن وقتادة وابى على الجبائى ومن خفف فمعناه ظن الامم ان الرسل كذبوهم فيما
اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد والضحاك وابى مسلم
وقيل يجوز ان يكون الضمير فى ظنوا راجعا الى الرسل ايضا ويكون معناه وعلم الرسل ان الذين وعدوهم الايمان من قومهم اخلفوهم و
كذبوا فيما اظهروه من الايمان وروى ان سعيد بن جبير والضحاك اجتمعا فى دعوة فسئل سعيد بن جبير عن هذه الاية كيف تقراها
فقال وظنوا انهم قد كذبوا بالتخفيف يعنى وظن المرسل اليهم ان الرسل كذبوهم فقال الضحاك وما رايت كاليوم قط لو رحلت فى هذه
الى اليمن لكان قليلا وروى ابن ابى مليكه عن ابن عباس قال كانوا بشرا فضعفوا ويئسوا فظنوا انهم اخلفوا ثم تلى قوله حتى يقول



